جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي 2004

ابن بطوطة

ارتياد الآفاق

الرحلة المعينية

1938

ماء العينين بن العتيق

حققها وقدم لها: د. محمد الظريف

دار السويدي للنشر والتوزيع

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الرحلة المرعينية

1938

الرحلة المعينيّة / أدب رحلات
ماء العينين بن العتيق / مؤلّف ، [حرّرها وقدّم لها : د. محمّد الظريف]
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤
حقوق الطبع محفوظة

دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي ، ص. ب : ٤٤٤٨٠
الإمارات العربيّة المتّحدة ،
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
التنفيذ والإشراف الفنّي :
محمد سعيد ®
تصميم الغلاف : منير الشعراني / مصر
خطوط الغلاف : زهير أبو شايب / الأردنّ
الصفّ الضوئي :
القرية الإلكترونيّة / أبو ظبي + المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-634-9

الرحلة المعينية

1938

ماء العينين بن العتيق

حققها وقدم لها: د. محمد الظريف

ارتياد الآفاق

يشرف على هذه السلسلة:

نوري الجراح

وبمجرد وصولنا إلى هذه الحجرة وجلوسنا فيها ، قد أتت عدّة نساء وأحضرن أمام كل واحد منا خِواناً صغيراً لأجل وضع الأكل عليه ، فجلسنا على هذه المقاعد متربعين كالعادة العربية . ثم أحضروا لنا الأكل ، فأوّلا قد أحضروا لنا المرقة المعروفة بالشربة ولم يحضروا لنا ملاعق لأجلها ، بل إنهم من غريب أمرهم أنهم قد استعاضوا عنه بكاسات صغيرة يشربونها بها . وبعد ذلك أحضروا لنا نوعاً من السمك حسن الصنع ، وعدة من أنواع الخضراوات والأرز . وكان الأكل بواسطة خشبتين صغيرتين يقبضهما الإنسان ويجعلهما شبه (الكماشة) ثم يأكل بهما ، وكل شخص له آنية مخصوصة . . .

من نص الرحلة ص 60

وفي اليوم التالي قد أصبح الهواء معتدلا والجو رائقا والسماء مصحية ، فرأينا أن هذه الفرصة لزيارة المعبد الذي على قمة الجبل . ولما أخبرونا أن هذا المعبد في محل في غاية الارتفاع وأن الواصل إليه لا بد أن يجتاز 20,000 (ألف) درجة حتّى يصل إليه ، رأينا أن هذا أمر صعب وتعب كثير ، فأخبرونا أن هناك رجالا يحملون الإنسان وهو جالس على كرسي من الخيزران حتّى يوصلوه إليه وسهلوا لنا الأمر ، فتوجهنا إليه ووجدنا هذه الكراسي يجلس فيها ويحمل كل واحد منها أربعة رجال ، كل اثنين من جهة . والذي يظهر في الأمر أنها سهلة ، ولكنها في الحقيقة متعبة تعبا كثيرا . . .

من نص الرحلة ص 89

استهلال

تهدف هذه السّلسلةُ بَعْثَ واحد من أعرق ألوانِ الكتابة في ثقافتنا العربية ، من خلال تقديم كلاسيكيّاتِ أدبِ الرِّحلَة ، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميّاتهم وانطباعاتهم ، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه ، قريبةً وبعيدةً ، لاسيما في القَرنين الماضيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة ، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنّاس في الغرب ، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشّرقِ ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً ، خصوصاً في اللغاتِ الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم ، ومن منطلق المستأثر بالأشياء ، والمتهيء لترويج صور عن «شرق ألف ليلة وليلة» تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم ، وتُمهِّدُ الرأي العام ، تالياً ، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق . ولعل حملة نابليون على مصر ، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية ، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك . فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري .

على أن الظاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله ، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها ، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري ، لتجد نفسها تملك ، بدورها ، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال نحو الآخر ، بحثاً واستكشافاً ، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته ، ونمط عيشه وأوضاعه ، ضاربة بذلك الأمثال للناس ، ولينبعث في المجتمعات العربية ، وللمرة الأولى ، صراع فكري حاد تُسْتَقْطَبُ إليه القوى الحيَّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمِّسٍ لأفكاره وصياغاته ، وبين معادٍ للغرب ، رافض له ، ومستعدٍّ لمقاتلته .

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين ، عَبْرَ رسم صور دنيا لهم ، بواسطة مخيِّلة جائعة إلى السِّحري والأيروسيّ والعَجائبيّ ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم ، كما سيتَّضحُ من خلال نصوص هذه السلسلة ، ركز ، أساساً ، على تتبع ملامح النهضة العلميَّة والصناعيَّة ، وتطوّر العمران ، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق . لقد انصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات ، مدفوعين ، غالباً ، بشغف البحث عن الجديد ، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط ، من باب الفضول المعرفي ، وإنما ، أساساً ، من بابِ طَلَبِ العلم ، واستلهام التجارب ، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث ، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشّلل الحضاريّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها . هنا ، على هذا المنقلب ، نجُد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته ، وهي نظرة المتطلّع إلى المدنيَّة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة ، المتحسّر على ماضيه التليد ، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية .

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم ، هو

الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة ، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة ، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار . فأدب الرحلة ، على هذا الصعيد ، يشكّل ثروةً معرفيّةً كبيرةً ، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار ، فضلاً عن كونه مادة سرديّة شائقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى ، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكّرُ بها .

أخيراً ، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسة التي قد تبلغُ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس ، وللمرة الأولى ، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيّ في ارتيادِ الآفاق ، واستعداده للمغامرة من بابِ نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمُتعةِ ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قارّاته الخمس ، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالَمه ، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء ، وغيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية .

محمد أحمد السويدي

المقدمة

يشكل تراث الصحراء المغربية جزءا هاما من التراث المغربي ، ورافدا متميزا من روافده الثرة ، وكان هذا التراث وحتى بداية القرن الماضي معروفا في سائر المراكز الثقافية المغربية ، وخاصة في مراكش والرباط ومكناس وتطوان ، يتداوله العلماء والمهتمون ، تقريظا وتذييلا وتهميشا ، ويتنافس رجال المطابع والمكتبات في طبعه وإخراج متونه ، وخاصة مؤلفات علماء مدرسة السمارة .

وقد حاول المستعمر القضاء على هذا التراث في إطار سياسته القائمة على ضرب مقومات وحدة الشعوب المستعمرة ، فقام بإحراق خزانة الشيخ ماء العينين خلال الهجوم الفرنسي على مدينة السمارة سنة 1913 ، وخرب ونهب العديد من الذخائر العلمية والمآثر التاريخية ، لكن قوة وأصالة هذا التراث ، وتشبث المغاربة به ، وحرصهم على صيانته والمحافظة عليه جعله يتخطى كل التحديات ، ويواصل فعاليته الإشعاعية .

وبعد استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية ، قامت حركة علمية نشيطة للتعرف بهذا التراث وإبراز قيمته العلمية ، فأنجزت بعض الدراسات القيمة[1]

(1) من هذه الدراسات - ثقافة الصحراء لأستاذنا الدكتور عباس الجراري- الصحراء من خلال بلاد تكنة ، مصطفى ناعمي- مناقب الصحرا ، للأستاذ عبد الوهاب بنمصور ، تحقيق ديوان الأبحر ==

التي حاولت إعادة الاعتبار له ونفض الغبار عن بعض ذخائره العلمية ، لكن هذه الدراسات رغم أهميتها ، لم تصل بعد إلى الإلمام بهذا التراث والإحاطة بجوانبه المتنوعة . .

من هنا جاء الاهتمام بإخراج هذا العمل الذي بادر مشروع ارتياد الآفاق إلى إعادة طبعه وتعميم الاستفادة منه ، رغبة منه في التعريف بالتراث الجغرافي العربي ، وحرصا منها على إبراز قيمته العلمية .

وقد حظيت الرحلة المعينية بهذا الاهتمام قبل غيرها من النصوص التراثية الصحراوية لعدة اعتبارات منها :

1 . قيمتها العلمية ، فهي تقدم للملتقى مادة متنوعة قلما يجدها مجتمعة في كتاب واحد ، من أحاديث وأخبار وأشعار وبيانات جغرافية وببليوغرافية وتاريخية واجتماعية وغيرها ، وتحلق به في فضاءات ثقافية مختلفة قلما يحصلها في رحلة واحدة ، فينتقل بين طرفاية وطنطان وسيدي إفني وتطوان والأندلس وطرابلس ومصر ومكة والمدينة وغيرها ، ويتعرف على عدد من العلماء ، والأدباء والشعراء ورجال الفكر والسياسة ، ويقف على المآثر التاريخية والعمرانية والأشعار والإجازات والرسائل ، وغيرها من العناصر التي تشكل مادتها وتساهم في بنائها .

وتتضاعف القيمة العلمية لهذه الرحلة وتزداد قبولا عند الباحثين والعلماء بما تحتوي عليه من شهادات ونصوص شعرية وفتاوى فقهية وإفادات اجتماعية وثقافية ضاعت مصادرها الأصلية ، ولم يبق لها أثر في الخزانات العامة والخاصة ، فهي تتضمن نقولا من كتب أصبحت في حكم المفقود ، كما هو الشأن بالنسبة لرحلة الشيخ ماء العينين ، وأشعارا لا أثر لها فيما تبقى من الدواوين والمختارات ، كقصيدة العتيق بن محمد فاضل بن احمد الملقب بالليل ، والد المؤلف في مدح

= المعينية الجزء الأول والثاني ، أحمد مفدي ، المداح محمد المختار ،- الشعر العربي في الصحراء المغربية ، مفدي أحمد- الحياة الأدبية في الزاوية المعينية ، محمد الظريف ،- الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية لمحمد الظريف ، أيضا ، وغيرها .

السلطان مولاي الحسن ، وقصيدة المؤلف نفسه في تخميس رائية الشيخ أحمد الهيبة في مدح الرسول ﷺ ، وبعض أشعار الشيخ مربيه ربه والشيخ محمد الإمام وإبراهيم الإلغي و إدريس الجاي ، وغيرها من الأشعار والرسائل والإجازات ، وتحيل على بعض المصادر التي لم يعد لها أثر في فهارس الخزانات العامة ولا في دلائل المكتبات الخاصة ، مثل كتاب المؤلف الذي يجمع بعض مساجلاته الشعرية ومذكراته العلمية مع أدباء فاس ومكناس وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش[2] وفتاويه الفقهية في أكل ذبائح النصارى ونكاح نسائهم ورقي مرضاهم[3] ، وغيرها من الكتب والمصادر التي تحيل عليها وتلفت الانتباه إلى وجودها .

2 . مكانة صاحبها ، فمؤلفها ماء العينين بن العتيق - كما يبدو من خلالها ، وكما عرف به غير واحد من العلماء - يعد مثالا للمشاركة العلمية والالتزام الديني والوطني ، ونموذجا حيا لعلماء الصحراء ، تأليفا وصرامة وبديهة وقرظا للشعر . ويكفي أنه سبط الشيخ ماء العينين وخريج مدرسة السمارة .

3 . قيمتها الوحدوية : فهي تمثل مظهرا بارزا من مظاهر التواصل بين شمال المغرب وجنوبه من جهة وبين المغرب وباقي بلدان العالم الإسلامي من جهة ثانية ، ومن الصور التي تعكس هذا البعد الوحدوي الذي يميزها ، قول المؤلف في وصف اجتماع أعضاء المركز العام لبيت الوحدة الغربية بتطوان بوفد الحجاج الصحراويين المتوجهين إلى الديار المقدسة عبر المنطقة الخليفية بشمال المغرب : «ومما زارنا أقوام أدباء من أهل الوحدة المغربية ، منهم الشيخ أحمد بن محمد معنينو السلوي ، ورئيس المركز العام للوحدة المغربية ومدير جريدتها السيد عبد السلام بن المقدم ، والحاج احمد التمسماني ، وصنوه القائد السيد الحاج محمد بن المقدم ، والسيد الحاج المختار بن الصادق أحرضان الطنجي ، والكاتب السيد محمد بن الفقيه والسيد محمد الزواق التطواني ، والشاب الشاعر الشريف عبد

---

(2) الرحلة المعينية .

(3) نفس المصدر .

الوهاب بن عبد الرحمان بنمنصور . . . والأستاذ الجليل مؤسس الوحدة المغربية الشيخ المكي الناصري . . . فقام الشاب الأديب عبد الوهاب بنمنصور ، وألقى خطبة حسنة مشتملة على الترحيب بنا وعلى الاستبشار والفرح بمقدمنا ، وعلى أن لهم محبة زائدة بجنابنا ، وأنشد بعد الخطبة هذه الأبيات :

إن جـيـد العلى بكم قـد تحلـى
وشـعـاع الصـلاح منكم تجلـى
وغـرام في الله يجمـعنا اليـو
م وحب الإله من شـهـد أحلـى
أيهـا الزائرون شـرفـتـمـونا
مـرحـبـا بالكرام أهلا وسـهـلا
فـأجـزني يا إبن العـتـيق أجزنـي
إنكم في الشـعـر أسـمى وأعلـى

فأجازه ابن العتيق ، وألقى خطبة تقتضي جواب الخطب التي ألقيت في هذا الاجتماع ، وأنشد ارتجالا :

يا إخـوة المجـد يا أعـلام سـبـبـه
والـنـازلـين بـأعـلـى ذروة الـرتـب
لله إيخـاؤكم هذا فـبـيـنـكـم
أخت لـبـان العلى والعلم والأدب
قـد سـرنا اليـوم مـا ألقـيـتـمـوه لنا
تبـارك الله من شـعـر ومن خطب

ثم قام الأديب إبراهيم الإلغي السوسي ، وأنشد قصيدة في الترحيب بسائر الوفد ، يقول في مطلعها :

خطر النـسـيم مـبـشـرا بالأسـعـد
وبد الصـبـاح تبل وجـه الأنجـد

إلى أن يقول :

فـــاليـــوم لاحظت السـعــادة خلسـة
بعيـونهـا قلب الغـريب المبـعــد
من قـبـل كـان البين فـرق بيـننـا
فـالآن أمـسـينا كـعـقـد منضـد
إن صح ترحـيـب الغـريب بمثلـه
فـأنا أرحب بالوفـود الـورد[4]
هذه الوفـود النازلات برحـبـنا
لبّت نداء الله دون تـردد

ويتكرر مثل هذا اللقاء الوحدوي الذي شهدته تطوان بين رجال الحركة الوطنية المغربية في شمال المغرب وجنوبه بصور أخرى في طرابلس والسويس ومكة والمدينة فيشمل أطراف الأمة الإسلامية كلها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . ومن الصور التي تجسده قول المؤلف في ذكر أعلام الفكر والسياسة الذين اجتمع بهم في مكة :«ومن الأعيان والرؤساء الذين أتونا زائرين بمكة المشرفة للتبرك بالشيخ ووفده ، واجتمعنا بهم ، وتذاكرنا مع بعضهم ، واستمَدّ بعضهم من سيادة الشيخ ، الأمير شكيب أرسلان . . . الشيخ محمد خليل بن عبد القادر اطيبة ، الشيخ جعفر بن صالح الكثيري من أرض حضر موت ، الشيخ محمد بن أمير جان بن غلام جان بن أمير الله ، من الأفغان ، وناصر السنة الشيخ مصطفى المحامي المصري ، مدرس وخطيب في مقام السيدة زينب ، الشيخ السيد محمد زبارة ، أمير من أمراء اليمن ، السيد عبد القيوم ولد سبائبة حيدراباد ، من الهند ، خلف الله الصالح من سودان مصر . . .»

وهذا البعد الوحدوي يخرج بهذه الرحلة من إطارها التاريخي والجغرافي المحددين ويزيدها عمقا واتساعا ، فلا يشعر القارئ وهو يتبع مراحل هذه الرحلة الممتدة بين طنطان والمدينة المنورة بأنه ينتقل من كيان إلى كيان آخر مختلف عنه ، أو يحس

(4) نفسه ص 14-15 .

بوجود شروخ فاصلة بين الفضاءات المكونة لها أو ينتابه شعور بالغربة وهو يجوبها ويذاكر أهلها ويساجلهم ، ولكنه يشعر بالاطمئنان والانسجام والتناغم معها ، ولعل هذا البعد الوحدوي الذي يميز هذه الرحلة وغيرها من الرحلات الحجازية راجع بالإضافة إلى نوعية هذه الرحلات ومقاصدها ، إلى نظرة الإسلام إلى الذات وإلى الكيان الإسلامي بصفة عامة ، وهي نظرة تقوم عل مبدإ وحدة كيان الأمة الإسلامية على الرغم من تعدد ألسنتها واختلاف شعوبها وقبائلها ، وهو مبدأ ظل حاضرا في اللاشعور الجمعي الإسلامي ، على الرغم من التشرذم الذي أصاب هذه الأمة على امتداد التاريخ ، وسيظل أفق انتظار واعد لنهضتها وتطلعات شعوبها .

4 . قيمتها الجمالية : وتتمثل في كيفية حوارها للفضاءات الزمانية والمكانية التي تتحرك داخلها ، وأسلوب عرضها لشريط الذكريات التي عاشها المؤلف وهو ينتقل داخل هذه الفضاءات ، فهي تتعامل مع المكان كخلفية مؤطرة لأمكنة تحرك رحلة الشيخ مربيه ربه ومرافقيه من جهة ، وتضفي على هذه الأمكنة جمالية من جهة أخرى ، وهذا الأمر جعلها تتحرك داخل ثنائيات مكانية وزمانية متعددة تحمل دلالات رمزية تحكمها قيم الاتساع والضيق والحرية والسجن ، والمقدس الخالد والعرضي الزائل ، والمألوف والغريب والشرعي والعرفي ، وغيرها من الثنائيات التي تتقابل داخلها ، ورغم هذا التعدد الزماني والمكاني الذي يميزها فإن السياق الوحدوي العام الذي يؤطرها أهل صاحبها لتحويل المطلق الزماني والمكاني إلي تحديدات زمكانية قابلة للرؤية البصرية ، فهو لا يكاد يذكر مغادرة أو وصولا أو لقاء أو واقعة دون ذكر السنة واليوم أو الليلة والشهر والسنة التي حصل فيها ذلك ، وهي سمة لازمة في جميع مؤلفاته(5)

لهذه الاعتبارات وغيرها استقر العزم على إخراج هذه الرحلة ، لتساهم ضمن غيرها من الأعمال الجغرافية في إكمال الصورة العامة للأدب الجغرافي المغربي بصفة خاصة والعربي بصفة عامة .

ولم يكن إنجاز هذه المهمة سهلا ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها :

---

(5) نفسه ص8 .

1- صعوبة التحقيق أساسا ، فهو عمل علمي شاق ، يقتضي الأمانة والدقة والصبر ، وهي أمور عزت في هذا الزمان .

2- اختلاف الأصول المعتمدة في إخراج هذه الرحلة ، فقد انتهت إلينا منها نسختان مختلفتان في الحجم والمادة ، الأولى مصورة على شريط ميكرو فيلم مستخرج من نسخة أصلية مكتوبة بخط مؤلفها . وتتألف من قسمين ، الأول يتكون من 93 ورقة من الحجم المتوسط ، والثاني يتكون من 115 ورقة من نفس الحجم ، وهي مليئة بالأشعار والأخبار وأسماء الرجال والإجازات والنقول والرسائل والإفادات الفقهية والأدبية ، ومكتوبة بخط مغربي صحراوي واضح ، لكن إخراجها من المكرو فيلم ،قراءة أو تصويرا لا يتأتى بسهولة ، وقد استُخرِجَت منها صورة توجد بالخزانة الحسنية بالرباط . ويبدو أنها أقدم النسخ وأسلمها وأكملها وأقربها إلى تاريخ إنجازها . فقد انتهى المؤلف من نسخها ـ كما جاء في آخر ورقة منها - في متم صفر 1358 هـ ، أي بعد شهر من عودته من الديار المقدسة ، ولذلك اعتمدتها في هذا الإخراج ، واعتبرتها النسخة الأم . ويوجد هذا الشريط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 80 .

الثانية ، بخط مؤلفها أيضا ، وتتكون في مجموعها من 67 ورقة من الحجم الكبير . وتخلو مما في النسخة الأولى من أشعار وإجازات وفوائد علمية وأدبية ، ومع ذلك توجد بها بعض الإفادات التي لا توجد في النسخة الأولى . ويبدو من خلال ورقتها الأخيرة أنها كتبت في رمضان سنة 1358هـ ، أي بعد ستة أشهر من كتابة النسخة الأولى ، ولذلك اعتبرتها نسخة تكميلية . وقد استخرج منها المرحوم علي مربيه ربه سنة 1963 نسخة مرقونة في 53 صفحة ، وزودني بها - جازاه الله خيرا- سنة 1983 . وتوجد بخزانة الأستاذ شيبة ماء العينين . ويبدو أنها ملخص للنسخة الأم .

3-خلو المتن المخطوط من علامات الترقيم ، من نقط وفواصل وأقواس ، مما يجعل التمييز بين كلام المؤلف والنصوص المستشهد بها صعبا في كثير من الأحيان .

4- كثرة أسماء أعلام الرحلة واختلاف درجاتهم ومستوياتهم وأماكنهم ، وعدم وجود مصادر لتراجم الكثير منهم ، وخاصة الأعلام المغمورين الذين وردت أسماؤهم

في الرحلة لمجرد مشاركتهم فيها ، أو لالتقاء المؤلف بهم عرضا في تطوان وطرابلس والحجاز .

5- كثرة النصوص الشواهد في الرحلة وتنوعها ، فقد جمع فيها صاحبها أنواعا مختلفة من الشواهد وفنون القول من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار ورسائل وإجازات وفوائد فقهية وتاريخية وجغرافية ، وكثيرا ما يهمل ذكر أصحابها ومظانها ، مما يجعل توثيقها صعبا ، ويضيع الكثير من الجهد في البحث عن مصادرها .

وقد تمكنت بعون الله وقوته من تخطي كل هذه الصعوبات ، فاعتمدت النسخة الأولى أساسا في إخراج هذا العمل ، وأكملتها بما ينقصها مما ورد في النسخة الثانية من إفادات ، وأضفت عناوين للفقرات المهمة اعتمادا على فهرس الموضوعات الذي أثبته المؤلف في نهاية هذه الرحلة ، وحاولت التعريف ببعض الأعلام الذين ذكرت أسماؤهم فيها اعتمادا على ما توافر لي من مصادر شفوية ومخطوطة ، مثل كتاب «الأبحر المعينية» للشيخ محمد الغيث النعمة ، و«سحر البيان» للمؤلف نفسه ، وكتاب «النفحة الأحمدية» للشيخ أحمد بن الشمس ، ومرددات ومحفوظات بعض الصحراويين ، ما عدا الأعلام الذين لم يتركوا أثرا يذكر ، أو الذين لم تحفظ الرواية الشفوية أو كتب التراجم أخبارهم .

كما قمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي لم يذكر المؤلف مصادرها ، والأشعار التي تتخللها ، وحاولت ضبط أوزانها ، وشرح بعض غوامضها وشكل بعض كلماتها ، وقدمت لذلك بمقدمة مركزة حاولت فيها التعريف بصاحبها وتلخيص محتوياتها ، فجاء العمل - كما يبدو في صورته المطبوعة ـ متكاملا يجمع بين كمال النسخة الأم وإضافات النسخة الفرع .

التعريف بالمؤلف

تمثل حياة ابن العتيق سجلا حافلا بالعطاءات ، جامعا للمزايا ، مثيرا للدهشة ، فقد جمعت سيرته كل صفات النبل والكمال ، من تواضع ونزاهة علمية والتزام ديني

ووطني .

ولد سنة 1307 هـ- 1887م . بالساقية الحمراء ، وما كاد يتجاوز سن الرضاع حتى توفي والده ، فكفله جده الشيخ ماء العينين ، وتولى تربيته بنفسه . قضى معظم شبابه بالسمارة ينعم بطيبها ، وينهل من معارفها إلى أن دعى داعي البين إلى مغادرتها إلى تزنيت سنة 1910 ، بعد اشتداد الضغط الأجنبي عليها . بعد وفاة جده الشيخ ماء العينين ، لازم خاليه الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه وآزرهما فيما اضطلعا به من أمور الجهاد في الحوز وسوس ، فكان يشجعهما ويشيد ببطولاتهما ، ويتصل بالعلماء وأهل الحل والعقد من أهل سوس لمساندتهما إلى أن تم تطويق المقاومة في الجنوب وتصفية آخر معاقلها سنة 1934 ، فعاد إلى الصحراء مرة ثانية واشتغل فيها بالقضاء بمدينة طانطان ونواحيها .

في سنة 1357هـ- 197م . قام بزيارة الديار المقدسة على نفقة المخزن المغربي ضمن الوفد الصحراوي الذي ترأسه الشيخ مربيه ربه ، التقى خلالها بعدد من العلماء ورجال الفكر والسياسة في تطوان وطرابلس والسويس والحجاز وأشبيلية وغيرها ، مثل عبد الوهاب بنمنصور والمكي الناصري وأحمد معنينو وشكيب أرسلان وابن مايابا الجكني وغيرهم .

بعد استقلال الجزء الشمالي من المغرب ، توجه ضمن أول وفد صحراوي لتجديد البيعة والولاء للسلطان محمد الخامس وتهنئته بالعودة من المنفى وتكسير قيود الحماية .

في أواخر سنة 1956 عين أستاذا بالكلية اليوسفية بمراكش ، وظل يدرس بها إلى أن توفي سنة 1376 هـ- 1957م . بعد سبعين سنة من العطاء والمساهمة في بناء الوطن .

ويمكن أن نميز في حياته ثلاث محطات بارزة ، أشاد بها معظم الذين عاصروه أو ترجموا له .

المحطة الأولى : تتعلق بنسبه ، فهو ينتمي إلى أسرة شريفة طبقت شهرتها الآفاق هي أسرة الطالب المختار ، فأبوه هو العتيق محمد فاضل بن محمد الليل ابن محمد بن أحمد الطالب المختار ، وجدته لأبيه هي الرحمة بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين ،

وأمه هي العالْيَ أمٌّ ابنة الشيخ ماء العينين .

وقد حظيت هذه الأسرة باحترام كبير داخل الصحراء وخارجها ، وتميز أبناؤها بالنبوغ والمشاركة العلمية والغيرة الوطنية ، فجده الشيخ ماء العينين كان من العلماء العاملين الذين ذاع صيتهم في المشرق والمغرب ، وقصده القريب والبعيد ، فكانت زاويته بالسمارة منارا للعلم وقلعة للجهاد ، وقد جعله ملوك المغرب نائبا عنهم في الأقاليم الصحراوية منذ عهد المولى عبد الرحمان ، وكلفوه بتعميرها وحمايتها مما كان يهددها من أخطار أجنبية ، وشهرته تغني عن التعريف به .

وأبوه العتيق - كما ذكر صاحب سلوة الأنفاس[6] وغيره ممن ترجم له - كان من العلماء المشاركين والشعراء المفلقين ، شارك في معركة الداخلة سنة 1302 هـ -1884م ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، وله فيها قصيدة ينتصر فيها للحق ، ويدعو إلى مقاومة المستعمر[7] ، وقد حظي بلقاء السلطان مولاي الحسن سنة 1309 هـ -1891م بفاس ، ومدحه بقصيدة يقول في بعض أبياتها :

أميـرنا وأرى الأوصـاف توضحـه
ما يوضح الموضحان الإسم واللقب
من هو ملجـأ أهل الأرض يلجئـها
لبابه الملجئـان الخوف والرغب
فللضعيـف عطوف مُنْحنٍ أبـدا
كـأنه المشفقـان أمـه والأبُ
وفي الحروب إذا نار الوَغى اشتعلت
كـأنه الحارقـان الجمـر واللهب[8]

و كان ينوي الحج ، ويتهيأ للخروج إليه من فاس ، لكنه أصيب بالجذري وتوفي

---

(6) سلوة الأنفاس ج . 3 ، ص 356 .

(7) الأبحر المعينية ج . 1 ص ، 535 ، تحقيق أحمد مفدي - مرقونة كلية الآداب فاس .

(8) الرحلة المعينية ، و 57 -58 .

بسببه سنة 1910 هـ -1892م ، فحضر جنازته السلطان مولاي الحسن وأعيان الدولة والقضاء والعلماء ودفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلالي[9] .

وقد ساهم هذا النسب بدور كبير في تشكيل ملامح شخصيته وتحديد مسار حياته ، فلم يسلك مسلك البسطاء من سائر أبناء حسان والزوايا ، ولم يخض فيما كان يشغلهم من هموم ومشاغل عابرة ، بل اتبع نهج أسلافه في الحياة ، واقتفى أثرهم في العلم والاستقامة ، فكانت حياته مجمعا للمثل وسجلا حافلا بالعطاءات .

المحطة الثانية ، تتصل بتربيته وتعليمه ، فقد تلقى تربية متكاملة تقوم على الجمع بين علوم الظاهر والباطن ، وتولى تربيته مجموعة من علماء السمارة ، فأخذ مبادئ الفقه والعربية على يد أمه العالي ، والتصوف وعلم الحديث والكلام على يد جده الشيخ ماء العينين ، والقرآن على يد الفقيه زَيْنِ ، والأدب على يد خاليه الشيخ النَّعْمَة والشيخ أحمد الهيبة ، والنحو على يد الشيخ محمد بن سِيدينَ وَعلم الأصول على يد الشيخ محمد العاقب بن مايا با الجَكَني .

وترتبط بتعليمه الأولي حكاية مثيرة يتداولها أبناؤه وكثير من العارفين بأحواله ، فبعد أن آنست منه أسرته القدرة على التحصيل ، بادرت بإرساله إلى العلامة ابن انبالة ، أحد أساتذة مدرسة السمارة ، لكن هذا المربي ما كاد يستأنس به ويطمئن إليه حتى أرجعه إلى بيته يائسا من تعليمه ، فارتاعت أمه لهذا الأمر وثارت ثائرتها ، وأسرعت به إلى والدها الشيخ ماء العينين ، ودخلت عليه ، وهو في مجلسه ورمت به إليه ، «وكلها أمل في أن يكون الولد في المستوى الذي تريده له[10]» . فما كان من والدها إلا أن طمأنها وهدأ من روعها قائلا : دعيه هنا ، فسترين ما يسرك ، وكلفها بالسهر على تكوينه ، فكان ما كان من نبوغه وانقداح عين بصيرته[11] .

وكان الشيخ ماء العينين يوليه عناية خاصة و«يرجو من الله أن يجعله له مثل أبيه

---

(9) الرحلة المعينية ، و . 57 - 58 .

(10) في الأدب والمقاومة ، ذ ماء العينين ص 107 .

(11) نفس المصدر 107

العتيق ، بل فوقه في العلم وغيره من حفظ ونجابة»[12] . وقد تحققت آمال جده فيه ، فنبغ في مختلف علوم عصره من فقه وأصول وتاريخ وتصوف وأدب ، وغيرها . وأجازه مجموعة من العلماء منهم ، الشيخ ماء العينين الذي أجازه في القرآن الكريم رسما وقراءة ، وزين بن البكاي الذي أجازه في قراءة نافع ورواية ورش وقالون ، وابن مايابا الذي أجازه في علم الأصول ، وغيرهم . وقد نظم بعض هذه الإجازات ، وأورد بعضها في رحلته ، منها قوله في نظم إجازة العلامة زين :

هذا وذي سلسلتي منظوم
في سند الإجازة المعلوم
أسندها إلى النبي الهادي
رواية موصولة الإسناد
فيما روى ورش وقالون عن
شيخنا أب رويم المدني
أجازني في المقرإ المذكور
لنافع بأخذه المشهور
أستاذي المدعو زين القلقمي
إلى محمد الأمين القلقمي
وهو عن الأستاذ شيخنا الكبير
ماء العيون القدوة القطب الشهير[13]

ومنذ أن نال هذه الإجازة سنة 1319 هـ- 1902م[14] . كلفه جده الشيخ ماء العينين بقراءة الحزب على يمينه ، فدوام على ذلك إلى أن توفي سنة 1328 هـ ، كما

---

(12) الأبحر المعينية ، ج .2 ص . تحقيق المداح محمد المختار ، مرقونة كلية الآداب ، الرباط .

(13) الرحلة المعينية ، القسم الثاني ، و 45 .

(14) جعل الأستاذ ماء العينين تاريخ هذه الإجازة سنة 1219 هـ ، وقد تابع في هذا الخطأ صاحب الرحلة نفسه الذي ذكر سهوا أن تاريخها كان سنة 1219هـ-1804م .

أسند إليه التدريس بمدرسة السمارة ، فكان لذلك أثره في اختبار معارفه ، وتعميق ما حصله من علوم .

المحطة الثالثة ، تتعلق بإنتاجه العلمي والأدبي ، وهو إنتاج يتميز بالغنى والتنوع والعمق فقد ألف في علوم مختلفة وفنون كثيرة ، من فقه وتصوف ورحلات ومناقب ، وغيرها وتعتبر مؤلفاته مصدرا أساسيا من مصادر الحركة الفكرية في الصحراء المغربية ، وصورة حية لما تميز به علماء الصحراء من نبوغ ومشاركة علمية .

ومن أبرز مؤلفاته، غير «الرحلة المعينية»:

1 . «بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية»[15] وهو ديوان يضم بعض منتخبات الشيخ مربيه ربه في عدد من فنون الشعر العربي ، ويحتوي على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة .

الباب لأول : في الثناء على الله من شعر محمد المصطفى مربيه ربه .

الباب الثاني : في أمداحه لنبوية .

الباب الثالث : في مدحه لوالده الشيخ ماء العينين .

الباب الرابع : في مخاطبته لإخوانه .

الباب الخامس : في مخاطبته لمعاصريه .

الباب السادس : في النسيب .

الباب السابع : في الحكم والفوائد .

الباب الثامن : في التضرع إلى الله .

الخاتمة : في قصائد الذين مدحوه من الصحراويين ومن السوسيين .

2 . «البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المستمد من مذهب المالكية» ، وهي منظومة فقهية تتألف من 980 بيت ، توخى فيها تجديد الأساليب المتبعة في

(15) نسب أ .ش . هذا المؤلف للشيخ مربيه ربه ، والمرجع أنه لابن العتيق ، صحراؤنا ، ص 3 11 غشت 1967 ، ع . 23 ، أنظر : خلال جزولة ، ج 2 ، ص ، 186 .

الإفتاء وتدبير الأمور القضائية ، وتتألف من أربعة أقسام .
الأول : يتعلق بالقضاء ومتعلقاته .
والثاني : يتعلق بالحقوق العائلية والأحوال الشخصية .
والثالث : يتعلق بالمعاملات والنزاعات .
والرابع : يتناول الدماء والحدود والمواريث .
وقد انتهى من تأليفها في 26 من شعبان 1359 هـ -1939م .

3 . «تحفة المكاتب بقراءة شيخنا الشيخ ماء العينين لحزبه الراتب»(16) . وهو كتاب استوعب فيه أحوال الشيخ ماء العينين كلها ، العادية والعبادية ، وخاصة كيفية قراءته للحزب .

4 . ديوانه الكبير ، وهو ديوان ضخم يتجاوز ثلاثة آلاف بيت ، تتناول مختلف أغراض الشعر العربي ، والمعروف أن الشاعر قد ترك هذا الديوان مجموعا ، ويبدو أنه كان من الكتب التي انتقلت إلى خزانة الشيخ محمد الإمام بعد وفاة صاحبه . وقد اشتغلت بجمعه منذ سنوات ، وسيتم إخراجه قريبا إن شاء الله .

5 . سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان» وهو كتاب ضخم في مناقب الشيخ ماء العينين ، ويتألف من خطبة ومقدمة وثمانية أبواب .
الأول : في أوصاف الشيخ ماء العينين وأخلاقه وعلومه الوهبية والكسبية .
الباب الثاني : في ذكر مؤلفاته ، وما أثر عنه من كلمات حكمية .
الباب الثالث : في سيرته العادية .
الباب الرابع : في بعض ما منحه الله من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة الباهرة .
الباب الخامس : في جملة أحواله مدة حياته من يوم مولده إلى وقت وفاته ،
الباب السادس : في نسبه الشريف وسلسلة أشياخه في الطريقة الصوفية .
الباب السابع : في ذكر أولاده وبعض صفاتهم .

---

(16) أنظر حوله : سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان و45- وقد ذكر الشيخ لارباس ماء العينين في لقاء إخواني بسلا أنه يتوفر على نسخة منه بخط مؤلفه .

الباب الثامن : في ذكر من وصل على يده من المريدين .

وتنتهي هذه الأبواب بخاتمة تتضمن عددا من القصائد الشعرية التي صدرت عن مشاهير العلماء والأدباء في مدح الشيخ ماء العينين وتأكيد ولايته ، وقد انتهى تحريره في ربيع النبوي من سنة 1375 هـ . وتوجد منه مجموعة من النسخ المخطوطة .

6 . كتاب محاضرات المؤلف ومساجلاته مع بعض علماء وشعراء فاس ومكناس ومراكش وسلا والرباط والدار البيضاء[17] .

7 . مجموعة من الفتاوى الفقهية والرسائل والإجازات والمنظومات[18] .

8 . مسرح الأفكار بسيرة النبي المختار» وهي منظومة في السيرة النبوية في مائتين واثنين وسبعين بيتا ، استعرض فيها المؤلف سيرة الرسول ﷺ من بعثته إلى وفاته ، كما تطرق فيها إلى أخبار الخلفاء الراشدين وأنسابهم ومآثرهم ووفياتهم ، وهي لا تزال مخطوطة أيضا[19] .

9 . «مطالع الأنوار في مديح المختار» وهو ديوان في ثمانية وعشرين قصيدة في مدح الرسول ﷺ ، مرتبة على الحروف الهجائية[20] .

10 . منظومة في سيرة فقهاء المدينة وأعيان المذهب ، وهي لمع مقتضبة في تاريخ بعض أعيان الفقه الإسلامي كالإمام أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل وشعبة بن المسيب وعروة وابن يسار ، وغيرهم[21] .

ولم تنحصر اهتمامات ابن العتيق في التأليف وقرض الشعر فقط ، ولكنها شملت مجالات أخرى أكثر أهمية واتصالا بالحياة . فساهم بدور فعال في مقاومة المستعمر والدفاع عن وحدة المغرب وسيادته ، وله قصائد كثيرة في ذلك منها قوله في الحث على المقاومة :

---

(17) الرحلة المعينية ، القسم الثاني ، و 66 .

(18) نفس المصدر ، و 76- 84-85-108 .

(19) مجموع إسلم من الورقة 153 إلى 16 ، مخطوط خاص

(20) نفس المصدر من و . 46 إلى 72 .

(21) نفس المصدر من الورقة 140 إلى 151 .

كـفـى المرء غـيـا للغـواة صـغـاره
كـذا بكبـار الإثم تغـرى صـغـاره
ويوشك أن يغـشى الحـمى الراتع الـذي
رعى حـوله والجـار يعـديه جـاره
وإن الـرضـى بالـذنـب ذنـب ، وإن يـقـع
عـذاب يعم الفـقـرتين تـبـاره
ودين المهـدي للشـرك ضـد ، فـمن يـرمْ
مـقـارنة الضـدين يبـدو ابتـهـارُه
ومن ليس يبـدي نصـرة الدين مـخطئ
فكيف ببـاد للنصـارى انتـصـاره
فـيـا إخـوة الإيمان ، دعـوة مـشـفـق
نصـوح دجـا مما دهاكـم نهـاره
إلا هل لدين الله منكم مـشـيـد
فـقـد كـاد أن ينقض أصـلا جـداره(22)

ومن ذلك أيضا قوله في الإشادة بجيش التحرير والتغني ببطولاته :

بـزغت علينا أنجم التـحـريـر
فـتـبـاشـر الأوطان بالتطهـيـر
من رجس الاسـتـعـمار بعـد مـبـشـر
في الغـرب ، بل في سـائر المعـمـور
لازال جـيـشـهم المطهـر ناصـرا
أعـلام عـرش إمـامنا المنصـور(23)

---

(22) بلاد شنقيط المنارة والرباط ، ابن الخليل النحوي ، ص 409 .

(23) ديوان الشاعر ، مخطوطة خاصة ستصدر قريبا إن شاء الله .

ومن ذلك أيضا قوله في تهنئة السلطان محمد الخامس بالعودة من المنفى وعيد الاستقلال وعيد الفطر :

تتـابعت البـشـائر والخـيـور
بحـمـد الله واتصل السـرور
وصـبح السـعـد لاح له ضـيـاء
وروض الفـوز فـاح له عـبـيـر
إمـام العـصـر مـحـمـود السجـايا
مـحـمـد ابن يوسف الشـهـيـر

إلى أن يقول :

ألا فـاهـنأ قـريـر العـين أن لا
تفـارقك المسـرة والحـبـور
بأعـيـاد ثلاثة اسـتـهـلـت
أهلتـهـا بأفـقك تسـتـنيـر
بعـيـد الفطر شـعـبك مسـتـقـل
وعـيـد العـود لله الشكـور
وعـصـرك كله أيام عـيـد
بك اغـتـبطت سـعـادتها العـصـور[24]

كما شارك في الإصلاح الاجتماعي والديني ، فأبدى فيما أسند إليه من مسؤوليات قضائية وتربوية «من الرفق بالضعفاء والعمل على الأخذ بأيدي المساكين والمظلومين وإنصافهم من المعتدين ، والشدة في الدين والورع والزهد وإعطاء كل ذي حقه ، ومحاربة أهل الفساد والقضاء على الرشوة والتشهير بمتناوليها وآخذيها ما يعلمه

(24) نفس المرجع

الخاص والعام»[25] .

وله أشعار في ذلك تدل على صرامته وغيرته الدينية ، منها قوله في إدانة الرشوة والتحذير من عواقب السقوط في حبائلها :

يقـــول الناس مـــالك حـــيث تقـــضي
تحـــامي مـــا بـه الأوطار تقـــضي
فـــقلت إن اســـتـجـبت لما عـــرضتم
فـــمـــا جـــوابي يوم عـــرضـــي
أفي عَـــرض من الـدنيـــا دنيـــئ
أبيع ديانتي وأبيح عِـــرضـــي
مـــعـــاذ الله أن ينتـــاط إلا
بإصـــر الحق إبرامي ونقـــضي
ومـــا يغني رضى المخلوق فـــيـــمـــا
إلى ســـخط من الخـــلاق يفـــضي
وأرجـــو الله إصـــلاحي ورشـــدي
وتوفـــيـــقي لما إياه يرضـــي[26]

وقد انعكس ذلك على إنتاجه العلمي والأدبي ، وطبعه بطابع خاص ميزه عن غيره ، فجاء متنوعا ، غنيا ، يجمع بين عبقريته الفذة وخصوصيات الفضاء الثقافي الذي عاش فيه وترعرع في أجوائه .

---

(25) فقيد المغرب الشيخ ابن العتيق ، الشيخ المصطفى ماء العينين صحراؤنا 15 أبريل 1957 ، ص 10 .

(26) نفس المرجع ، ص 10 ، مجموع يحجب ، و30 .

مسار الرحلة

تندرج الرحلة المعينية ضمن الرحلات الحجازية ، وهي كما يدل على ذلك على عنوانها تسجل رحلة ما العينين بن العتيق إلى الحجاز ضمن الوفد الصحراوي الذي أدى فريضة الحد سنة 1938 برئاسة الشيخ مربيه ربه ، على نفقة المخزن . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ونصف تبتدئ من خروج المؤلف من طنطان ، يوم الجمعة 16 شوال 1357 هـ 9 دجنبر 1938م ، وتنتهي بعودته إلى أهله بالطنطان أيضا يوم الثلاثاء 29 ، 2حرم 1358 هـ 1939م . .

ويمكن تلخيص المسار العام لهذه الرحلة في اللحظات التالية :

1- انطلاق ركب حجاج الساقية الحمراء بحرا من ميناء طرفاية نحو مدينة «لاص بالماص» بجزر الكناري في 22 شوال 1357 هـ ، 15 دجنبر 1938 .

2- توجه الركب نحو مدينة قادس على ظهر سفينة إسبانية تسمى «باركو سيبَي» بعد وصول الشيخ مربيه ربه إلى أرض «لاص بالماص» من طرفاية جوا .

3- توجه الركب برا إلى الجزيرة الخضراء ، ثم ركوب البحر إلى سبتة على متن سفينة إسبانية تسمى «سيوداد سبتة» في 28 من شوال 1357 هـ ، 21 دجنبر 1938م .

4- توجه الركب إلى تطوان برا والإقامة بها في ضيافة المخزن لمدة اثنين وعشرين يوما وزيارة مآثرها وتجديد أواصر المحبة والأخوة مع أعيانها وعلمائها .

5- توجه الركب برا إلى سبتة بع وصول وفد حجاج سيدي أفني وأيت بعمران

برئاسة الشيخ محمد الإمام ، ووفد وادي الذهب برئاسة سيداتي بن الشيخ الولي في 17 من ذي القعدة 1357 هـ .

6- رسو الباخرة بميناء طرابلس لمدة ثلاثة أيام ، وزيارة أضرحتها ومآثرها التاريخية والاجتماع ببعض علمائها وأعيانها في 20 من ذي القعدة 1357 هـ .

7- توقف الباخرة ببور سعيد ثم السويس في 27 من ذي القعدة ، ولقاء ولي عهد الخليفة السلطاني ومن كان معه من رجال الوحدة المغربية بمصر لطلب العلم .

8- الإقامة بمكة لمدة سبعة عشر يوما ، وأداء مناسك الحج بها وزيارة مساجدها وقبور الصحابة بها ، والاجتماع ببعض علماء وقادة الدول الإسلامية بها .

9- التوجه إلى المدينة المنورة عبر جدة بواسطة السيارات يوم الجمعة 20 من ذي الحجة 1357 والإقامة بها مدة ثمانية أيام ، وزيارة مساجدها ورياضها وقبور أبطال الإسلام بها .

10- رجوع الركب إلى جدة لركوب الباخرة في 29 من ذي الحجة .

11- عودة الباخرة إلى سبتة بعد رسوها عند جبل الطور والسويس وبور سعيد وطرابلس ومليلية .

12- توجه الركب إلى تطوان لحضور مجلس افتتحه الخليفة السلطاني لأمر الأوقاف واستقلال أحوالها في 16 محرم 1358 هـ .

13- رجوع الركب إلى سبتة ثم الجزيرة الخضراء ، ثم أشبيلية ، وزيارة المآثر الإسلامية بها في 19 محرم 1358 .

14- عودة ركب الحجاج إلى جزر الكناري يوم الثلاثاء 22 محرم 1358 هـ .

15- عودة الركب إلى طرفاية جواً يوم الأحد 27 محرم 1358 هـ .

16- عودة المؤلف إلى أهله بطنطان يوم 29 محرم 1358 هـ ، بعد اجتماعه بالشيخ مربيه ربه وبعض إخوانه .

وتتخلل هذه اللحظات مجموعة من الفوائد التي سجلها المؤلف طيلة هذه الرحلة ، كأخبار الذين شاركوا فيها وأسمائهم وقبائلهم ومراتبهم والأنشطة التي قاموا بها ، واللقاءات التي أجروها مع عدد من العلماء ورجال الفكر والسياسة في شمال المغرب وليبيا ومصر والحجاز مثل ، الفقيه محمد بن عبد القادر ابن موسى ، وزير الأحباس

في المنطقة الخليفية في الشمال والقائد محمد المصطفى ابن ادريس بن يعيش وأخيه الباشا محمد فاضل بن يعيش ، ورئيس الحزب الإصلاحي الوطني السيد عبد الخالق الطريس ، وعبد الوهاب بنمنصور ، مؤرخ المملكة حاليا ، والمكي الناصري وادريس الجاي وإبراهيم بن علي الدرقاوي ، وغيرهم من رجال الفكر والسياسة بتطوان ، والشيخ محمد بن محمد بن برخيص قاضي طرابلس ، والشيخ أحمد الشارف الحاكم بالمحكمة الشرعية بها ، والشاعر أحمد بن محمد فقيه حسن ، والشيخ محمد بن عامر من بنغازي ، وغيرهم من علماء وأدباء ليبيا ، والأمير شكيب أرسلان والشيخ جعفر بن صالح الكثيري من أرض حضر موت والشيخ محمد بن أمير جان ابن غلام بن أمير الله ، من الأفغان ، والشيخ محمد زباره من أمراء اليمن ، والشيخ عبد القيوم ولد الحاج سائبة حيدر أباد من السند ، والشيخ أمين الكتيبي ، وغيرهم من الأعيان والرؤساء الذين اجتمعوا بهم في مكة والمدينة .

وتندرج ضمنها أيضا مجموعة من الإجازات والرسائل والمساجلات والفوائد الفقهية والجغرافية والتاريخية التي تطول أحيانا حتى تقطع التسلسل الكرونولوجي للأحداث ، كبعض قصائد المؤلف ، وقصائد الشيخ مربيه ربه وقصائد الشيخ محمد الإمام ، وإجازة المؤلف في القرآن ، وإجازته لأبن موسى ، ورسائله إلى عبد الرحمان ابن زيدان وخاليه الشيخ مربيه ربه والشيخ محمد الإمام ، وتقاريره حول الكعبة وقياساتها وأساطينها ، ولباسها ، وماء زمزم وخواصه وفوائده ، وأبواب مسجد الله الحرام ومناراته ، وغير ذلك من النصوص والفوائد .

كما تتخللها أيضا قصائد ومقتطفات من بعض الكتب التي عبثت بها يد الضياع ، مثل رحلة الشيخ ماء العينين ورائية المؤلف في تخميس رائية الشيخ أحمد الهيبة ، وكتابه الذي يضم مساجلاته مع أدباء وشعراء الأقاليم المغربية الشمالية ، وغيرها من الأثار النادرة التي تميزها عن غيرها من الرحلات الحجازية التي كتبت في بداية القرن الماضي ، وتجعلها رحلة علم وأدب ووحدة ، فضلا عن مقاصدها الدينية .

أ	النسخة الأصلية
ب	النسخة الفرعية
و	ورقة
م ، خ	مخطوط خاص
[ ]	أشير بهما إلى أن ما بداخلها ليس موجودا في النسخة الأصلية ، مع التنصيص في الهامش على مصدر الإضافة .
« »	أشير بهما إلى ما بداخلهما من النصوص المستشهد بها في الرحلة .
( )	أشير بهما إلى عناوين الكتب المعتمدة في الرحلة
< >	أشير بهما إلى أن ما بداخلهما يوجد بهامش المخطوطة .

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ ماء العينين مربيه ربه الذي كان وراء اهتمامي بإخراج هذا العمل ، فقد شجعني على الاشتغال به وهيأ لي ظروف تحقيقه ، ولم يبخل علي بما أنشده في بيته من معلومات ضالة ، وفوائد شاردة ، فقرب لي كل بعيد ، وسهل علي كل صعب شريد ، ولم يكتف بذلك ، بل تفضل جازاه الله خيرا بكتابة كلمة لهذه الرحلة باعتبار جده الشيخ مربيه ربه رئيسها الديني وواحدا من أعلامها البارزين وشاهدا على ما تجسده في تاريخنا الحديث من عمق فكري ووطني تمتد جذوره في أعماق التاريخ ، كما أتوجه بالشكر بصفة خاصة إلى أستاذنا الفاضل الدكور عباس الجراري الذي يعود إليه فضل الريادة في الاهتمام بتراث أقاليم المغرب الجنوبية وتوجيه الباحثين إلى الاعتناء به بصفة عامة ، وتشجيعه لي بصفة خاصة على تعميق هذا الاهتمام ، بعد أن ألقى بذوره الأولى في أعماقي ، ورعاه بعلمه الغزير وأخلاقه العالية . كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الفاضل سيد القوم حفيد المؤلف وكذا المرحوم الأستاذ سعيد الفاضلي وغيرهم من الباحثين الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إخراج هذا العمل

ضبطا وتصحيحا .

كما أتوجه بالشكر أيضا إلى المشروع الجغرافي العربي «ارتياد الآفاق» على إخراجه لهذا العمل ورعايته له ، متمنيا للقائمين عليه المزيد من التوفيق والنجاح لتحقيق الأهداف النبيلة التي أسس من أجلها .

د . محمد الظريف 2004

نص الرحلة

النصف الأول
بدء الرحلة
من خروج المؤلف من طنطان
في
16 شوال 1357 هـ - دجنبر 1939 م
إلى مغادرته مكة في
18 ذي الحجة 1357 هـ - فبراير 1939م

بسم الله الرحمان الرحيم ،

وعلى سيدنا محمد وآله أزكى صلاة وسلم .

حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

« إن أوّلَ بيْتٍ وُضعَ للنّاسِ الذي بِبَكّة مُباركاً وهُدىً للعَالمين فيه آياتٌ بينات مقامُ إبراهيمَ ومن دخَله كان آمناً ولله علَى الناسِ حَجُّ البيْتِ من استطَاعَ إليهِ سبيلاً ومن كَفَر فإنّ الله غنيٌّ عن العالمينَ»[1] . «وإذْ بوأنَا

(1) سورة آل عمران، آية 96.

لإبراهيمَ مكانَ البيت أن لا تُشرك بي شَيْئاً وطهِّرْ بيتي للطائفينَ والقائمينَ والرُّكع السُّجودِ وأذِّنْ في النَّاس بِالحَجِّ يأتوك رِجالاً وعلى كلِّ ضَامِرٍ يَأتينَ من كُلِّ فجٍّ عَميقٍ ليَشهَدوا منافع لهُمْ ويَذْكرُوا اسم الله في أيام مَعْلومات على ما رزَقهمْ من بهيمَة الأنْعامِ فَكلُوا منها وأطْعمُوا البائسَ الفَقير ثمَّ ليَقْضوا تفَثَهُمْ وليوفُوا نُذورهُم ولْيَطوفُوا بالبيتِ العتيقِ ذلكَ ومن يعظِّمْ حُرُماتِ الله فهو خَيرٌ له عِندَ ربِّه»[2] .

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام والإيمان والإحسان ، فشرف بتلك النعم على أجناس مخلوقاته الإنسان ، وشرع من الدين ما وصى به نوحا وإبراهيم ، فجلى بأنواره عنا غياهب ليل الشرك البهيم ، ببعثة خاتم النبيئين وإمام المرسلين ، شفيع المذنبين وقائد الغر المحجلين ، معدن الشرف ، ومظهر الفضل والكرم صفوة العرب وإنسان عين الحرم ، سيدنا محمد الطاهرة ملته من الأدناس ، الوارد في أمته ، «كنتم خير أمة أخرجت للناس»[3] فأظهر به شعائر الدين ، وشيد قواعده ، وأعلى يده وقوى عضده وشد ساعده ، فكان أعدل من نهى وأمر ، وأفضل من حج بيته واعتمر ، وصل الله عليه وسلم تسليما ما قضيت به أمته الحاج ، وما تيمم من كل فج عميق بيت الله الحرام الحاج .

مطلب في بعض الآثار الواردة في فضل الحج وزيارة قبره ﷺ

وبعد فيقول أسير ذنبه ، أفقرُ العبيد إلى ربه ، ما العينين بن العتيق بن محمد فاضل ، وقاهم الله شر المخاوف والمعاضل ، الحسني الإدريسي القلقمي نسبا ، الشنجيطي إقليما ، المالكي مذهبا ، خديم شيخه الشيخ ماء العينين ومريده وسميه وابن عمه وحفيده :

إنه مما لا يخفى أن الرحلة لبيت الله الحرام من أعظم القربات التي تؤذن بنيل المرام ، وذلك لمن استطاع إليه سبيلا ، وسقي من أكوس العناية سلسبيلا ، ليؤدي

(2) سورة الحج ، آية 24-29 .

(3) سورة آل عمران، آية 110.

فريضة الحج وسنة العمرة ، فإن المتابعة بينهما تزيد رزقه وعمره .

قال ﷺ :«تابعوا بين الحج والعمرة ، فإن متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق ، وتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[4] . وقال ﷺ : «الحجاج والعمار وفد الله وزواره ، إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوا استجيب لهم ، وإن تشفعوا شفعوا»[5] . وقال عليه الصلاة و السلام : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[6] ، وقال ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث ، ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[7] . وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، أنه ﷺ قال له : أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ، إلى غير ذلك مما يطول جلبه وتطيب به نفس الحاج ويطمئن قلبه ، وناهيك من رحلة لم يبعث لها إلا حج بيته تعالى الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام التي تتأكد مشروعيتها وقربها من درجة الوجوب حتى أطلقه بعضهم عليها ، وعلى كل حال فمفروضيتها من مذهب محبته ﷺ واضحة لمن نظر إليها ، قال صاحب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)[8] في الباب الثامن في زيارة النبي ﷺ : روى الدار قطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن داوود القارئ عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»[9] . وفيه أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من حج البيت ولم يزرني فقد

---

(4) الجامع الصغير ، حديث رقم 3227 .

(5) نفس المرجع ، حديث رقم 3790 .

(6) نفس المرجع ، حديث رقم 5734 .

(7) نفس المرجع ، الحديث رقم 8626 .

(8) وفاء الوفا بأخبار المصطفى . هذا الكتاب هو لنور الدين السمهودي (804 هـ - 911هـ) ، وقد طبع بمطبعة الآداب والمؤيد سنة 1326 هـ . في جزئين .

(9) نفس المرجع ، حديث رقم 8626 .

جفاني» ، وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قال : «من زار قبري ، حلت له شفاعتي»[10] . وفي رواية عنه ﷺ : «من زار قبري وجبت له شفاعتي» . وفيه عن علي ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من زار قبري بعد موتي ، فكأنما زارني في حياتي ، ومن لم يزرني ، فقد جفاني» ، إلى غير ذلك مما تو كثر ، ودليله النقلي والعقلي شهير . وقال عياض رحمه الله تعالى : زيارة قبره ﷺ سنة بين المسلمين يجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ، وقال أبو عمران المالكي : زيارة قبر النبي ﷺ واجبة . قال عبد الحق : يعني من السنن الواجبة ، ويستدل أيضا بقوله تعالى : «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ»[11] الآية ، على مشروعية السفر للزيارة وشد الرحال إليها . وإذا ثبت أن الزيارة قربة ، فالسفر إليها كذلك ، وقد ثبت خروج النبي ﷺ من المدينة لزيارة قبور الشهداء ، فإذا جاز الخروج للقريب ، جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره ﷺ أولى ، وقد انعقد الإجماع على ذلك لإطباق السلف والخلف عليه . نرجوه تعالى أن يسعدنا بزيارته دنيا وأخرى ، وأن يجعل الاعتصام بحبل سنته ﷺ لنا ذخرا .

تاريخ ولادة شيخنا الشيخ ماء العينين ووفاته ﷺ

ولحب الحج والزيارة ، ما زلت من عنفوان شبابي ، وإن كنت في وطني بين أقربائي وأترابي وأحبابي معلق البال بالرحلة إلى الحرمين ، على أن العوائق إذ ذاك تصرخ بأن حديث النفس بها عين ، لكوني لا إرادة لي ولا عزم ولا همة مع أستاذ الأساتذة وإمام الأئمة ، قطب المشارق والمغارب ، المعد لقضاء الحوائج والمشارب ، مجمع مراشد الطرائق ، مركز الشرائع والحقائق ، مجدد القرن الرابع عشر ، المعترف بأفضليته جميع البشر ، المخصوص بكمال الخلافة النبوية ، الجاري على جادة السنة النبوية ، من عجزت عن كنه محامده الأفهام والأحلام ، وضاقت عن جمع مدائحه القراطيس

(10) نفس المرجع ، حديث رقم 8715 ج.

(11) سورة النساء ، الآية 64 .

والأقلام ، أستاذنا وملاذنا ومعاذنا شيخنا الشيخ ماء العينين ، المعلوم علمه ، الطائر صيته في كلا الكونين . ورحم الله والدنا العتيق ، حيث يقول من قصيدة في مدحه : [الطويل]

هو الشـيخ مـاء العـينين واللبسُ هاهنا
لعـمـريَ مـأمـونٌ لفـقـد المُجـانِـس[12]

فقد نشأت بحمد الله في حجره وكفالته ، لا تعدو عيناي عن شمس خيبته وجلالته ، مُلقىً في يديه عنانُ نفسي وزمامُها ، مبتهجة بأن ليس في الوجود سواه إمامُها ، متمسكة به تمسك الأعمى بقائده ، مغمورةً في فيوض إفادته وفوائده ، بل لا يمكن أن يسع غيرَهُ صدري متيقنا بأنه يدري من حالي ما لا أدري ، وكيف لا وهي عين جلالة قلبي من كل رَيْن وغَيْن ، ولا أستطيع الصبر عنه ولا طرفة عين ، به غذاء جسمي وروحي وروعي ، وأقلده غاية التقليد في معتادي ومشروعي ، فما صح في حياته ﷺ تخلفي عن جنابه المحترم ، ولو كانت تعتريني بعض الساعات أشواق الحرم ، مع أن شيخنا يرى أن فريضة الحج ساقطة لأسباب عديدة في تلك المدة عن أكثر الشناقطة ، إلى أن قضى تعالى بقبضه إليه ، وإيثاره بما من الأفضال والإكرام اعتمد عليه ، وذلك في منتصف ليلة الثلاثاء الحادية والعشرين من شوال عام ألف وثلاثمائة و ثمانية وعشرين من هجرته ﷺ بمدينة تيزنيت إحدى قرى السوس الأقصى ، وعمره ﷺ وأرضاه إثنان وثمانون سنة وثلاثة وخمسون يوما ، لأن ميلاده وقت المقيل يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان الأبرك عام ستة وأربعين بعد المائتين والألف ، كما نظمه ﷺ بقوله :

في عـام رؤمش بشـهـر شـعـبـان
في يوم زك مـولدي وذا اسـتـبـان

---

(12) من قصيدة في مدح الشيخ ماء العينين مطلعها :

أرقت لبرق آخر الليل طامس وقومي حولي بين غاف و ناعس

الأبحر المعينية في الأمداح المعينية ، ص . 553 ، تحقيق أحمد مفدي .

يوم الثلاثاء مقبلا والشكور
أشكر لنعمتي مدى الدُّهور[13]

وذيّلهما جامعه بهاذين البيتين في تاريخ وفاته ﷺ :

وقد توفى بلا احتمال
في الحادي والعشرين من شوال
في عام حكسش لدى انتصاف
ليل الثلاثاء بلا خلاف

قدس الله روحه ورضي عنه وأرضاه وجعل في أعلى الفراديس مثواه ، «ثم شاء الله أن زالت تلك الأسباب الشنيعة التي كان يرى شيخنا أنها سقوط الحج ذريعة»[14] فتزايدت يومئذ أشواقي وتوالت تباريحي وأتواقي إلى مزار البقاع الطاهرات ، ومشاهدة الحضرات الباهرات ، لكن لم تزل كثرة العوائق مانعة ، ونوائب الدهر العظام دافعة ، وإنما أعلل نفسي بعسى ولعل ، والأمر لله فما شاء فعلْ ، وأنشد بيتين في المعنى :

هوِّنْ عليك فإن كُلَّ مُقَدَّرٍ
سيكون كيفَ تُغالَبُ الأقدارُ
وارْمِ الأزمَّة للمُكوِّن تسترحْ
فلكل شيء عنده مقدارُ

(13) رومس : تساوي بحساب الجمل 1246 ، وهي السنة الهجرية التي ولد فيها الشيخ ماء العينين .
زك : تساوي 27 اليوم الذي ولد فيه الشيخ من شعبان .
حكسش : 1328 بحساب الجمل ، وهي السنة الهجرية التي توفي فيها الشيخ ماء العينين

(14) أ ـ و . 6 .

مطلب في بيان أسلوب المديحيات التي فتح الله بها على صاحب الرحلة وتاريخها

فلما كانت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف 1349 ، فتح الله تعالى علي بقصائد خدمت بها جانب النبي ﷺ الكريم في بعض المستطاع ، من مدائح قدره العظيم ، نظمتها على أسلوب لم أر من سبقني إليه مراعاة للتفنن في أساليب ، الثناء عليه ، وذلك أني جعلت في كل قصيدة منها ثمانية وعشرين بعدد الحروف ، وكل بيت من القصيدة افتتحته بحرف على سبيل الترتيب المعروف ، فجعلت عدة القصائد ثمانية وعشرين كذلك ، وكل واحدة تخص برويها من الحروف على المتابعة كما هناك ، وأفتتح بالحرف الذي هو روي القصيدة بيتها الأول ثم أتابع من لدنه سرد الحروف حتى تُستكمَل ، إلى أن أختم بالحرف الذي قبل الحرف المفتتح به ، كما وصف ، والتزمت في كل بحر قصيدة تيامنا بكمال الأرب حتى اكتملت البحور الخمسة عشر التي استعملتها العرب . ثم أعدت بعد ذلك ما دعت له القريحة منها ، وجعلت آخر قصيدة منها في بعض أوصاف ذاته ﷺ الشريفة ، وسميتُها (مطالع الأنوار في مدائح المختار)(15) . فلما من الله علي بإتمامها والنفس في غاية شوقها وغرامها ، رجوت من الله وبجاهه ﷺ أن ييسر لي إنشادها عنده في مدينته المنورة ، فحست نفسي بفضل الله عند ذلك بالإجابة وبلوغ الأمنية من بركة مديحه ﷺ واطمأنت بأن الفرج حصل . ومن ذلك الوقت لم أشكّ بحمد الله في أن الله ييسر لي فضلا منه زيارة نبيه عليه السلام ، وحج بيته الحرام ، لكن لكل أجل كتاب ، وليس على من غلبه الشوق عتاب .

ولا بأس بذكر القصيدتين الأوليين والقصيدة الأخيرة من هذه القصائد المذكورة هاهنا ليتبين للسامع حالُها ، ويزول عنه إشكالها ، وللتبرك والتيامن بمدحه ﷺ .

(15) مجموع اسلم ، من الورقة 44 إلى 72 مخطوط .

القصيدة الأولى[16] :

[الطويل]

أثَارَ الهوَى بَعْدَ الحبيب أداؤه
فوَجْدي به حقٌّ عليَّ أداؤه[17]

بأن أبكيَ الرَّبعَ المُحيلَ بجَنْبه
فحتماً على عين المُعنَّى بُكاؤه[18]

تَعَاورَه أيدي العواصف فانجلى
بلُبس جديدات السَّوافي عفاؤه[19]

ثوت فيه إذ بانت شبيهاتُها المها
على أنه بين الضُّلوع ثواؤه[20]

جنحتُ له رعيا لعهد الألى به
عهدتُ وإن هاج اشتياقي انتحاؤه[21]

حقوقَ الهوى أرعى ، فلا أرعوي ومَنْ
يُراعي الهوى يصْعُبْ عليه إرعواؤُهُ

خسرْتُ إذاً إنْ لم يجرني محمد
فكُلُّ خسار بالنَّبيِّ اتِّقاؤُهُ

(16) مجموع سلم ، و . 47 .

(17) أداؤه : الأولى اسم موضع بالصحراء والثانية : القيام به ، وفي البيت جناس .

(18) الربع المحيل : الذي أتت عليه الأحوال وغيرته .

(19) تعاوره : تداولته الرياح مرة تهب جنوبا ومرة شمالا ، مرة قبولا ومرة دبورا .

- السوافي : الرياح اللواتي يسفين التراب

- عفاؤه : ترابه .

(20) ثوت : أقامت به طويلا .

(21) انتحاؤه : الميل إليه .

دعوتُ رسولَ الله والداء معضلٌ
ومن يدعُهُ يذهبْ على الفور داؤُهُ

ذُنوبي منها بالشفْع أحتَمي
ومن يستجرْ يُغفر بطهَ خَطاؤهُ

رسولٌ حباه الله بالحمد والورَى
وراء ثناء الله كيف ثناؤهُ؟

زعيمُ النبيئين المتاحُ بيُمنه
لسائر خلق الله منه عطاؤُهُ

سراجٌ منيرٌ لا يلوح بذرّةٍ
من الكَوْن إلا نُورهُ وضياؤُهُ

شفيعٌ إذا لم يُلفَ في الحشرِ شافع
ولولاهُ لم تَشفعْ به شُفعاؤهُ

صراطُ الهدى منه استنارَ ولم يجُزْ
سوى مَنْ به فوقَ الصراط اهتداؤُهُ

ضَميرُ الليالي ضاق عنه فبشّرَتْ
به كلَّ وقت قومَها أنبياؤهُ

طريقتُهُ المثلى نفت كلَّ ملّةٍ
فلم ينجُ إلا مَنْ حماهُ اقتفاؤهُ

ظماءُ غد موروُدها العذْبُ حوضُهُ
وأيّةُ فوز العبد منه ارتواؤهُ

عوائدُهُ فضلٌ ، وجزلٌ كلامُهُ
وأحكامُهُ فضلٌ وعدلٌ قضاؤُهُ

غلوُّ النصارى في المسيح ضلالةٌ
فذَرْها وقلْ ما في علاهُ تشاؤهُ[22]

---

(22) علاه : مدحه في «د»

فــغــايةُ أسنى المرسلين افــتــتــاحُــــهُ
وكـل سَنَاء مـــبــــتـــداهُ ســــنـــاؤُهُ
قــد اصطنعَ الله البِـــرايا لأجْلـــــه
عـــمـــومـــاً ، فــعــمَّ العــالمينَ غـــناؤُهُ
كـفـاهُ من الآي الكتــابُ وحـــســبُـــهُ
من المدح ، مـــا تتلوا به عُلــــمــــاؤُهُ
لكلِّ نبيٍّ دعـــوةٌ مـــســـتــجــابـــةٌ
دعـــاها ، وللمـــيــعـــاد يُرجى دعـــاؤُهُ
مـدى الدهر مـحـمـودُ المقـام مـقـامُـــهُ
وأمَّـــا لواء الحـــمـــدِ فـــهْـــو لـــواؤُهُ
نبـي تنـي الأفـكارُ دون خــــلالـــــه
وحـــســبك مـــا منهـــا جلت خُلـــفـــاؤُهُ
همُ أبوا بكرٍ وحــــفصٍ وصــــهــــرُهُ
عليٌّ و عـــثـــمـــانُ المهـيبُ حـــيـــاؤُهُ
وباقي الصَّـــحـــاب المصطفين ، فكلهمْ
من المصطفى إذ صـــاحـــبـــوه اصطفـــاؤُهُ
يُصلي على المختـــار والصـــحب ربُّهُ
ويوتى به للمـــرتجـــيـــه رجـــاؤُهُ

القصيدة الثانية[23] :

[البسيط]

بادى الهـــوى لم تُفِـد نجـوى مُـؤنِّبـه
والدمعُ يوضح سِـــرَّ المســتكنِّ بــــه

---

(23) مجموع اسلم ، و 48 .

تري اللُّحـــاةُ الهـــوى للّومِ داعـــيـــة
والحب مـــا لهم عَلمٌ بمـوجـــبـــه(42)

ثرّب أو اعـذرْ فـمـا تُجـدي عـذُولُ وفي
أذْن المتـيَّم وقْــرٌ عن مــثـــرّ بـــه(25)

جـــيلُ المحـبَّـــة أشـــتـــاتٌ مــذاهــبُــهُ
والمهــتــدي منه ينحـــو بمــذهبـــه

حُبُّ النبي فـجنّب غـيـر جـانبـه
ولُذْ به ، وتبـاعـد عن مسجُنّـبـه

خـيـرُ النبـيين من مُـدُّوا بأبحـره
فـمـا لهم مـشـربٌ إلا بمشـربـه

دانُوا لـه ورعـايـاهم لأمـتـه
دانوا ودانت مـبـانيـهم ليـثْـر بـه

ذُلّت لدعـوته الأمـلاكُ واعـتـصـمـوا
بظهـره حين أصـمـاهم بمنـكبـه(26)

رامت مـعـارضـة التنزيل فُـصْـحُهُمُ
أولوا النهى ، فـتناهوا دون مـعجـبـه(27)

زواجـــرُ الحقّ بالآيات مِن فـمـه
تهْـدي بالبـيض من راحـات مـوكبـه(28)

---

(24) اللحاة : العذل .

(25) ثرب : أنب وبالغ في اللوم

- وقر : ثقل

(26) الأملاك : الملوك

- أصماهم : أصابهم .

(27) فصحهم : بلغاؤهم

(28) زواجر : أوامر ونواهي

سل إخوةَ الحرب عن مرْهوب صارِمِه
وإخوةَ السلم عن مسكوب صيِّبِه[29]
شاء المكوِّن إيجادَ المكوَّن من
نور النبي ، فكان العالَمُون به[30]
صبْحُ الظهور به عمَّ العصورَ ، فمن
يعشو بمشرقه عنه ومغربِه[31]
ضوءٌ به حالك الجهل المجلى به
ليلُ العمى انكشفتْ عمياءُ غَيهبِه[32]
طوبى لمن نال تقبيلا لأخمصه
وعفَّر الوجهَ في موطوء تيربه[33]
ظِلٌ ظليلٌ أظلته السُّحاب وهوَ
نور ، فكيف يُرى ظلٌ لكوكبه؟
عُروجُه لشُهود القُرب كان مكا
ن القاب فيه أو أدْنى من مُقرَّبِه
غاضت لميلاده الأنهارُ وانطفأ النيـ
ـران ، والشرك ساه غير مُنتبَه
فبان إذ ذاك والإيوانُ منصدعٌ
في دولة الكفر صدعٌ غيرُ مشتبه

---

(29) صيبه : منحه : وعطاياه

(30) المكون : الخالق .

(31) يعشو : يظلم بصره ، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : «ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين» سورة الزخرف ، الآية 43 .

(32) غيهبه : شدة ظلامه

(33) تيربه : ترابه .

قــال الهــواتفُ والكهــانُ حــان أوا
نُ الهــاشــمي كــريم الأصل طيــبــه[34]

كــذلك الحقُّ لا تخــفــى دلائــلــه
ولو طغت ضلة عــبنا مكذّبــه

لا تالُ جــهــدك في مــدح النبي ، فــمن
يقــصــد به مــأرباً يظفــرْ بمأربــه

مــا القــصــدُ إحــصــاؤهُ إذ لا سـبـيل لهُ
فــمــوجــزُ القــول في هذا كــمطنبــه

تُهــدي المديح إلى الهــادي الأمين علــى
مــقــدار طاقــتنا لا قــدر منصــبــه

هل يخــتــشى العلةَ الراجي بحــرمــتــه
بُرءاً أو الشــدةَ اللاجي لمهــربــه؟[35]

وارحــمــتــا منه لي فــهْــو الرحــيم ، وهــل
ســوى رحــيــم الورى يَرثــى لمذنبــه؟

يا ربِّ صلِّ على الماحي والآل و الاعــلام
الألى خَلَفُــوهُ من بني أبــــه[36]

أبا بكرٍ وحــفصٍ والحــسيْــن
وعــبد الله والمقــتــفي آثار نيْــسَــبِــه

(34) الهواتف المخبرون .

(35) مهربه : ملجئه .

(36) الماحي ، من أسماء الرسول ﷺ ، محا الله به الكفر وأثاره

القصيدة الأخيرة[37] :

[الوافر]

يَحارُ لنعت ما اشتمل النبيْ
عليه من الجمال اليلمعيْ[38]

أما ومَنِ اصطفى وصَفَيْه ما إن
لهُ في الخَلق والأخلاق سيْ[39]

بهيجُ الوجه ، في تدوير حُسن
لشمس الصَّحو منظرُهُ البهيْ

ثناياه مفلجةٌ ، سناها
يُنسّى البرق ساطعُهُ السنيْ[40]

جليلُ مُشاشٍ ، أبيضُ مُشْربٌ ، بادنٌ ، متماسكٌ ، لَيْنٌ قويْ[41]

حلاوةُ نطقه الصهباءَ ذامتْ
وذُمَّ لطيبه الروضُ النَّديْ[42]

خميصُ الأخمصين أزجُّ أقنى
كحيلُ الجفنِ في دَعج حَييْ[43]

دقيق أنيقُ مسْربه ، ومنه
سواها البطنُ عارٍ والثَّديْ[44]

---

(37) مجموع اسلم ، و 71 .

(38) اليلمعي : الداهي الذي يتظنن الأمور فلا يخطئ ، الذكي المتوقد .

(39) سي : مثل

(40) ثناياه : أسنانه الأربع في مقدمة فمه ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل .

(41) مشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، وجمالها من صفات الرسول ﷺ .

(42) ذامت : عابت .

(43) أزج : من الزجج وهو دقة الحاجبين وطولهما ، وهي من صفاته ﷺ .

(44) المسربة : الشعر المستدق النابت وسط الصدر إلى البطن .

ذريعُ المشي في قـــصْـــد وقـــلـع
كـــأنْ لخُطاهُ منْ صَـــبَبٍ هَـــوي[45]
رحـــيبُ الرّاح ، شـــثْنُ الكفِّ مـــا بيـــ
ن منكبـــهِ ومنكبِـــه قـــصـــي[46]
زرى جـــيـــدَ الدُّمى منـــه وأزْرى
بصـــافي الفـــضَّـــة العنقُ النـــقيُّ
ســـواءٌ صـــدره والبطنُ فـــيـــه
جـــمـــيلُ الخلق ، مـــعـــتـــدلٌ ســـويُّ
شُـــعـــاع الجـــسم عنه الظلَّ حِـــسًّـــا
نفـــى وأحـــاط منهُ المعنـــوي[47]
صـــبـــيحٌ أزهرُ اللون ابتـــلاجـــاً
رخـــيمٌ صـــوتُهُ ، حـــسنٌ شـــهـــي[48]
ضـليعُ فم ، أســـيـــلُ الخـــدِّ ، طـلقٌ
كـثـيـرُالخـفض ناظرُهُ العَلـــي[49]
طويلٌ زنْدُهُ ، ضـــخمٌ كـــراديـــسُـــهُ ،
وجـــبـــينُهُ فـــسحٌ ، وضـــي[50]

(45) ذريع المشي : سريع المشي - قلع : ضرب من المشي يمشي فيه صاحبه وكأنه ينحدر - صبب : نهر أو طريق يكون في حدور ـ هوي : : كأنما يهبط من فوق ، وهي من صفاته ﷺ

(46) شثن الكف : غليظها ـ قصي : بعيد .

(47) الظل : منصوب على المفعولية .

(48) ابتلاجا : إشراقا .

(49) ضليع فم : عظيمه ، وهي من صفاته ﷺ ، أسيل خد : طويله ، وهي صفة من صفاته ﷺ ـ طلق : ذو بشر حسن .

(50) زنده : موصل طرف ذراعه في الكف ـ كراديسه : مفاصله .

ظِهَارةُ حُسْنِه الأوصافُ عنها
تَكِلُّ فكيفَ باطنُهُ الخفي؟[51]

عظيمُ الرأس ، والأطرافُ منهُ
سوائلُ ، والحجا يقظ ذكيُّ

غسيلُ القلب من دنسٍ ، وكم من
عظيم فيه صبٌّ ، وهو صبيُّ

فصيحٌ أهدبُ الأشفارِ رجْلُ
مليحُ كثُّ لحيةٍ ، أخودي[52]

قسامةُ ذاته الحسْناء أنَّى
يقاس بها الجمالُ اليوسفي[53]

كساها ذو الجلال حُلى جلالٍ
له نُسِي الجلالُ المُوسَوي[54]

لقد كَمُلتْ مبالغُ كلِّ فِكْرٍ
وما بُلغ الكمالُ الأحمديُّ

محمدنا إليك المدحَ نُهدي
وإنَّك عن مدائحنَا غَنيُّ[55]

نؤمّلُ ما يؤمّل منك أيَّا
وبالمأمول ما دحُك الحَرِيُّ[56]

---

(51) ظهارة : ما علا وظهر ولم يل الجسد .

(52) رجل ، شعر رجل ، بين المبسوطة والجعودة ، وهي صفة من صفاته ﷺ

(53) اليوسفي : نسبة إلى يوسف عليه السلام .

(54) الموسوي : نسبة إلى موسى عليه السلام .

(55) المدح : منصوب على المفعولية .

(56) أيا : كل ما يؤمل .

همَتْ ديمُ الصـــلاة عليك تَتْــرا
ومــدْرارُ الســلام السَّرمــدي[57]
ودامَ على صَــحَـابَتِك التَّــرضــي
وأولانـا رضــاه بك الولـــيْ

بعض فوائد هذه القصيدة الأخيرة

وهذه القصيدة مشتملة على جل نعوت ذاته ﷺ الشريفة. وأوصافه ﷺ مجربة لنيل الحوائج والحفظ من المكاره لمن حفظها نظما أو نثرا، وكذلك من جعلها في موضع يأمن من الحرق والغرق والسرقة والنهب، إلى غير ذلك. وهذه القصيدة من رجائنا في الله أن من حفظها أو جعلها في محله، ينال ذلك وأكثر، والأمر كذلك إن شاء الله، وكيف لا، وبركاته ﷺ لا نهاية لها، وإنما الشأن في الاعتقاد، والله يوفي المراد.

تاريخ قدوم صاحب الرحلة على الشيخ مربيه ربه في الطفاية إذ تعاهدا في الحج مرافقة

ثم لما كانت سنة أربع وخمسين بعد ثلاثمائة وألف، قدمت على الإمام الأستاذ العلامة، القدوة الملاذ، جامع الشريعة والحقيقة، المتحافظ على سلوك أقوم طريقة، كامل الفتوة والمروءة والأبوة، سيدنا الشيخ مربيه ربه[58] بن شيخنا الشيخ ماء العينين

---

(57) همت: سالت وسقطت ـ ديم: مطر دائم في سكون.

(58) الشيخ مربيه ربه، هو محمد المصطفى الملقب بالشيخ مربيه ربه، ولد سنة 1298 هـ 1880م. بوادي الذهب، تولى قيادة الحركة الجهادية بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين رفقة أخيه الشيخ أحمد الهيبة وباقي إخوانه، توفي بتفدارت سنة 1942، وهو من علماء الصحراء وشعرائها البارزين. خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها: «قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين»، «البانة المجاهدين وبغية الطالبين»، «صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار»، «ديوان ضخم» وغيرها. أنظر ترجمته في جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية- سحر البيان، و. 130، وغيرهما.

ـ دام عزه وعلاه ـ في مدينة الطرفاية ، ووجدته منبعث الهمة إلى الحج ، عازما عليه تلك السنة ، إن ساعدته المقادير ، وقال لي : كنت أود مجيئك هذا وأتمناه لمرافقة في الرحلة إلى الحج ، فسررت بذلك غاية السرور ، وحمدت الله عليه . وكان مقدمي عليه في رجب من السنة المذكورة ، فأقمت عنده إلى يوم عيد النحر ، وقد بذل جهده في توجهنا إلى الحج هذه السنة ، فلم يساعد الحال في ذلك ، وكل شيء عنده بمقدار ، ثم رجعت إلى الأهل بأحياء العرب الصحراوية بعدما عاهدني الشيخ قدس الله روحه أنه متى تيسر له السفر إلى الحج يبعث لي للمرافقة ، مع أنه لا يال جهدا في الحال التي يتيسر بها بحول الله .

تاريخ حجة الشيخ مربيه ربه الأولى وقصيدة لصاحب الرحلة في مدحه وتهنئته بحجته

فلما كانت سنة ست وخمسين ، يسر الله بفضله للشيخ مربيه ربه الرحلة[59] إلى الحج ، فبعث إلي حسبما عاهدني رغبة منه في صحبتي إياه ، وإحسانا وإفضالا علي فيما هو الغاية القصوى والمنية العظمى ، فلم يبلغني رسوله ، لأنا تلك الأيام ، قادنا المرعى إلى صحراء بعيدة ، فلم يمكن الرسول بلوغنا ، ولم نعلم بحج الشيخ إلا بعد إيابه ، فمسني حزن من الأسف والندم على ما فاتني من مرافقته ـ أعزه الله ـ إلى الحرم ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سيجعل الله بعد عسر يسرا .

فلما كانت السنة القابلة ، سنة سبع وخمسين ، قدمت على الشيخ ـ أعزه الله ـ بمدينة الطرفاية في جمادى الأولى للسلام عليه والزيارة منه وتهنئته بالحج وزيارة رسول الله ﷺ ، وأنشدته هذه القصيدة في مدحه وتهنئته ، وهي[60] :

---

(59) يقصد رحلته الأولى إلى الديار المقدسة سنة 1356 هـ الموافق لسنة 1937 عن طريق تطوان .

(60) مجموع علي مربيه ربه ، ورقة 3 ، مخطوط .

[الطويل]

هو الشِّعر للأكفاء شهدتُهُ تحلو
إذا صاغه من كنز باعثه الفحلُ،[61]
فينساغُ عذباً للفهوم كأنما
بأثنائه تُلْقِي مُجاجتها النحلُ،[62]
وأبلغهُ ما ليس فيه تكلُّفٌ
على حسن سبْكٍ فهْو ممتنع سهلُ
وأبياتُهُ يستوعبُ الظرف نسجَها
إذا مِنْ سداها حيكَ في غزلٍ غزْلُ
ويزدانُ بالدُّر المديحي نظمُها
كما زان أطرافَ الخَدلَّجة الحجلُ،[63]
فينفُثُ في الألباب سحْراً سماعُها
كما تنفُثُ السحرَ المباسمُ والنجْلُ
فصدِّرْ وأوجز في النسيب وبعدهُ
تخلَّص واطْنبْ في المديح ولا تغلو
ولم يغلُ من لبَّى دعايةَ موجب
لإنشائه الأمداحَ فيمن لها أهلُ
ولا بدعَ أن جادت ببكر قريحة
تُزفُّ عروساً ، والجوادُ لها بعلُ
وأي جوادٍ كالمُربِّيه ربَّهُ
إذا ضاقت الأحلامُ واتسعَ المحْلُ
فتىً لم يُجبْ إن سيلَ سيْباً لسانهُ
بغيرنعمْ ، والقولُ يصْحَبُهُ الفعلُ

(61) صاغه : صاغها في مجموع علي مربيه ربه .

(62) فينساغ : فينساق في المصدر السابق .

(63) الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين .

به تُضربُ الأمثالُ في كل مدحة
وما في ضروب المكرُمَات له مثلُ
بسنّة طهَ والكتاب اعتصامُهُ
هما الحبْلُ حبْلُ الله ، ياحبّذا الحبلُ
بناديه لا ينفكُ يتْلوهما معاً
فلهجتُهُ تتلُو ، ومنهجُهُ يتلو
وكم جعلتْ للمُرملين إلى الغنى
يداهُ سبيلاً حيث تنقطع السُّبْلُ
تُظاهرُ بينَ اللّثم والبذل كَفُّهُ
فظاهرُها لثمٌ وباطنُها بذلُ
ويفرُقُ بين الحق والبطْل هدْيُهُ
فمامورُهُ حقٌ ومنهيُهُ بطلُ
إذا ما خصالُ المجد عُدّتْ ، فإنما
له قَصباتُ السبق منهنّ والخصْلُ
بنو فاضل سادُوا ، وقد ساد فيهمُ
ومَن سادَ في مامينَ حُقّ له الفضلُ[64]
همُ الحكماءُ الحاكمُون على الورى
ولكنْ عليهمْ يحكمُ الفضلُ والعدلُ
إذا رغبوا لا يستفزُهم الهوى
وإن غضبُوا لا يستخفُّهمُ الجهلُ
وإن خطبوا لا يستربُهم الخَطا
وإن وهَبُوا لا يستميلُهُمُ المطلُ

---

(64) بنو فاضل : يقصد أحفاد الشيخ محمد فاضل بن مامين والد الشيخ ماء العينين .

ـ مامين : جد الشيخ ماء العينين ، وفي البيت تجنيس .

بنيت أبا الأمـجـاد في العـز مـا بنـوا
وحـسـبكَ مـا الأسـلافُ يبنونَ من قـبلُ
حكيْتَ أباك اسـمـاً ووَسـمـاً ومنظـراً
ولا عـجبٌ إن شـابه الأسـدَ الشـبـلُ،[65]
وهيَّـأتَ أسـبـابَ المكارم للألـى
تـفـوكَ فلم يَبْـرحْ بهـا لهم شـغلُ
ومن صـادف المعـراج من حـيث شـاءهُ
إلى رُتَبِ العليـاء من أينَ لا يعلـو؟
وأنسيتَ مـعنى في السمـاح وكـيف لا
وجـودُك مـعنىً تاه في وصـفـه العـقلُ؟
فـواضلُ لوْ أنَّ ابن يحي اسـتـبـانـهـا
بيُـمناك لا سـتـزْرى فـواضلهُ الفـضـلُ،[66]
أذا مـا أخـذنا في مـديحك سـاعـدت
عـذارى المعـاني فـيـه والمقْـولُ الجـزلُ
ومـهـمـا تـكلَّفْنا تماديحَ غـيـره
يكون على الأفكار منْ دونهـا قُـفْـلُ
ليَـهْنك حجُّ البـيت أدَّيتَ فـرضَـهُ
وقـدْمـاً يؤدَّى عندك الفـرضُ والنَّفْـلُ
قـدمتَ له تقـضي المناسكَ سـاعـيـاً
على قـدمٍ هامُ الملوك لهـا نعْـلُ

---

(65) يشير إلى أن الممدوح يحمل اسم أبيه محمد المصطفى كما يشبهه في الوسم ، أي الجمال وفي الكثير من الصفات كالخط والقامة والعلم والشعر وغيرها .

(66) الفضل : الفضل بن يحيى (179هـ 193 هـ 765مـ 808م) وزير الرشيد العباسي وأخوه من الرضاع ، يضرب به المثل في الجود ، توفي بسجنه بالرقة بعد نكبة البرامكة ، الأعلام ، ج . 5 ، . 151 . الزركلي .

بذلت له لله نفسك مُخلصاً
ودأبُك في المعروف والطاعة البذلُ
فلو سُئل العامَ الحجيجُ لأذْنتْ
بأنْ حَجٌ فيها البدرُ تعنيكَ والوَبْلُ
وأَنْ طاف بالبيت السكينةُ والتُّقى
وصرفُ المزايا والإنابةُ والنُّبْلُ
حججتَ وأنت الحجُ تاوي لك الورى
وفوداً كما ياوي إلى أمِّه الطفلُ
ولله يومٌ عند طيبةَ ألقيت
عصا سيرك المبرور واسْتُنزلَ الرحلُ
وزرتَ رسول الله والطرفُ مُطرقٌ
وعَبْرتُهُ من هيْبَة القرب تنهلُ
ورُحْتَ قريرَ العين منشرحَ الحجا
أن الْتأَمَ الفرعُ المشوقُ والأصلُ
هنيئاً لك الوصل الذي أنت أهلُهُ
لمن لا يشوقُ الدهر إلا له الوصلُ
لئن زرتَهُ في عالم الحسِّ زورةً
فَمِنْ زوْره في عالم الغيبِ لا تخلُو
أدامَ له الرحمانُ أحْلى تحيَّة
ودام بمحيَّاك الزمانُ لنا يحلُو

تبشير الشيخ مربيه ربه لصاحب الرحلة بتيسير الحج عام حجهما

فلما فرغت من إنشادها ارتاح لها ، أعزه الله أي ارتياح ، وقال : والله إنها لأشهى من تعاطي الراح ، ودعا بكثير من الدعاء ، نرجوه تعالى إجابته ، وأظهر من التأسف على عدم حجي معه في العام الماضي أكثر مما وقع لي ، ثم قال لي : لكن أبشرك ، سنحج هذا

العام ، إن شاء الله معا ، لأن الدولة الإسبانيولية عهدت إلي أني أحج ثانيا في الباخرة التي حججت فيها العام الماضي ، وأن تحج معي رفقة أكثر من رفقائي الماضين ، وقالوا لي : سم من شئت منهم لنا كتابة ، وأول من كتبت إسمك ، وإذا وصل وقت السفر سأعلمك ، إن شاء الله ، أينما كنت ، فتضاعف سروري بذلك وحمدت الله عليه ، ودعوت للشيخ أعزه الله على هذه التكرمة ، وعلمت أن الأمر إن يكن من عند الله يمضه ، وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل الكريم ، نرجوه تعالى أن يقابلنا بمحض فضله وجوده وكرمه ، ويجازي عنا الفضل العظيم ، نرجوه تعالى أن يقابلنا بمحض فضله وجوده وكرمه ، ويجازي عنا سيدنا الشيخ المربيه ربه أحسن جزاء .

تاريخ نزول صاحب الرحلة قرية الطنطان بأهله

ثم لبثت عنده أياما قلائل ، ورجعت إلى الأهل فارتحلنا و نزلنا قرية الطنطان فاتح جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، فتتابعت زفراتي وأنيني وكثر اشتياقي وحنيني ، وصار الحرم كأنه نصب عيني ، وكأن ليس شيء بينه وبيني ، ولا شغل لي إلا التشوق والتوق إلى مشاهدة ما يُبْرِي غُلة الشوق . ورءاني يوما بعض الأحبة ذاهل القلب ، غير مبال بشيء من أحوال المتعلقات ، فسألني ، ما سبب هذا الحال الذي أنا فيه ، فجرى على لساني هذان البيتان ارتجالا ، وهما :

نبـذتُ الشُّـغلَ خلف الظَّهْـر لمَّا
غـدا حـرمـا تهـامـةَ نصبَ عَـيْنِي
فـبـالي قـد أبى لي أن أبالـي
بحـالٍ حـالَ بينهُـمـا وبيني

قدوم الشيخ عبداتي على الطانطان وصحبته

كتاب أخيه الشيخ مربيه ربه لصاحب الرحلة ليقدم لسفر الحج

ولم تزل رسائل الشيخ أعزه الله تترا علي مبشرة بأن الحال على حاله ، والمرجو من

الله تعالى أن ينعم بكماله، فأتسلى بكتاباته المفرحة، وإن كانت تثير كوامن الأشواق المبرحة، إلى أن قدم علينا الأستاذ القدوة، الشيخ عَبْداتِ[67] ابن شيخنا الشيخ ماء العينين في الثاني عشر من شوال في العام المذكور الذي هو عام 1357 وصحبته كتاب من عند أخيه سيدنا الشيخ مربيه ربه، بعثه إلي متضمنا استقدامي على حضرته الشريفة بالطرفاية، ومُخْبرا بأنْ حان الوقت المنتظر، وأني آخذ في أهبة السفر، فتكاملت بحمد الله أفراحي، وذهبت أحزاني وأتراحي، وحمدته تعالى حق حمده على ما أنعم به من فضله مما لم أكن له أهلا، ورجوته أن يجعل بفضله كل صعب لنا سهلا، وأن يتولاها، ويتولانا، ويوفقنا في جميع الأحوال، ويبلغنا جميع المثارب والآمال وتيامنت بإتمام هذا الأمر على الوجه الأحسن الأتم لمجيء الكتاب بعد أن أتممت قصيدة كنت أنشئها في مدحه ﷺ، وهي[68] :

21 قصيدة في مدحه ﷺ لصاحب الرحلة أنشأها أيام تهيئه للحج

[الطويل]

ألا مَنْ لعين عــز وجــداً هُجــودُهــا
وهانَ عليــهــا بالمدامع جُــودُهـــا[69]
تفــيضُ لذكــر الفــيــضــتــيْن بعَــبــرة
كــأني إذا كــفكفــتُـهــا أســتــزيدُهــا[70]

---

(67) الشيخ عَبْدات: هو محمد عبد الوهاب الملقب الشيخ عبدات بن الشيخ ماء العينين، ولد في رمضان عام 1301هـ 1883م، وكان من الصلحاء الموفقين والعلماء المشاركين، وكثيرا ما كان والده الشيخ ماء العينين يرسله نائبا عنه إلى وجوه القبائل، شرح كتاب والده «كفاية النبيه في فرض العين» شرحا حسنا، استقر آخر حياته قرب طنطان، وظل هناك إلى أن توفي سنة 1368 هـ ـ 1948م، أنظر: سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين، و 135، مخطوط.

(68) مجموع اسلم، و. 110.

(69) هجودها: نومها

(70) كفكفتها: رددتها، الفيضتين: اسم مكان بطاطا.

وَمَنْ لِحـجـاً أذكى به الشـوق شُـعلةً
تشُبُّ استـعـاراً ، إذ يُرام خُـمـودهـا[71]
وأنـي عـلـى نـارالـغـرام تجـلُّـدٌ
ومـا غـيـرُ حَـبـات القلوب وقـدُهـا
سـلا سلَمَـات المُهْـر أيْن ترحَّلـت
مَـهَـارَى اللواتي بارحـتْـهـا وفـودُهـا[72]
وهل ذُكـرت أيّامُـهـا أو تُنُوسِـيـتْ
وهل دُعِـيَتْ ، أم هل أضـيـعَتْ عـهـودُهـا؟
وهل سَـمُـرات الدِّيس غُـودِرْن ذبَّلا
أم اخـضـرَّ لمَّا أدبَرَ الصـيـف عـودُهـا[73]
تمورُ على أوسـاطهـا الهـيـف وُشْـحُـهـا
وتشكو بُراها حـشـوَها وبرودُهـا[74]
حناناً لخلخـال أغـصَّـتـهُ سـوقـهـا
ورُحـمـاً لقلب أخـرسـتـه زنودُهـا[75]
تهـادى عـلى كُـثْـب تنوءُ بمثلـهـا
إلى فيء أفنانٍ حكتْـهـا قـدودُهـا[76]
تُـعـاقبُ فـي ذاك المُطاف مَطـافـلا
أُعـيـرَتْ لَهـا أجـفـانُهـا وجـيـودُهـا[77]

---

(71) حجا : عاقل ، فطن ـ تشب : تشتعل ـ استعارا هيجانا .

(72) سلمات المهر : شجيرات عين المهر بطاطا ـ مهارى : إبل مهرية نسبة إلى قبيلة مهرة بن حديان .

(73) الديس : اسم جبل بناحية طاطا ذبلا : ذابلة .

(74) تمور : تتحرك جيئة وذهابا ـ الهيف : جمع أهيف وهيفاءالظامر البطن ـ وشحها : من الوشاح . براها : ج . برة : الحلقة في أنف البعير ، الخلاخل .

(75) سوقها : سيقانها ـ زنودها : عظام ساعديها .

(76) تهادى : تتمايل ـ فيء : ظل .

(77) مطافلا : أولادا .

وهل جـــادَ أرجـــاءَ المزرَب صـــيِّبٌ
فـبثَّ زرابيَّ النبـات مَـجـودُهـــا[78]
فـــامتْ به الأنعـامُ حـتى كـأنَّـمـا
وسـامـتُـهُ غـضّـاً أُتيـحت جُلودُهـــا[79]
وهل لِرَكـــايا أمِّ مِـــدْلس أمْ إلـى
بقـايا إضـاء الرِّيشـتين وُرودُهـــا[80]
وهل برُبى الوادي مـــهـــاةٌ مـربّـةٌ
تُنازعُـهـا كـأسَ الودادِ أسـودُهـــا[81]
أم انتــشــرتْ روّادُها فــتــحــمَّلت
تُقـاذفُـهـا في لامع الآل بيـدُهـــا
هوادجُـهـا تكسـو جَـمَـالاً جـمـالَهـا
وتجـمُلُ فـوق الناجـيـات قـتـودُهـــا[82]
فـمـا برحتْ تنسـاق طوعَ حُـداتـهـا
إلى حـيثُ تحـدُوا المُدْجنَاتِ رعـودُهـا[83]
فـتـفـتـرُّ عن برق خـفـيف مُـذيلـةٌ
مـدارفَ من عين بطيءٍ جـمـودُهـا
فـتكسـو مُـحـيَّـا الأرض أرديةَ الحـيـا
فـتـشـرقُ بالأنوار منهـا خـدودُهـا[84]

---

(78) المزرب : مسيل الماء ـ صيب : مطر .

(79) سامت : رعت

(80) ركايا أم مدلس : آبار قرب طاطا ـ الريشتين : جبيل يشبه الريشة قرب طاطا .

(81) مربة : ذات ولد حديث الميلاد .

(82) قتودها : أدوات الرحل .

(83) المدجنات : المظلمة .

(84)الحيا : الخصب .

فـأحْـبِبْ بهـا أرضـاً إليّ وشـدّمـا
تشـوّقني أنْ شـاقتِ القلبَ غـيـدُهـا
ولكنْ هوى أرضِ الحـجـاز اسـتـمـالني
فلمّـا يشُـقني اليـومَ إلا شـهـودُهـا
وليس كَـدائي من غـرام كَـدائِـهـا
وقـد كـاد يُودي بالفـؤاد كـديدُهـا[85]
فَـخِـدْ نحـوَها باليَـعْـمـلات ، فـإنـمـا
لطيـبـةَ عندي يُسـتطابُ وخـيـدُهـا[86]
تُخـيِّلهـا الأشـواقُ لي فـأخـالُـهـا
تَدانَى على شـحْط المزار بعـيـدُهـا[87]
تُواعـدُني الهـمّـات أنْ سـأزورُها
وأين من الإنجـاز تَجـري وُعـودُهـا؟
مـزارُ البـقـاع الطاهرات تـودُّه
حُـشـاشـةُ نفـسي والخطوبُ تزودُهـا[88]
فَـحَـتّى م تَثْنيـهـا النوائبُ والنّـوَى
وبُرْحُ الجـوَى يسـتـاقُـهـا ويقـودُهـا
ألا يا رسـول الله حـبُّك حُـبِّـبـت
إليّ بِه وُهْدانُهـا ونجـودُهـا[89]
فـمـا غـيـرُ أرضٍ أنت فـيـهـا مُـيـمَّـمٌ
لنيل المنى من كل وجـه صـعـيـدُهـا

(85) كديدها : ما غلظ من أرضها ، وفي البيت جناس .

(86) خد : سق الإبل

ـ اليعملات : الإبل النجيبة

(87) شحط : بعد .

(88) حشاشة : بقية الروح

(89) وهدانها : منخفضاتها .

وهل جنةُ الدنيا سوى الأربعُ التي
حوتْكَ ، وهل إلا ربيعُك غيدُها
بميلادكَ الأقطارُ نارت وأصبحتْ
مُحلّى بتَقْصار السعادة جيدُها[90]
وأمسى الليالي ساقطاً دَبرَانُها
وطالعةٌ في الخافقين سعودُها[91]
دعوتَ إلى التوحيد وحدكَ أمّةً
تَطَاولَ في ليل الظلال رُقُودُها
وما ألفت إلا الأباطلَ ملةٌ
تواصت بها أبجالُها وجدودُها
فما صدك الإيذاءُ منها ولا الهوى
ولا عن هُداك المستبين صدودُها
ولم تكثرت منها بكثرة عُدّةٍ
ولا عدد ، إذ حاربتكَ جنودُها
إلى أن أجابت عن رجاء ورهبة
ومنْ شرك الإشراك حُلّت قيودُها
فَقِيدَ إلى الإيمان طوعاً مُنيبُها
وسيقَ له بالهنْدَوان عنيدُها[92]
وبلْغتَها الذّكرَ الحكيمَ مُحدِّياً
ولا نوعَ من نسْج البديع يؤودُها[93]

(90) تقصارك بكسر التاء ، القلادة للزومها قصرة العنق .

(91) دبراها : الدبران ، نجم بين الثريا والجوزاء ، يقال له التابع والتوبيع وهو من منازل القمر .

(92) منيبها : الذي يرجع إلى الله بالتوبة ـ الهندوان : الذي صنع ببلاد الهند وأحكم عمله .

(93) يؤودها : يعجزها .

فأعلنَ بالعجز اعترافا خطيبُها
ونائرُها عن مثله ومُجيدُها
به لم يجد للطَّعن وجهاً بليغُها
ولم يجد شيئاً بالطعان حسُودُها
وما لنبيٍّ دام وجدانُ آية
وآيتهُ الكبرى استمرٌ وُجودُها
فلا حدٌ معلومٌ لغاية حُسنها
ولا تُعتدى في العالمينَ حدودُها
وتمكينُ دينِ المصطفى وكمالهُ
به بشّرتنا نورُها وعقودُها
وأثنى على أخلاقه الله كُمَّلاً
وما زال في أوج الكمال يزيدُها
وفي ليلة المعراج أسْرى بذاته
ولم يدْر إلا الله كيف صعودُها
إلى حضراتٍ لم تسعها عبارةٌ
وعن دَرْكها الإفهامُ كلٌ حديدُها
وإخوانُه الرسلُ الكرامُ قلادةٌ
بها أزدان جيد الدهر وهْو فريدُها
بنى الله للعُبْدان قبةَ دينه
فكانوا لها الأطنابَ وهْو عمودُها[94]
وما أُرسِلوا إلا خلائقَ قبلَهُ
إلى الأمم الأولى ليُهدى رشيدُها[95]

(94) العبدان : ج . عبد .

(95) رشيدها : مريدها ، في مجموع اسلم .

تلاشتْ به نصراً لهود وصالح

بسَوْط عذاب عادُها وثمودُها

وأعطتْ على تصديقه أيّ موثق

لعيسى نَصَارَاها وموسى يهودُها

ببعشته كانوا مقربين قبْلها

فأنى لهم عند العيان جُحودُها

وكيف عَمَوا عن نوره بعد ما لهمْ

بيّن ماضي آيه وجديدُها

بماذا أحسَّت نارُ فارس إذ خبتْ

وغارتْ سواقيها وخرَّ مشيدُها

وماذا بدَا للنخْلِ إذ حَنَّ جذعُها

وإذْ عاد عضْباً في يديه طريدُها[96]

وللسحب إذ ما شاء سحَّت وأقلعتْ

وإذ خيَّمتْ ظلا عليه بنودُها

وللجن إذ للرُّشد يُهدى سفيرُها

وإذ برجوم الشُّهب يُرمى مَريدُها

وللعَرَب العرْباء إذ ريضَ شمسُها

وإذ أقبلت من كل فجّ وفودُها

فسائلْ قريشاً عَنْهُ إذ بين والد

وعمٌ تصدّى للبراز وليدُها

وإذ باتت النيران تُوقَد حولهَا

فأذن بالحرب ابنُ حرب وقيدُها

ويومَ كسا ثوب الهوان هوازناً

فأُعتِقَ رعياً للرَّضاع عبيدُها

(96) عضبا : من العضب وهو الكسر

وسل يوم سُلت لليهود سيوفُه
معاشرَ يُجليها وأخرى يُبيدُها
وزينَبَها إذ سمَّت الشاةَ مَا رأت
وفي سحره ماذا رآه لبيدُها
وحسبكَ ما عنه الجمادات أفصحتْ
وفاهَ به ظبيُ الفلاةِ وسيدُها[97]
محامدُ لا يَمْدُدْ لإحصائها يداً
فقد يُعجزُ العدُّ الطويلَ مديدُها
وما نَعتُ أوصافِ مدائحُها أتتْ
من اللّه والرُّوحُ الأمين بريدُها
وماذا به نُثْني عليه وإنما
نُعوتُ الثنا منْ وصفه نستزيدُها
مقاصدُ تَستدعِي الفصيح لنظمها
ويُفْصِحُ عن نيْل المرام قصيدُها[98]
شفتْ شفتي مما يشفُّ وفكرتي
مدائحُهُ إنشاؤُها ونشيدُها
شمائلُ بالتكرار تحلُو فتشتَهي
مناطقُنا أن لا تزال تُعيدها
وأمتُهُ قدْها منَ الفخر أنها
غداً شهداءُ الناس وهْو شهيدُها[99]
محجَّلة غرّاً، جلاهَا وضوءُها
وغادَر سيمي في الوجوه سُجودُها[100]

(97) أفصحت : أعربت ، في مجموع اسلم ـ سيدها : ذئبها .

(98) ويفصح : وتفصيح ، في مجموع اسلم .

(99) قدها : قدرها .

(100) وغادر سيمي : وقد رسم ، في مجموع إسلم ، وهي قراءة صحيحة أيضا تفيد نفس المعنى .

تدينُ لهـا في فـضلها كلُّ أمـةٍ
وترهبُها شمُّ الملوك وصيدُها[101]

فصدّيقُها نعمَ الخليفةُ بعدهُ
مآثرُهُ لا يستطاعُ عديدُها

وفاروقُها ، أعدلْ به من خليفةٍ
كفى أنه بَعْدَ العتيق عميدُها[102]

وعثمانُها ذو النُّور ، والنورُ خنصرٌ
إذا عُدَّ محمودُ الفعال سَديدُها[103]

وأمّا عليٌّ صهرُ طهَ ابنُ عمه
أخوه أبو سبطيه فهْوَ وَحيدُها

وطلحتُها ، مَنْ مثلُه وزبيرُهَا
وكيف يجَارَى سعدُها وسعيدُها

وهلْ من حَكىَ زُهْريها وأمينَهَا
بلِ الكُلُّ مشكورُ المساعي حميدُها

وحمزةُ والعبَّاسُ عمَّاه عمُّها
طريفُ المزايا منهُما وتليدُها

وممّا روينا أنّ طوبَى شبابَها
كِلاَ الحسنين السيدَيْن يسودُها

همَا أبوا الأشراف قُرْباهُ مَن دعا
إلى ودّها التنزيلُ أني ودُودها

نفى الله عنهُما مطلقَ الرِّجْس فالورى
عروضٌ لدى التشبيه وهي نقُودُها

---

(101) شم : ج . أشم ، وهو الرفيع العزيز النفس - صيدها : ج . أصيد وهو الذي يرفع رأسه كثيرا .

(102) فاروقها : عمر بن الخطاب

(103) خنصر : يبدأ به إذا ذكر أشكاله .

بأبائهـــا الأبناءُ في المجــد تقــتــــدي
ويربو على هذي الجُـدود حــفـيـدُها[104]
فـمــا أكـثـرَ الأمــجـادَ في خـيـر أمــــة
ولكنمـــا بيتُ الرســـولِ مـــجـيـــدُهـــا
فــيـــاربُ بالمخـــتـــار والآل عـــافنـــــي
فـــبي حلٌ من نوب الزمـــان شـــديدُها
وبيِّضْ بهم وجــهي ووجــه أحــبــتـــي
إذا مُــيِّــزتْ بيضُ الوجـــوهِ وســـودُها
وكـنْ ناظري فـــضـــلاً بعين عنـــاية
تُيـــسَّـــر لي مـــا من أمـــورٍ أريدُهـــا
وصلٌ على نور الختـــام مـــحـــمَّـــد
صـــلاةً بهـــا الأســـواءُ عنا تحـيـدُهـــا

تاريخ خروج صاحب الرحلة من عند أهله بقرية الطنطان للحج

ثم لما كان سحر يوم الجمعة السادس عشر من شوال عام 1357 سبعة وخمسين بعد ثلاثمائة وألف هجرية موافق تسعة من دجنبر سنة 1938 ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف مسيحية ، ودَّعْتُ الأهل والأقارب والأحبة والجيران ، فاحترقتِ الأحشاء من وشك البين ، وفاضت العَبرات من كلا الجانبين ، فقلت لهم : مهلا مهلا ، وسهلوا الأمر يكن بحول الله سهلا ، فلله در القائل :

[الطويل]

سـيـجـمـعُ الله الشَّـتـيـتين بَعْـدمـا
يظُنَّان كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقـيَـــا

(104) يربو : يتربى

ولله در القائل :

أحِـــبَّـــةَ قلبي لا ضِـــرارَ ولا ضــــرَرْ
ولـكنَّنا نرضى بما ســـــاقَــــهُ القَــــدَرْ
ســأنفــعُكم في غـيـبـتي بالدعــاء فــي
مــواقف حــجِّي حـيثُ أصـفـو من الكَدَرْ
ولـستُ بناسٍ عـــــهــــدَكُمْ وَوِدَادَكُـــمْ
وإنْ طالتِ الأيامُ واتـصـل الســــــفَـــــرْ

والحمد لله على ما حقق من رجائنا وأحاط بفضله وكرمه من دعائنا ، ثم قرأت منَ الآيات والأذكار ما وردَتْ بالأمر به عند الخروج الآثار ، واستقبلت المسجد فصليت فيه صلاة الصبح ، وجعلت آخر عهدي به امتثالا للسنة ، فخرج معنا الأستاذ الشيخ عَبْدات ومَنْ هناك من الإخوان والأحباء مشيعين ومودعين ، وداعين رافعين إلى الله أيديهم بوجوه ضارعة ، وألسنة متضرعة وقلوب خاشعة ، بتيسير المطالب وقضاء المآرب ، وجمع الشمل في السرور بعد تيسير الحج المبرور ، حتى وصلنا سيارة أعدها حاكم[105] البلد لركوبنا ، فركبنا وقت طلوع الشمس من الغد ، وكان معي في السيارة السيد الأديب أبو بكر الصديق[106] بن الشيخ مربيه ربه ، وكان عندي منذ شهور ، بعثه والده أعزه الله إليّ لأعلمه ، ومريد الشيخ محمد الأغظف[107] بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، الحاج بابَ احمد بن محمد يخْظِيهْ

(105) كان حاكم الطنطان إذ ذاك هو الكبتان منويل الرميراب» و : 4 .

(106) هو أبو بكر بن الشيخ مربيه ربه ، شاعر أديب اشتغل بالقضاء إلى أن توفي سنة 1990 ، خلف أشعارا كثيرة في المدح والوطنيات والاخوانيات سيتم إخراجها قريبا

(107)ولد سنة 1292 هـ ـ 1875م ، أخذ العلم عن والده الشيخ ماء العينين وعلى عدد من أساتذة السمارة ، اشتهر بالعلم والصلاح والتقوى ، وكان أول من عاد إلى الصحراء بعد وفاة والده بتزنيت . بعد استقلال الأقاليم الشمالية من المملكة المغربية جاء إلى الرباط على رأس وفد صحراوي لتجديد البيعة والولاء لجلالة الملك محمد الخامس ، وظل يواصل واجبه الوطني وتربيته للمريدين إلى أن توفي بطنطان سنة 1380 هـ 1960م ، أنظر ترجمته في «سحر البيان» ورقة 128 ـ Le Dossier de Sa-hara Occidental, Gaudio Atillo P. 87.

الزركي الشتوكي[108] ، فتوجهنا مدينة الطرفاية ، ووصلنا وقت العصر من يومنا ، ونزلنا عند دار الإمام الأستاذ الشيخ مربيه ربه ، فتلقانا هو ومن هناك من الأهلين بما لا مزيد عليه من الإكرام والإعظام ، وأظهروا الفرح والسرور بمقدمنا ، ووجدناه أعزه الله ، قد أخذ هو ومن معه من ركب الحجيج أهبة السفر للحج والزيارة .

خطبة الشيخ مربيه ربه في نصيحة ووعظ وفده وقت استعدادهم للحج

فلما كانت ليلة الخميس القابلة ، جمع الإمام سيدنا الشيخ مربيه ربه من بالمدينة من ركب الحجيج المتوجه من الجهة الجنوبية الصحراوية في داره ، وأفاض عليهم ملاذّ الطعام والشراب ، ثم وعظهم وذكّرهم بما يجبعليهم من الطاعات والقيام بأداء ما افتُرِض عليهم ، وأرشدهم إلى المواظبة على الأذكار والأوراد وترك مالا يعني من سفاسِف الأمور ، والاشتغال بتعلم أحكام قواعد الدين ، خصوصا مناسك الحج الذي هم بصدده ، وذكّرهم بعض ما ورد من الآثار الدالة على فضله وكثرة أجره ، وحضهم على الإخلاص فيه وفي غيره من العبادات ، وعلى تقوى الله العظيم في السر والعلانية ، قال أعزه الله : واعلموا أنه لا يُنَالُ خيرٌ لا دنيويا ولا أخرويا إلا بالتقوى ، قال ﷺ : «التقوى رأس كل حكمة»[109] ، ثم قال أعزه الله : هذا حديث صحيح مفتتح بحرف الألف ، ولا بأس أن أذكر لكم أحاديثه ، كل واحد منها مفتتح بحرف من حروف المعجم على الترتيب ، زيادة في تعليمكم ، وحرصا على إفادتكم ، نفعني الله وإياكم بها وسائر العلوم ، فقال أعزه الله :

---

(108) هو بابا بن محمد يحظيه ولد محمد صالح بوصولة ، ولد سنة 1907 ، ألقي عليه القبض سنة 1953 بعد نفي محمد الخامس بتهمة التمرد ضد الاحتلال الإسباني ، فنقل إلى السجن بالجزر الخالدات ، وظل هناك إلى عودة محمد الخامس ، استشهد في إحدى معارك جيش التحرير ضد القوات الإسبانية ببلدة بريفت قرب مدينة إيفني في بداية سنة 1958 ، عرف بالدين والتصوف ، وحفظ القرآن عن ذ . إبراهيم الدويهي .

(109) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم : 319 .

مطلب في ذكر 92 حديثا مبدوءة بالحروف على الترتيب ذكرها الشيخ في خطبته

التقوى رأس كل حكمة .

بيوت الله المساجد[110] .

تحت كل شعرة جنابة[111] .

ثمن الكلب والخنزير حرام[112]

جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا[113]

حساب أمتي كركعتي الفجر .

خيركم من علم القرآن وتعلمه .[114]

داووا مرضاكم بالصدقة فإن البلاء لا يتعداها[115] .

ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله[116] .

رحم الله امرءا تكلم بخير أو صمت[117] .

زُرغِبًا تزدد حبا[118] .

سيد الأيام يوم الجمعة[119] .

شرُّ الطعام الوليمة تأكله الأغنياء وتشتهيه الفقراء[120] .

---

(110) نفس المصدر ، حديث رقم 939 (بصيغة أخرى)

(111) للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث (جنب) وتتمة الحديث : «فاغتسلوا الشعر» .

(112) الجامع الصغير ، حديث رقم 3564 ، وقد ورد هذا الحديث في صيغ مختلفة ، ولا ذكر فيها للخنزير .

(113) نفس المرجع ، حديث رقم 3594 .

(114) نفس المرجع ، حديث 4111 ، ورد بصيغة أخرى وهي : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

(115) مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، الزرقاني ، حديث رقم 450 .

(116) الجامع الصغير ، حديث رقم 4555 .

(117) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 485 .

(118) نفس المرجع ، حديث رقم 4744 .

(119) المعجم المفهرس ج ، 3 ص 73 ، نكاح 72

(120) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 556 .

صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك[121] .

ضغطات القبر أشد من أربعين ضربة بالسيف[122] .

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[123] .

ظللت الملائكة بأجنحتها على طالب العلم رضى بما صنع[124] .

عليكم بالإثمد فإنه ينبت الشعر ويقوي البصر[125] .

غلقوا أبوابكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا مغلقا[126] .

فقراؤكم مضفتكم يوم القيامة .

قلِ الحقَّ ولو في نفسك[127] .

كل مسكر حرام[128] .

لعن الله اليهود اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد[129] .

مَنْ غشنا فليس منا[130] .

نِعْمَ الادام الخل واللحم[131]

هديةُ الله السائل حين يقف عند أبواب دياركم

وُضوءٌ على وضوء نورٌ على نور[132]

---

(121) المعجم المفهرس ، (سواك) ، أنظر مسند ابن حنبل .

(122) نفس المرجع ، ج 3 ، ص . 514 ن جنائز 113 .

(123) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 614 .

(124) سنن ابن ماجة 1/ 82 ، حيث رقم 226

(125) الجامع الصغير ، حديث رقم 5513 .

(126) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث (غلق)

(127) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 722 (بصيغة أخرى)

(128) الجامع الصغير ، حديث رقم 6346 .

(129) المعجم المفهرس (أخذ) ، البلغة في أحاديث الأحكام ، حديث رقم 211 .

(130) الجامع الصغير ، حديث رقم 8881 ، وتتمته : « . . . والمكر الخداع في النار»

(131) نفس المصدر ، حديث رقم 9267 .

(132) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 1163 .

لا يلدغ المومن من جحر مرتين[133]

يدخل الجنة من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله[134]

ثم قال دام عزه : «وعليكم أن تشكروا الله على تيسير تهيئكم لركوب هذا المركب الفاخر الذي صنعته الدولة الإسبانيولية وأعدته للركوب إلى حج بيت الله الحرام ، وأنعمت بركوب الكثير من أعيان المسلمين وعامتهم فيه ، متحملة جميع لوازمهم من كراء وزاد وضرائب وما تدعو له الحاجة في طريقهم ذهابا وإيابا ، وهذه مزية امتازت بها هذه الدولة من بين الدول الأجنبية» ، ثم ختم خطبته أعزه الله بالدعاء للحجاج ولكافة المسلمين .

ركوب جل الوفد البحر من الطرفاية إلى كناري وتاريخه مسافرين إلى الحج

ثم لما كان ضحى الغد ، وهو يم الخميس الثاني والعشرين من شوال عام سبعة وخمسين بعد ثلاثمائة وألف ، موافق خمسة عشر من دجنبر سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف مسيحية ، خرج سيدنا الشيخ مربيه ربه ومعه ركب الحاج وسائر أهل المدينة لساحل البحر في هيئة جميلة وأبهة حسنة وسكينة عجيبة ، والضلوعُ تلتهب ، والدموعُ تنسكب ، وقد شَقّ على المقيم فراق المسافر الموادع ، والمسافر متردد بين الفرح المتوقَّع و الحزن الواقع ، فلما انتهى التشييع ، اشتركنا الدعاء بعد التوديع ركب مَنْ هناكَ مِنْ ركْبِ الحجيج السفينة لجِهَةِ جزيرة كناري قيلولة اليوم المذكور ، وبقي سيدنا الشيخ مربيه ربه ينتظر ركوب الطيارة .

مطلب في أسماء الراكبين من الطرفاية في السفينة وعددهم

وأما الذين ركبوا في السفينة بقصد الحج من الطرفاية فستة عشر 16 .

أربعة من الشرفاء الأدارسة آل شيخنا الشيخ ماء العينين .

(133) نفس المرجع ، حديث رقم 9985 .

(134) نفس المصدر ، حديث رقم 8965 .

1 . سيدي بُويَ بن سَدات بن شيخنا الشيخ ماء العينين(135)

2 . سيد بُويَ بن الشْيخ حَسَنٌ بن شيخنا الشيخ ماء العينين(136)

3 . محمد شيبة بن الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين(137) .

4 . كاتبه ماء العينين بن العتيق ، حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين ، وابن عمه .

وستة من قبيلة الرزكيين(138)

1 . الفقيه السيد عبد الله بن الفقيه السيد العروسي القارحي(139)

---

(135) سيدي بُويَ بن سَداتي بن الشيخ ماء العينين ، ولد سنة 1898م ، قبل وفاة والده بأربعة أشهر . اشتهر بالاهتمام بالفقه وأصول الدين والتاريخ وعلم الانساب وجمع ونقل العديد من مؤلفات الشيخ ماء العينين . عمل فترة طويلة مستشارا شرعيا بمدينة العيون ، توفي بالنمجاط بالتراب الموريتاني في بداية سنوات الخمسين .

عن ابن أخيه السيد أبوه بن الشيخ مامينا .

(136) سيدي بُويَ بن الشيخ حَسنٌ ، هو حفيد الشيخ ماء العينين ، تتلمذ على عمه الشيخ محمد الإمام ، عمل في وزارة الصحراء وموريتانيا ، توفي سنة 1972 بعين أولاد جرار عن سن تناهز 63 سنة ، وقد اشتهر بالتعبد والصلاح والورع . عن السيد أحمد الهيبة بن الشيخ مربيه ربه .

(137) محمد شيبة بن الشيخ مربيه ربه : هو حفيد الشيخ ماء العينين ، ولد في بداية سنوات العشرين ، وهو والد الشاعر الأديب شيبة ماء العينين ، توفي سنة

(138) الزركيين : من القبائل الرئيسية في مجموعة تكنة ، تميزوا بالشجاعة والعدل والجد في المعاملات ، تولى الكثير من أبنائها قيادة بعض جهات الصحراء بظهائر ملكية شريفة ، كما ساهموا في حركة المقاومة والعمل على استكمال وحدة المغرب من أشهر علمائها ، سيدي يوسف وابنه بابا احمد وابنه البكاي وعبد الله ، وكذلك ابراهيم بن مبارك ، وسيدي العروسي بن سيدي مولود وكمال بن الحُيْفيظ ، ومحمد عبد الله بن سيدي العروسين ، وغيرهم أنظر : الساقية الحمراء ، وواد الذهب ، ص 124 ـ معلمة المغرب ج 1 ، ص 339 .

(139) السيد عبد الله بن الفقيه السيد العروسي القارجي : من قبيلة الزركيين ، درس في مدرسة سيدي الزوين قرب مراكش ، عين قاضيا أوائل الاستقلال في كل من طنطان وكلميم ، توفي أواخر سنوات الستين . عن السيد ابراهيم الدويهي .

2 . امبارك بن عياد القارحي[140]

3 . باب أحمد بن محمد يحظيه بن محمد صالح الهشتوكي ، المذكور أنه قدم معي من الطنطان

4 . القائد احمد بن حَيْدارْ الهشتوكي .

5 .خطّار بن ابراهيم امبارك الهشتوكي

6 . البشير بن علي السعيدي

واثنان من قبيلة الرقيبات[141]

1 . الفراح بن محمد بن أبي جمعة بن أبي بكر الشيخي[142]

2 . الفقير السيد المحفوظ بن الأمين الطالبي[143]

وواحد من قبيلة توبالت[144]

- السيد محمد الحسن بن سيد علي بن عبد القادر[145]

---

(140) امبارك بن عياد القارحي ، من قبيلة الزركيين ، ولد سنة 1907 ، عمل ضمن جيش التحرير لتطهير الصحراء من الوجود الأجنبي ، كان ضمن أول وفد صحراوي قدم إلى الرباط لتجديد البيعة للسلطان محمد الخمس سنة 1956 ، صادرت اسبانيا ممتلكاته سنة 1957 ، نفس المصدر السابق .

(141) الرقيبات : من أشهر التجمعات القبلية في الصحراء المغربية ، ينتهي نسبهم إلى الشيخ سيدي احمد الرقيبي ، اشتهروا بالجهاد والعلم والوطنية ، من أشهر قبائلهم ، أولاد موسى والسواعد وأولاد داوود ، وأولاد الشيخ ، وأولاد الطالب وغيرها ، وهم شرفاء أدارسة ، أنظر بشأنها : الساقية الحمراء وواد الذهب ص ، 114 . معلمة المغرب ج 13 ص 4426 ، محمد الظريف .

(142) نسبة إلى أولاد الشيخ ، وتنتشر في صحراء وادي الذهب وأدرار ، نفس المصدر ص 114 .

(143) نسبة إلى أولاد الطالب ، وينحدرون مباشرة من الشيخ سيدي احمد الرقيبي ، نفس المصدر ، ص 114 .

(144) توبالت : شرفاء يندرجون ضمن تجمع قبائل تكنة ، اشتهروا بالكرم والأنفة والوطنية ، نفس المصدر ص 125 .

(145) من شيوخ أهل الليلي المشهورين في الصحراء ، وهم من قبيلة توبالت ، تولى إمامة المسجد بالطرفاية ومشيخة زاوية أهل الليلي بها ، شارك في مؤتمر أم الشكاك ، توفي سنة 1976 بطنطان ، خلف مجموعة من الرسائل والخطب الدينية لا تزال مخطوطة ، منها رسالة يذكر فيها أن السلطان مولاي الحسن زار والده سيدي علي وطلب منه الدعاء ، عن عيسى الليلي .

وواحد من قبيلة الأفيكات(146)

- عَيْلُ بن الشيْهب(147)

وواحد من قبيلة أيت لحسن(148)

- امبارك بن علي بن عمر بن داوود المجورن(149)

وواحد من قبيلة أولاد تيدْرَارين(150)

- يَسّلم بن عبد الرحمان بن ابراهيم ، الصانع الحداد الموسوي .

فهؤلاء هم الذين ركبوا البحر من الطرفاية صحبة سيدنا الشيخ مربيه ربه بقصد حج بيت الله الحرام على نفقة المخزن .

فنهضت بنا السفينة بعد صلاة العصر من الطرفاية ، ورست عند مدينة من مدن الكناري ، تسمى «لاصْ بّالمَاصْ» عند انصداع الفجر يوم الجمعة ومعنا قيم من جهة المخزن ، فأنزلنا منزلا حسنا ، وأحسن ضيافتنا ، فأقمنا يوم الجمعة في كناري ، ويوم السبت .

مطلب نزول الشيخ مربيه ربه من الطيارة عندنا في كناري وركوب الجميع البحر إلى سبتة

فلمّا كان آخر النهار يوم السبت ، نزلت عندنا الطيارة وفيها سيدنا الشيخ مربيه ربه

(146) الفيكات : من قبائل تكنة .

(147) عَيلُ اشتهر بالكرم والإيثار ، كان بيته ملتقى للأعيان وذوي الحاجات ، توفي في سنوات الأربعين ، عن السيد ابراهيم الديويهي

(148) أيت لحسن : من القبائل الرئيسية في مجموعة تكنة ، اشتهروا بالشجاعة والعدل والوطنية وترتبط ارتباطا قويا بقبيلة الزرقيين ، الساقية الحمراء ووادي الذهب ص 123 .

(149) المجورن : فخذة من قبائل أيت لحسن .

(150) أولاد تيدرارين : من قبائل الصحراء التي تنتشر في منطقة بوجدور ، يميل النسابون إلى اعتبارهم من الأنصار ، عرفوا بالصلاح والاستقامة والوطنية ، الساقية الحمراء ووادي الذهب ص 129 .

ومعه زوجته فاطمة بنت السيد السباعية أم ولده محمد شيبة المذكور ومعه ابن أخيه السيد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة(151) ابن شيخنا الشيخ ماء العينين ، فصار الركب ثمانية عشر رجلا وامرأة ، فلما كان بعد صلاة العشاء ليلة الأحد ، ركبنا جميعا البحر فوق مركب يسمى «باركو سيبيَ» ، فلبثنا فيه ثلاثة أيام والبحر في غاية الاضطراب والتموج ، ونحمد الله على ما صحبنا فيه من الألطاف والحفظ ، فرسا بنا عشية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال عند مدينة قادس ، وهي باب بلاد أوربا ، فبتنا بها مكرمين في أحسن منزل ، ثم ركبنا بعد صلاة الصبح على السيارات البرية ، ونزلنا وقت ارتفاع النهار عند القرى المسماة بالخُزَيْرَات ، وقدر المسافة بينهما مع ادس خمس ساعات للسيارة البرية ، ثم ركبنا عشية يومنا ، وهو يوم الأربعاء البحر الأبيض المتوسط على بابور يسمى «سْيُوَدادْ سبتة» ، فرسا بنا عند سبتة ، ونزلنا بها وقت الغروب ، ومسافة ما بينها وبين الخزيرات قدر ساعة ونصف للبابور .

دخولنا مدينة تطوان وخطبة الشيخ مربيه ربه أول ليلة بها

وعندما نزلنا تلقى لنا وجوه القرية مرحبين ومهنئين ومعهم باشا تطوان السيد محمد بن محمد أشْعاش،(152) نائب المخزن ، فأظهروا للشيخ الفرح والسرور بمقدمه ،

(151) محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة ، هو حفيد الشيخ ماء العينين ، ولد سنة 1916م ، تلقى تعليمه على يد مجموعة من أساتذة السمارة والسوس ، انتقل إلى تزنيت إثر الأحداث الكبرى التي عرفتها الصحراء ، بعد استقلال القسم الشمالي من المغرب قدم إلى الرباط لتجديد البيعة إلى السلطان محمد الخامس ، توفي سنة 1985 بكلميم له أشعار كثيرة في المدح والإخوانيات والوطنيات ، عن ابنه ذ شيخاني .

(152) محمد بن محمد أشعاش ، ولد بتطوان سنة 1314 هـ 1896م ، حفظ القرآن في الكُتاب ، ثم اشتغل بالفلاحة ، عين محتسبا بتطوان سنة 1934 ، ثم باشا بنفس المدينة سنة 1937 ، اشتهر بنزاهته وصرامته واستشارته للعلماء فيما يعرض عليه من نوازل ، عزل من الباشوية سنة 1951 بسبب مواقفه الوطنية التي لم تعجب الإدارة الإسبانية ، توفي بتطوان في أكتوبر 1951 ، معلمة المغرب ج . 2 ص 463 . (أ) 1989 .

واستقدمونا تلك الساعة لتطوان ، وأتونا بالسيارات فركبنا من وقتنا عليها ، ونزلنا عند تطوان وقت العشاء ، وبينها مع سبتة قدر ساعة للسيارة ، فنزلنا في ضيافة المخزن ، وبالغ في إكرامنا والاعتناء بنا ، فلما كان الغد ، وهو يوم الخميس متم شوال ، قدم علينا مريد شيخنا الشيخ ماء العينين الواصل ، قائد المشور السيد محمد المصطفى[153] بن مريده المرحوم بالله الكامل الواصل القائد ادريس بنْعيشْ ، هو وأخوه سيادة الباشا محمد فاضل[154] ابن القائد ادريس ، فرحبا غاية وأظهرا من البشاشة والفرح بمجيئنا ما لا مزيد عليه ، وما زالا يترددان أيامنا بتطوان علينا للزيارة من الشيخ مربيه ربه والتبرك به ، وإظهار الإكرام له ولسائر وفدنا ، ولطلب صالح الدعاء ، جُزيَا خيرا . فلما صلينا المغرب ليلة الجمعة التفت الشيخ مربيه ربه أعزه الله إلى وفد الحجاج الذين قدموا معه ووعظهم بخطبة بليغة ، نصحهم فيها وحثهم على ملازمة مكارم الأخلاق والمواظبة على العبادة ، وحثهم على صلاة الجماعة وعلى التواضع وقال : من تواضع لله رفعه ، كما قال شيخنا رضي الله عنه :

ومَنْ تَوَاضَعَ لَهُ اللهُ رفَعْ
وشَرفُ العَبْد إذا هو اتَّضَعْ

ثم قال : «اعلموا أنكم خرجتم لحج بيت الله وزيارة رسول الله ﷺ ، وينبغي للحاج أن يلاحظ من يوم خروجه من بيته أنه في حرم الله وفي ضمانه ويُخْلِصَ نيته

---

(153) محمد المصطفى بنعيش ، ولد أواسط سنوات الثمانين من القرن 19 م ، بمكناس ، عمل ممثلا لوالده القائد إدريس بنعيش في بعض الأعمال ذات الطابع الحربي ، أهمها محلة التهامي الكلاوي لمحاربة بوحمارة ، عين باشا في تازة ، ثم خليفة لقائد المشور حمو الضراوي ، ثم قائدا للمشور بعد ذلك ، ثم باشا لتطوان ، ثم قائدا لمشور الخليفة بتطوان منذ سنة 1913 ، وظل بهذه الصفة إلى أن توفي بتطوان سنة 1942 . زودني بهذه المعلومات الحاجب الملكي السيد علي بنعيش .

(154) محمد فاضل بنعيش ، ولد سنة 1884 بمكناس ، عمل كاتبا بالصدارة العظمى في عهد السلطان مولاي عبد العزيز ثم مولاي عبد الحفيظ مع المفضل غرنيط ، فبسنة 1938 عين باشا بأصيلا وظل بها إلى عهد الاستقلال ، توفي سنة 1962 بأصيلا ، نفس المصدر السابق .

وعلمه ، ويجانب ما يُحْبِط عملَه ، قال تعالى : «الحَجُّ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرَضَ فيهن الحجَّ ، لا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَال في الحَج»[155] . قال دام عزه : «أما أشهر الحج ، فالمراد بها شوال وذو القعدة وذو الحجة ، ومعنى الرفث الجماع والفحش من القول والفسوق والمعاصي» ، وفي الصحيحين عنه ﷺ «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»[156] «والحج المبرور ليس له جزاء عند الله إلا الجنة»[157] ، والمبرور الذي لم يخالطه مأثم ، وقيل المقبول ، وفي الأثر : «ما حَجٌّ ولكْن دَجٌّ»[158] أي تجر ، ويقال إن من الجدال المنهي عنه أن يقول الحاج لأخيه إذا قال له الطريق لهذه الجهة ، ليس الأمر كذلك بل لهذه لجهة ، ثم قال أعزه الله : «ويُحكَى أن رجلا تردد إلى بيت الله ، ولا يدري هل عمله مقبول أم لا ، فبينما هو كذلك ، إذ ناداه هاتف يقول له : دعاك الله إلى بيته ، وهل [لا] يدعو إلى بيته إلا من يحب ، فسرى عنه» ، ثم قال أعزه الله : قال تعالى : «وتعاوَنُوا على البِرِّ والتقوَى ولا تعاوَنُوا على الإثم والعُدْوان»[159] ، وقال تعالى : «والعصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْر إلا الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات وتَوَاصَوا بالحَقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبْر»[160] ، والناس كلهم ترونه مشتغلا بما هو بصدده من تجارة أو حراثة أو تعلم أو عبادة ، أو غير ذلك ، ولا يرد أحدهم البال إلا لشغله ، فتنبهوا أنتم وردوا بالكم لما خرجتم له من الطاعة ، وهو حج بيت الله الحرام ، فلا يشغلكم عنه شغل ، ولا تجمح به أنفسكم إلى غيره من أشغال غيركم فتتعبوا فيما لا ينفعكم ، وعليكم بالصلاة لأول وقتها ، قال ﷺ : «أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله»[161] ، «وعليكم بالمحافظة على

---

(155) سورة البقرة ، آية 196 .

(156) الجامع الصغير ، حديث رقم 5733 .

(157) نفس المصدر ، حديث رقم 3793 .

(158) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ، 3 مثل رقم 3892 .

(159) سورة المائدة ، آية 3 .

(160)سورة العصر ، آية 2 .

(161) الجامع الصغير ، حديث رقم 2808 .

أورادكم وأذكاركم المعلومة في أوقاتها ، وقراءة الحزب في أوقاته المعلومة ، وطلب العلم والإفادة في كل ساعة من علمائكم» ، إلى غير ذلك مما أوصاهم به ـ أطال الله حياته ـ مما يحمد شرعا وطبعا ، ثم دعا لهم بالتوفيق لما يحبه تعالى ويرضاه .

صلاتنا للجمعة بتطوان وملاقاتنا للخليفة بالمسجد

فلما كان من الغد يوم الجمعة سِرْنا جماعة الوفد مع الشيخ أعزه الله لصلاة الجمعة في المسجد الذي يصلي فيه الخليفة ، وأظهر لنا من الترحيب والانبساط والإحسان مالا يوصف ، ولا سيما لسيادة الشيخ أعزه الله ، وإمام الجمعة الفقيه السيد محمد الطنجي ، وخطب بها خطبة حسنة .

ذكر بعض الأعيان الذين زارونا بتطوان ومذاكرتنا مع بعض أهل الوحدة

ومن الأعيان الذين اجتمعنا بهم في تطوان الفقيه العلامة الشاعر السيد فرطاخ محمد بن أحمد(162) ، وكان ممن حج مع الشيخ في العام الماضي وأخذ منه الإجازة في الأسرار ، وأتانا معه ولده الذي حج معه ، ويسمى محمد الزمزمي ، وتذاكرنا مع أبيه ، وله اليد الطولى في العلم .

وزارنا معهما التاجران الأديبان ، السيد احمد بن عبد الوهاب الريحاني الفاسي ، والحاج عبد الغني جسوس بن عبد الواحد التطواني ، والفقيه الشريف السيد عبد العزيز بن أبي القاسم الدباغ ، المتوطن بجدة ، وأصله من أهل المدينة المنورة ، وقد تقدمت بأبيه معرفة في مدينة سلا ، وله مشاركة في العلم وأدب رائق .

ومن زارنا أقوام أدباء من أهل الوحدة المغربية ، منهم الشيخ أحمد ابن محمد

---

(162) الفرطاخ بن الحاج محمد من أعلام تطوان البارزين في بداية القرن العشرين ، اشتهر بعلاقاته المخزنية ومشاركته في العلم والأدب الحركة العلمية والثقافية بتطوان ، ج2 ، ص 537 .

معنينو السلوي[163]، ورئيس المركز العام للوحدة المغربية ومدير جريدتها السيد عبد السلام بن المقدم[164]، والحاج أحمد التمسماني[165] وصنوه القائد السيد الحاج محمد بن المقدم[166]، والسيد الحاج المختار بن الصادق أحرظان الطنجي[167] والكاتب السيد محمد ابن الفقيه السيد محمد الزوّاق التطواني[168] والشاب الشاعر

---

(163) أحمد معنينو، ولد بسلا سنة 1911، درس بسلا والرباط وفاس والمشرق، وعمل في الكفاح الوطني منذ صباه، اشتغل بالتعليم والصحافة، نشر العديد من المقالات والأبحاث في تاريخ الحركة الوطنية، أنظر ترجمته في المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959 -، الحاج أحمد معنينو.

(164) عبد السلام بن المقدم، هو المجاهد الحاج عبد السلام التمسماني، كان عضوا في اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني بزعامة الأستاذ عبد الخالق الطريس، ولما حدث سوء التفاهم بين الأستاذ الطريس والشيخ المكي الناصري، انفصل الشيخ الناصري عن حزب الإصلاح وأسس مع الحاج عبد السلام التمسماني حزب الوحدة المغربية، وكان الحاج عبد السلام هو المدير لكل الجرائد التي صدرت عن هذا الحزب سواء في تطوان أوطنجة، وعائلة التمسماني عائلة كبيرة، اتخذت لقب المقدم تمييزا لها عن باقي التمسمانيين الذين ينتسبون لقبيلة «تمسمان» المشهورة بالريف.

أنظر حول هذه العائلة، كتاب: ذكريات ومذكرات، الأستاذ الحاج أحمد معنينو الجزء الثالث ص 35.

(165) الحاج أحمد التمسماني: كان أستاذا بإحدى المدارس الثانوية بالدار البيضاء، وله مشاركة في التربية والكفاح الوطني، نفس المرجع السابق.

(166) الحاج محمد بن المقدم، هو أخو الحاج عبد السلام والحاج احمد، تخرج من القاهرة، وساهم بدور فعال في الحركة الوطينة، نفس المرجع السابق.

(167) الحاج بن المختار بن الصادق أحرظان: من رجال طنجة المشهورين في مجال الكفاح الوطني. أنظر: مجلة السلام، السنة الأولى رجب 1353 نونبر 1934.

(168) محمد بن محمد الزواق التطواني: كان أديبا ذا خط جميل، اشتغل بالكتابة وهو ابن العلامة الأديب الفقيه محمد الزواقي الحسني المتوفى سنة 1928، اشتهر بالتقدم في المذهب المالكي بتطوان ومشيخة الجماعة بها. الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال، ادريس خليفة ج2، ص518 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الشريف السيد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بنمنصور[169] والتاجر الشريف السيد عبد السلام بن الطاهر بن مسعود .

ووصف مجلسهم معنا هو ما نشروه في جريدة الوحدة المغربية[170] ، ونصه : «زيارة لطيفة أو مجلس علم وأدب .

يوم الثلاثاء الماضي زار وفد من أعضاء المركز العام لبيت الوحدة المغربية[171] مع بعض الأنصار العلامة التقي الأستاذ الشيخ الشريف الحاج محمد المصطفى مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين ، كبير أشياخ طرفاية وإيفني وشنجيط بدار الضيافة بتطوان ، وقد استغرقت عنده الزيارة ما يزيد على الساعتين ، وكانت كلها مذاكرات دينية ومساجلات أدبية ، وبخاصة في التفسير والحديث وما إليهما ، وكان الشيخ مربيه ربه كثيرا ما يستشهد بأقوال الشيخ ماء العينين ، ويبدي من الملاحظات ماأبان عن علمه الجم واتساع دائرة معارفه ، وفي هذا الأثناء أنشدنا الشيخ ماء العينين بن العتيق الشاعر الفحل مخاطبا مؤسس الوحدة المغربية الأستاذ الجليل الشيخ محمد

---

(169) عبد الوهاب بنمنصور ، ولد بفاس سنة 1920 وتلقى تعليمه بها ، شارك في الحركة الوطنية منذ صغره مشاركة فعالة ، نشر أشعاره ومقالاته في عدد من الصحف والمجلات المغربية والعربية ، له عدة مؤلفات منها : أعلام المغرب العربي ، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، انتقادات ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية بشمال إفريقيا ، مناقب الصحراء وغيرها ، أنظر ترجمته في الأدباء المغاربة المعاصرون ، ص 85 عبد السلام التازي .

(170) جريدة الوحدة المغربية : صدرت هذه الجريدة يوم 3 فبراير 1937 ، واختفت سنة 1946 ، أنظر بشأنها مذكرات من التراث المغربي ، ج . 6 ، ص 152 .

(171) حزب الوحدة المغربية ، حزب وطني ، أنشأه المكي الناصري بعد انفصاله عن حزب الإصلاح الوطني الذي أنشأه عبد الخالق الطريس ، ثم وقع بين الحزبين ميثاق وطني سنة 1942 ، نفس المرجع ج ، 6 ، ص 72 .

المكي الناصري(172)

[الطويل]

سلامٌ على شيخ الأساتذة المكّي
يُنير به ليلَ اليَراعة والصَّكُّ

فهذا وقد طاب الزمانُ بنفحه
من آدابكَ الحسناء أذكى من المسكِ

ليهْنك ما تَبنى من الخُطَب التي
أبانت لنا حُسن الجزالة والسَّبْكِ

وما منْ سبيلٍ للمزايا سلَكْتَها
وما من لئالي العلمِ نظمتَ في سِلْكِ

وارتجل بالبديهة أخونا الشاب عبد الوهاب بن منصور في مدح الشيخ :

[الوافر]

مربيه رتْهُ حُزتَ الفضائلْ
ونلتَ من العلم ما أنت نائلْ

بعلمٍ واقتدار فُقتَ قوماً
وسُدتهُم أيا حُلوَ الشمائلْ

(172) محمد المكي الناصري ، ولد بالرباط سنة 1324 هـ 1906م ، تلقى دراسته الأولى بالرباط ، ثم سافر إلى مصر لمتابعة دراسته في الأزهر والجامعة المصرية ، ساهم بدور مهم في الحركة الوطنية بدعوته الإصلاحية ونشاطه السياسي والصحفي . أسس حزب الوحدة في الشمال للدفاع عن القضية الوطنية ، تقلب في مناصب كثيرة بعد الاستقلال ، أخرها رئاسة المجلس العلمي للعدو تين ، خلف عدة أشعار ومؤلفات منها : إظهار الحقيقة ، وعلاج الخليقة ، وغيره ، أنظر ترجمته في الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 262 . من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين ، ذ عبد الله الجراري ، تحقيق سعيد الفاضلي ، ص 37 مرقون .

فمذْ عرفوكَ قد عرفوا جَليلا
صبُورا في المكارمِ لا يطاولْ
ومذ عرفوكَ قد عرفوا عظيماً
لدى سكن العُلى والمجد نازِلْ

فأجازه ابن العتيق قائلا :

[الوافر]

ألا لله درُّكَ خيرَ فاضلْ
بِحسْن شبابكَ ازدَهتِ المحافلْ
بديهتُك الظريفة أعجبتْنَا
فوافرُ شعرك المغبوطِ كاملْ

وارتجل أيضا في هذا المجلس الشاعر محمد ماء العينين بن سيد أحمد الهيبة قُدِّسَ سِرُّه مخاطبا الزائرين ومغتبطا مهم :

[الوافر]

بمقدمكم لنا طاب الجلوسُ
ووافَقَنا بما تهوى النُّفوسُ
فكم من مُنْتَدى بكُمُ تحلى
وكَمْ بحلاكُمُ تحلُو الدُّروسُ

ثم استأذن الجميع وانصرفوا على موعد اجتماع آخر .

قدوم الشيخ محمد الإمام ووفده علينا بتطوان
وتسمية جميع الوفد ونسبته وعدته

ثم لما كان يوم الخميس السابع من ذي القعدة الحرام ، قدم علينا القدوة الجامع

الأستاذ العلامة المشارك ، الملاذ الشيخ محمد الإمام[173] بن شيخنا الشيخ ماء العينين بتطوان لقصد الحج مع أخيه سيدنا الشيخ مربيه ربه ووفده ، وقدم معه ابن أخته الأديب السيد ماء العينين يحَجْبُ[174] ابن محمد المختار بن سيد محمد ، ووفد من جهة مدينة سيدي إيفني من قبيلة بعمرانة ، قدم بعْضهم مع الشيخ محمد الإمام في الطيارة ، وبعضهم مع ابن أخته السيد يحْجبُ في السيارة . وكان يوم قدومهم يوم عيد عندنا ، وتضاعفت بقدمهم أفراحنا وسرورنا وحبورنا . ونزلوا معنا في دار الضيافة بأمر المخزن ، وأظهر لهم الاعتناء وبالغ في إكرام الجميع .

وقوم بعمرانة الذين أتوا مع الشيخ تسعة :

1 . السيد عمر بن محمد بن عبيد الهصباوي ، الملكلف بشؤون مدينة إفني .

2 . الحسين بن ابراهيم الهصباوي .

3 . الشريف السيد الحسن بن الطاهر بن باكريم البُحَرْفاوي

4 . الشيخ عبد الكريم بن الحسن الخلفاوي ، رئيس قبيلة أيت يخلف

5 . السيد عابد بن محمد بن احمد الخلفاوي

---

(173) الشيخ محمد الإمام ، ولد سنة 1310 هـ 1882م ، استقر بسيدي إيفني بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين ، بعد استقلال الأقاليم الشمالية المغربية قدم إلى الرباط على رأس وفد صحراوي لتجديد البيعة للسلطان محمد الخامس ، فعين ممثلا للقبائل الصحراوية في المجلس الاستشاري . توفي بتزنيت سنة 1389 هـ 1970م ، خلف عدة أشعار ومؤلفات ، منها ديوانه الشعري وكتاب «الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسط» ، و«إسعاف السائل» وغيرهما . أنظر ترجمته في سحر البيان ، و 137 ، صاحب الجأش الربيط ، ذ ماء العينين ما العينين .

(174) يحَجْبُ بن خطْرِ : ولد بوجان سنة 1320 هـ 1902م أخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة مدرسة السمارة من بينهم الشيخ النعمة والمحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام وابن العتيق وغيرهم ، ساهم بدور كبير في مقاومة المستعمر بأشعاره ومؤلفاته الوطنية ، توفي بتارودانت سنة 1403 هـ 1983م ، خلف ديوان شعر ومجموعا شعريا ومجموعة من الخطب والمقالات : أنظر ترجمته في باقة شعر من أقاليم الجنوب ، ص 63 . وفاء وولاء ، منتخبات شعرية من أقاليم المغرب الجنوبية ، منشورات المناهل

6 . الشيخ بار بن العسري العبدلاوي رئيس قبيلة أيت اعَبلْ
7 . السيد عبد الله بن احمد التيدرارتي الببكْري
8 . السيد على بن الحسن بن اعبلْ الخمسي المساكني
9 . امحمد (فتحا) بن العربي المستي

ولما كان وقت العشاء من ليلة الجمعة ، قدم علينا السيد سِدّاتِ[175] بن الشيخ الولي بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، وقد أتى راكبا في الطيارة من جهة كناري ، وقبل ذلك في البحر من الداخلة ،وقبلها من صحراء أهله بأرض تيرس[176] ، وقدم بقصد الحج أيضا ، فاجتمع الركب المتهيئ للحج بحمد الله من جهة الطرفاية وإيفني وما والاهما من الصحراء مع رئيسه الشيخ مربيه ربه ، وكلهم حاجون بنفقة المخزن ، وعدد الرجال ثلاثون ، ومعهم زوجة الشيخ المذكورة ، باعتبارها يكون الحجاج من آل شيخنا ماء العينين عشرة (10)

ومن قبائل بعمرانة تسعة (9)

ومن قبيلة الزوقيين ستة (6)

---

(175) سِدّاتي بن الشيخ الولي : ولد سنة 1925 بالسمارة ، أخذ جل العلوم عن والده الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين وعدد كبير من علماء الصحراء ، كان من أبرز أعيان ووجهاء منطقة وادي الذهب في الحياة السياسية والعلمية ، في سنة 1956 استقبل الطلائع الأولى لجيش التحرير عند موقف الطوارف ، (200 كلم شمال أوسرد) بقيادة كل من بنحمو وناصل الهاشمي وابن ابراهيم ، شارك بفعالية في معركة تكل (300 كلم شمال أوسرد) ، كما دعم جيش التحرير بالإبل والمال والمأوى وتسهيل التنقل ، إضافة إلى مشاركته في التحضير لهجوم العركوب المشهور ، فقصفت الطائرات الاستعمارية مخيمه الذي كان يأوي بعض فصائل جيس التحرير ببلدة العشاريات في وادي أشياف ، حيث استشهد هو وأخوه وابنه وثلاثة آخرون من أفراد أسرته في 7 دجنبر 1957 .
معلومات زودني بها ـ مشكورا ـ الأستاذ مربيه ربه ماء العينين .

(176) تيرس : منطقة صحراوية تقع بين زمور والساقية الحمراء شمالا والمحيط الأطلسي غربا وأدرار التمر جنوبا وأدرار سطف وإيريكلي شرقا . أنظر بشأنها : معلمة المغرب ج8 ص ، 2667 (ت) مطابع سلا 1415ـ1995 .

ومن قبيلة الرقيبات إثنان (2)
ومن قبيلة توبالت واحد (1)
ومن قبيلة أيت لحسن واحد(2)
ومن قبيلة الأفيكات واحد (1)
ومن قبيلة أولاد تيدْرَارِينْ واحد (1)
فهذه جملة الركب ، وقد قدمنا أسماءهم مفصلة في مواضعها .

دعوة رجال الوحدة المغربية لوفدنا وما جرى بيننا وبينهم تلك الليلة من الأشعار والخطب

وفي هذه الليلة المذكورة ، ليلة الجمعة الثامنة من قعدة الحرام ، دعا رجال الوحدة المغربية سيادة الشيخ مربيه ربه ووفده جميعا دعوة جفلا ، وقد أعدوا لذلك مأدبة كبيرة ، وتهيأوا بما لا يوصف من تحسين الأمكنة وتنظيف الأنية والمبالغة في أطايب الطعام والشراب ، فلم يمكن للشيخ مربيه ربه إجابتهم لزكام أصابه الليلة ، فسار إليهم صنوُه الشيخ محمد الإمام وسائر الركب ، فلما دخلنا أماكنهم وقدموا لنا ما أعدوا من ملاذ الطعام والشراب مع إظهار الفرح والإعظام والإكبار ، أنشدهم جامعه ماء العينين بن العتيق ، وفقه الله بديهة :

[البسيط]

دعوتمونا سماحاً دعوةَ الجفَلا
فكنتمُ خيرَ من بالزائرِ احتفَلا
لو قيل فيكمْ ألسْتمْ خيرَ متّصفٍ
بالمكرمات لقال الزائرون بلَى
من كان داعيَ أقوام لمأدُبة
ولم يكُن هكذا فعْلاً فما فعَلا

وأنشدهم سيادة الشيخ محمد الإمام ارتجالا :

[البسيط]

جـــزاكُمُ اللهُ إجـــمـــالاً وإحـــســـاناً
أجـمـلتم الصنعَ أشـيـاخـا وفـتـيـانا
تاللهِ مـــا أبصَـــرتْ عينٌ نواديَكُمْ
إلا رأتكُمْ لعينِ المجـــدِ إنســـانا

وأنشدهم السيد محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة ارتجالا :

[البسيط]

قـــابلتـــمُـــونَا بأوفَى مـــا نطيبُ به
فـخْـــرا من أعظِم تبـــجـــيلٍ وأطيَـــبِـهِ
ولـيـس ذاك إلا من ســـيــــادتكُمْ
ومـــا منَ المجْـــد قـــدمـــاً تُوصَـــفُـــون بـهِ

وأنشدهم السيد يحْجبُ بن خطْرِ محمد المختار مرتجلا :

[البسيط]

في مـــثل هذا المنتَـــدى كَـــمُلَ المُنى
وأرى المنَى للـنفْـس في ذا المنتـــدَى
حُـــبِّي لمن بالمنتـــدَى منْ مُـــبْـــتَـــدى
عُـــمْـــري وآخـــرُه يُرى كـــالمُبـــتـــدَى

فارتاحوا لما أنشدناهم من الأشعار ، وأظهروا استحسانها بسكينة ووقار ، ثم قام الشاب الأديب عبد الوهاب بن منصور ، وألقى خطبة حسنة مشتملة على الترحيب بنا وعلى الاستبشار والفرح بمقدمنا ، وعلى أن لهم محبة زائدة بجانبنا .

وأنشد بعد الخطبة هذه الأبيات :

[المديد]

إنَّ جـــيـــدَ العُلى بكُمْ قـــد تحلَّى
وشُـــعـــاعَ الصَّـــلاحِ منكُمْ تجلَّى

وَغـــرامٌ في الله يجـــمــــعُنا اليــوْ
مَ وحبُّ الإله من شُــــهــــد أحْلى[177]
أيُّهـــا الزائرون شـــرَّفــتـمُــونا
مـــرحــبــا بالكِرام أهلاً وســـهــلاً
فـــاجِــزْني يا بن االعــتــيق أجــزني
إنكم في الشــعــوراســـمَى وأعلَى

فأجابه جامعه ماء العينين غفر الله له ارتجالا :

[المديد]

هذِه الخـــمْـــر بَلْ من الخــمـــرُ أحْلَـى
بَلْ هوالسِّـــحْـــر نَفْثُ هارونَ يُتْلـى
هي أبيـــاتُك التي مـــا لهـــا فِــي
سلك شِـــعْـــرٍ يسطيع ذو النظمِ شكلاً
رُمتَ فـــيـــهـــا إجــازتي يا بْن منصو
رٍ ، وقـــد كنت للإجـــازة أهـــلا
أنت في أبحُـــر القـــريضِ مُــجَـــازٌ
قـــد وجـــد ناك إذ خـــبـــرناك فـحْـــلاً

ثم قام رجال منهم فألقوا خطبا نثرية بديعة ، واعتذروا عن الإنشاد ، مغزاها واحد ، كلُّها تقتضي الترحيب بنا وإظهار الاعتناء والمحبة لنا ، منهم الحاج أحمد بن محمد مَغْنِينو السلوي ، وأدباء منهم آخرون ، فاستحسنّا خطبهم ، وارتحنا لها ، ثم ألقى عليهم جامعه ماء العَينين خطبة تقتضي جواب خطبهم على نسقها ، وأنشدهم ارتجالا :

[البسيط]

يا إخـــوةَ المجـــد يا أعـــلامَ سَـــبْـــسَــبِـــه
والــنَّـــازلــين بـــأعـــلـــى ذروة الــرُّتَـــب

(177) من شهد أحلى : كالشهد ، في مجموع يحجب ، و 19 ، وهي الرواية المتداولة .

لله إيخـــاؤكُمْ هذا فـــبـــينكُـــمُ
أخـتٌ لـبـــــانُ العُلى والعـلـمِ والأدبِ
قـــد سـرنَا اليـومَ مـا ألقـيـتـمُـوهُ لنا
تبـــاركَ الله من شـــعـــرٍ ومِن خُطبِ

فاستحسنوا ذلك وارتاحوا له ، ثم قام السيد الأديب إبراهيم بن الولي العارف الحاج علي الدرقاوي السوسي[178] ، وأنشد قصيدة بديعة أنشأها في مدح سيادة الشيخ مربيه ربه والترحيب به وسائر الوفد ، ويخص ، منهم بالتسمية جامعه عفا الله عنه ، مطلعها[179] :

[الكامل]

خطَرَ النسـيـمُ مـبـشِّـراً بالأسـعـد
ويدُ الصـبـاح تَبُلُّ وجـهَ الأمجـدِ
هاذي الرُبى تَخْـتَـالُ في أعطافِـهـا
فـتـخـالُ سـاحـتـهـا كـثـوب بُرجَـد
نشـر الغـمـامُ لهـا جـواهرَ زهرهَـا
فـتـزينَت جنبـاتُهـا بزبرجـد
وتبـادلت أطيـارُها ألحـانَـهـا
في نشـوةٍ فـوق الغـصـونِ الميَّـد

(178) إبراهيم الإلغي من علماء المغرب وأدبائه المحدثين ، توفي سنة 1985 ، أنظر :

- المعسول ج 2 ص 282- 297 .

- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين ، ص 275 - 278 .

إبراهيم الإلغي - حياته وشعره ، ذ علالي محمد ، رسالة دبلوم - مرقونة .

(179) أنظر القصيدة في مجموع يحجب ، و 18 .

إلى أن قال :

فاليوم لا حظتِ السعادةُ خلسةً
بعيونها قلبَ الغريبِ المُبعَدِ

من قبلُ كان البينُ فرّق بَيْنَنَا
فالآنَ أمسينا كعقد منضدِ

إن صحَّ ترحيبُ الغريب بمثله
فأنا أرحّبُ بالوفُودِ الوردِ

هاذي الوفُودِ النازلاتُ برحبنَا
لبت نداء الله دون تردُّد

يحدوهُم الشوْقُ الكمين على النوى
كيما يحُجوا بيتَ عتق سَرْمدِ

وقلوبهُم تلتاعُ من بين الحشا
كيما يزوروا روضةً لمحمّد

فلحجهم من غير شك حطّةٌ
إذ هُمْ أتوهُ من مكان أبعد[180]

إن نحنُ قمنا بالتّجلّة نحوهُم
فالفضل منهمْ لا يقاسُ بأزيد

فالله يبلغ سُؤلهُمْ ويحوطهُمْ
حتى يفوزوا بالمنَى والمقصَد

هذا أميرهمُ مبرّه ربّه
أكرم به من قُدوة للمُقتَدي

عَلمُوا مكانته العليّة في الورى
علماً وأخلاقاً ورفعَة محتد

(180) حطة : تخفيف للذنوب والأوزار .

يكفيه فخراً أنهُ الحصنُ الذي
حرسَ الدّيانة في الجنوب الأبْعَدِ

إلى أن قال :

أسلافُ هذا الشيخ كانوا حُجةً
في الدين والعلم الصحيح المُسنَدِ
أعظِمْ بهم أعلامَ دينٍ ما سعوا
إلا لرفْع الدِّينِ فوقَ الفرْقدِ
كم من معارفَ أجادوا نسْجَها
في نولِ زاويةٍ ووارف مسجدِ
كم سُنَّة فاءَتْ بظلٍّ قبابهمْ
فقضوا على البِدَعِ التي لم تُحمَدِ

إلى أن قال :

فلئنْ تفاخرَتِ البلاد بشعْرِها
فلهُمْ طوالعُ كالدّرار الوُقّدِ
فابنُ العتيق الفحلُ بازلُ قومِهِ
يرمي بفكر كالقسّي مسدّدِ[181]
أما معانيه فوحْيُ مُلْهَمَ
واللّفظُ منهُ كلؤلؤ وزُمرُّدِ

إلى آخرها ، جُزيَ خيرا ، وهي طويلة جيدة ، فلما أتمها طرب لها الندي وداخلته أريحية من حسنها ودلالتها على ما يقتضيه الحال .

(181) بازل : كامل العقل والتجربة ، وهو البزل ، وهو طلوع ناب البعير في السنة التاسعة .

ثم قام الشاب الأديب السيد إدريس الجاي[182] وأنشد أيضا قصيدته الحسناء التي أنشأها في المعنى ، مطلعها :

[الطويل]

نَفَى عَنْ جفوني النومَ بُعدُ سُعادِ
وهَلْ بعْدها يوماً يطيبُ رُقادي

ألمْ تكُ لي مُذ كنتُ أكبرَ عُدَّةٍ
وعندَ خطوب الدهر أوفرَ زادِ

علقتُ بها مُذ كنتُ في المهد إلْفَهَا
فحلَّتْ بصدْري في جوار فؤادي

فكنتُ أناديها نزيلَةَ مُهجتي
وكانت هي الأخرى كذاك تُنادي

إلى أن قال :

عَدمْتُ مُرادي منْ سعادَ ببُعْدها
فعُوِضْت ما يُنسِي غرامَ سُعادِ

ولا عجبٌ ذا ابنُ العتيق يضمُّنا
وإيَّاهُ مِنْ بعدِ التباعُدِ نادِ

إلى أن قال :

وقل للقوافي ما أردتِ فحلِّقي
وما شئتِ فاسْتَعلِيْ بكلِّ نجادِ

---

(182) ادريس الجاي : ولد بفاس حوالي 1923 ، وبها درس ، ارتحل إلى شمال المغرب ومنه إلى باريس ، بعد الاستقلال التحق بإذاعة الرباط ، له مشاركة في الشعر منها ديوانه «السوانح» وغيره ، توفي سنة 1978 ، أنظر ترجمته في : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ، ابراهيم السولامي ، ص ، 231 ، الأدباء ، المغاربة المعاصرون ، عبد السلام التازي ، ص ، 67 .

وقل للرُّبى إمَّـــا بكت لـحـــداده‍ا
رشـــادَكِ ليس الوقتُ وَقْتَ حِـــدادِ
لئن أقـــفـــرتْ منك الزهورُ ذوابلاً
فـــهـــا زهراتُ ابن العـــتـــيقِ نـوادِي
وإن ذرفَتْ عينُ السَّـمـــاء مـدامـــعـــاً
فـــهـــا بسـمـــاتُ ابن العـتـيقِ بـوادِي
ألا مـــرحـــبـــاً بالواردينَ لِـــربْعنَا
ورودَ المعين العـــذْبِ غُلَّة الصَّـــادِ
بكم أتأسَّى عن سُـعـــادٍ وبُعـدِها
وألقَى الكَرَى من بعْـد طول سُـهـادِ
نزلتُمْ بنا فـــالقلبُ جـــذلانُ فـــارحٌ
طروبٌ وعـــصـــفُـــورُ الشَّـجـيَّـة شـاد
وإن تنزلوا تطوان أعظمْ بفـــخـــرها
ألا طَـاولـي تـطـوانُ كـلَّ بـــلادِ
وتيـهي إذا مـــا شـئت أو فـتـدَلَّلي
فناديكِ هذا اليـــومَ أحـــفلُ نـــادِ
فـقـد حلَّ فـيك العلمُ والفـضلُ والتُّـقى
بمـن ربُّـه ربَّـاهُ وهْـو لـهُ هـــادِ
ومـن للإســلام أكـــبـــر ناصـــر
وللعلمِ والآداب خـــيْـــرُ عَـــتَـــادِ

إلى آخرها ، وقد أجاد فيها وأبدع ، فاستحسنها الحاضرون باغتباط(183) ، واستمالتهم عن طرب ونشاط ، ثم أنشدهم جامعه ماء العينين بن العتيق ، وفقه الله

(183) أنظر القصيدة في مجموع يحجب ، و 18 .

في جواب الشاعرين هذه الأبيات[184] :

[الكامل]

الشعرُ في يَدي الخليلِ بِعقْوَدِ
يُلقى وللْجاني يَجي طوعَ السيدِ

فحْلانِ فكرُ كليهما لن ينبعثْ
إلا إلى نظْمِ القريضِ الجيِّدِ[185]

في السُّودَد اصطحَبَا اصطحَاب الفرقد
يْنِ فأدركَا فيه مناطَ الفرْقدِ

في سادةٍ من تلقَهُ منهم تقلْ
ما أبصرَتْ عيني كهذا السيِّدِ

قد طاب مَحْتِدُهم وطابوا أنْفساً
ويَزيدُ طيبُ النَّفسِ طيبَ المحْتِدِ

يَاحُسْنَ ما يَطْبِي النُّهَى بنديِّهمْ
من خاطبٍ أو مُنشئٍ أو مُنشدِ

اهْدَى لنا النَّدْبان في النَّادي ابْنَتَيْ
فكرٍ كَسِمْطَيْ لُؤلُؤٍ وزَبرْجَدِ[186]

نَفَتَا عنِ الجفْنِ الأسَى إذْ منْهُما
خَطرَ النسيمُ مبشِّراً بالأسْعَدِ

فابتهجوا بها وارتاحوا لها غاية الارتياح ، ثم طابت بفاكهات النديِّ الأشباح والأرواح ، وهي ليلة انصرمت بالمحاضرات الأدبية واللطائف العجيبة والمحادثات العلمية في كل مجال ، لما توق له وتغتبطه نفوس الرجال ، وفيما ذكر كفاية من مسامراتها ، ولولا خشية الإطالة لاستقصينا محاضراتها .

---

(184) انظر هذه الأبيات في مجموع يحجب ، و 18 .

(185) فحلان : ندبان ، في مجموع يحجب ، و 18 .

(186) الندبان : الفحلان ، في «ب» و 20 .

زيارة وزير الأحباس والتماسه الإجازة من صاحب الرحلة وما كتب له فيها

فلما كان الغد يوم الجمعة زارنا وزير الأحباس العلامة الكامل الجامع الفاضل الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى(187) المراكشي مولدا، التطواني مقرا، على عادته، لأنه قلما يتخلف عنا يوما، من يوم دخلنا تطوان، وهو ممن أخذ الورد عن شيخنا الشيخ ماء العينين، وله نظم رائق في سلسلة أشياخنا في الطريق القادرية يسردهم متصلين من عند شيخنا إلى رسول الله ﷺ، وقد تذاكرنا معه في سائر الفنون، فوجدناه بحرا لا ساحل له، له مشاركة كبيرة في أكثر العلوم، وله اليد الطولى في علم العربية، وكان شاعرا مجيدا، أنشدنا كثيرا من أشعاره، منها ما هو في مدح المولى الخليفة سيدي حسن، ومنها ما هو في الأدعية والحكم والفقه والمحاضرات، إلى غير ذلك، وله خبرة بعلوم الأسرار والخواص والتصوف، وكان سُنيا محافظا على أمور الشريعة مع ما أُعطيَه من علم الحقيقة ،وقد طلب مني في هذا اليوم أن أجيزه وأحليَ إبريزَه بأشعاري ومنظوماتي وتقاييدي وسائرِ مؤلفاتي، فكتبت له ما نصه :

الحمد لله وحده، صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، حمدا لمن جازى بالحسنات وبدأ بالإحسان، وجعل اللسان العربي أفضل لسان، والسلامان على المبعوث به للقديم والحديث، القائل، «أحب(188) العرب لثلاث» إلى آخر الحديث، وعلى آله وصحبه ، وتاليه من سائر(189) الأجناس، المنزل فيهم، «كُنْتم خيرَ أُمة

---

(187) ابن موسى : هو محمد بن عبد القادر بن موسى، أصله من مراكش، وهو من الأدباء الكلاسكيين المتميزن في المغرب في سنوات الثلاثين من هذا القرن، تقلب في مناصب كثيرة بالمنطقة الخليفية، آخرها وزارة الأحباس بتطوان التي استمر بها عشرين عاما . توفي سنة 1965 . خلف أشعارا كثيرة تم جمعها وإخراجها .

أنظر ترجمته في : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، ص، 226 .

(188) أحب : أحبوا، في كتب الحديث، مختصر المقاصد الحسنة حديث رقم 29 .

(189) سورة آل عمران، آية 110 .

أخْرِجَتْ للنَّاس» ، أما بعد ، فقد طلب مني الأخ في ذات الله ، المُعرض عن كل شاغل عن الله ولاه ، العلامة المشارك الأديب الناظم الناثر ، الحسيب ، من نبغ لدرر البلاغة قاموسا ، الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى ، ألبسني الله وإياه حلل التقوى ، ولا زال على أعباء الطاعات يقوَى ، أن أجيزه بمنظوماتي وأشعاري ، وكلما سمحت به نتائج أفكاري ، فلبيتُ نِداه وأجبت دعواه قائلا : قد أجزتك أيها الأخ الشقيق والخِل الصديق بجميع ما نظمت من دواوينَ شعرية ، وألفت من تقاييد نثرية ، بل بسائر المعقول والمنقول ، من فروع وأصول ، وأوصيك كنفسي بتقوى الله العظيم وأن لا تنساني ، في صالح دعائك الخاص والعميم ، وهذه أبيات للحال تناسب جادت بها قريحة الكاتب .

[الوافر]

وَضَعْتَ لكلِّ مأثُرةٍ مَجازًا
وتُوثِرُ للتواضُعِ أن تُجازَا

فشئتَ إجازَتي إياك فضلاً
لوَ أن الأمرَ منعكسٌ لجازَا

هنيئاً قد أجزتكَ دونَ قيدٍ
تجيزُ وأنتَ أفضلُ مَنْ أجَازَا

إليْكَ زِمامَهَا البلْغاءُ ترْمي
إذا رُمْتَ القريضَ والارْتجَازَا

وأنت بحالِها الطرف الجلي
إذا خُضْتَ الحقيقةَ والمجازَا

جُزيتَ لرَعْيكَ الأدَب ابنَ مُوسى
بأحسنَ ما الأديبُ به يُجازَى

كتبه العبد الحقير ، المعروف بالتقصير ما العنين بن العتيق ، هداه الله لأقوم طريق في 8 من قعدة الحرام عام 1357 ، عرفنا الله خيره وخير ما بعده ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فلما كان يوم الأحد العاشر من الشهر ، ندبنا وزير الأحباس الفقيه محمد المذكور لداره ، فسار إليه الشيخ مربيه ربه وأخوه الشيخ محمد الإمام وسائر الوفد ، فأكرمنا غاية الإكرام ، وبالغ في الإحسان والإنعام ، وكان يخدم القادمين بنفسه مع غاية البشاشة والطلاقة ودَوَام الترحيب ، جزاه الله عنا أحسن ما جُوزي به حبيب عن حبيب .

قدوم الطبيب علينا لتلقيح وفد الحاج

فلما كان يوم الغد يوم الإثنين ، قدم علينا الطبيب بمحلنا في دار الضيافة فلقح وفد الحاج من الجدري على الكيفية المعتادة خوف العدوى .

قدوم السيد عبد القادر الفِكيكي تلميذ شيخنا وزيارة بعض الأحبة لنا

وفي أيامنا بتطوان قدم علينا مريد شيخنا ماء العينين الذائق الواصل ، الفائق الكامل ، عبد القادر بن محمد بن عبد الله الفكَيكِي [190] من مسكنه بقلعية في بْنِي بْويفرُّ من بلاد الريف للزيارة من أشياخه والتبرك بهم ، وكان صاحب أحوال وأشواق وهمة عالية ، لا سيما في تحصيل الأسرار والحكم ، خصوصا تآليف الشيخ ماء العينين وأبنائه ، وقد تتلمذ على شيخنا بالسمارة ، وصحبه مرة ، وجد في خدمته حتى صدره ، وظهرت عليه البركة الكثيرة ، وانتفع به خلق كثير ، وأمرُه في بلده شهير . وممن جاءنا للزيارة أيضا تلميذ شيخنا ماء العينين الشريف السيد محمد بن الحاج خديم من ذرية مولانا ادريس ، وهو رجل من أهل القلوب ، ولم تعلق عظيم بشيخنا ﷺ ، وتكلمتُ معه فإذا هو ذو أذواق وفتح ، ومما استفدت من كلامه :

---

(190) عبد القادر الفكيكي : من كبار البنائين الذين بعثهم السلطان مولاي الحسن لبناء مدينة السمارة ، لازم الشيخ ماء العينين وحصل على يديه الكثير من العلوم ولا سيما الأسرار . ساهم بدور كبير في نشر الفاضلية في بلاد الريف .

«أسباب المحبة كالحبة ، إذا زُرِعَتْ في بلد طيب نبتَتْ وخرجتْ ، كما قال تعالى : «والبلدُ الطيب يخرُجُ نباتُه بإذْنِ ربِّه»(191) وقَال تعالى : «كمثَلِ حَبَّة أنبتت سبع سنابل»(192) الآية ، وإن لم تزرع في بلد طيب فسدت» واستفدت منه أيضا : «للناسَ أغْرَاضٌ في تمزيق الأعراض ، وجلهم ككاتب الشمال لا يكتب إلا السيئات» . وهو أن غالب الناس كالذباب ، إن رأى من الجسد جرحا أو دملا ونحو ذلك تساقط عليه ، كناية عن كون أكثرهم لا يتفطنون إلا للعيب ولا لهم نظر إلى غيره .

وممن زارنا السيد عبد الحي بن السيد محمد الشريف القادري نسبا وطريقة التطواني(193) ، فاستدعانا لداره ليلة الخميس الرابعة عشر من ذي القعدة ، وكذلك دعانا تلك الليلة الفقير محمد بن حمٌ بن جاد القلعي من فرْخَان ، فسار الشيخ مربيه ربه إلى الفقير محمد بن حم و معه جامعه وجل الوفد ، وسار أخوه الشيخ محمد الإمام إلى الشيخ سيد عبد الحي ، ومعه بعض الوفد ، وكلاهما أكرم وأحسن ، جُزِيَا خيرا .

وممن زارنا بتطوان وأتحف الشيخ مربيه ربه بتحف حسنة الأستاذ السيد عبد الخالق الطرِّيس(194) بن الحاج أحمد بن محمد ، رئيس الحزب الإصلاحي الوطني(195) ، ومعه بعض حزبه وإخوانه للتبرك وطلب الأدعية الصالحة ، منهم السيد محمد فتحا ابن عبد السلام بن عَبُّود(196) مدير المدرسة الأهلية ، والفقيه السيد أحمد بن محمد

---

(191) سورة الأعراف ، آية 58 .

(192) سورة البقرة ، آية 261 .

(193) عبد الحي القادري ، عالم مؤلف في التراجم ، أنظر : التأليف ونهضته ، ج . 2 ص . 336 .

(194) عبد الخالق الطريس ، من قادة الحركة الوطنية والمغربية وأعلامها البارزين ، ولد سنة 1910 بتطوان ، وتوفي بطنجة سنة 1970 ، أنظر حوله ، مذكرات من التراث المغربي ، ج . 6 ص ، 72 ـ 1986 .

(195) تم الترخيص بإنشاء هذا الحزب في 7 دجنبر 1936 ، نفس المرجع .

(196)محمد بن عبد السلام بن عبود ، عالم ومؤلف ، أنظر بشأنه التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين ، ج 1 ، ص 165 .

الغيلاني[197] والشريف السيد الحسن بن احمد بن عبد الوهاب[198] والحاج محمد بن العربي بَنُّون[199] وإبن أخيه السيد الطيب بن عبد السلام بنون ، والخطيب بزاوية السيد عبد الله الفقيه الحاج السيد محمد[200] بن محمد (فتحا) الطنجي ، وأخوه السيد عبد السلام[201] والسيد محمد ابن العربي الزُّكارِ[202] .

---

(197)أحمد الغيلاني ، أنظر ترجمته في مجلة تطوان العدد المزدوج 4-5 .

(198) الشريف السيد الحسن بن عبد الوهاب : من رجال الوطنية المشهورين ،له جولات في ميدان القضاء والتشريع ، ومساهمات في هذا الميدان ، ألف كتابا في القضاء والإدارة المغربية لا يزال محجوزا بإحدى المطابع ، أنظر حوله ما كتبه عنه الأستاذ محمد الصباغ في جريدة العلم .

(199) محمد بن العربي بنون : هو شقيق الحاج عبد السلام ، رجل وطني صوفي ، لحن كثيرا من الأناشيد الوطنية التي كانت تتردد في مدارس تطوان الوطنية وغيرها من مدن الشمال المغربي كان له دور كبير في تنظيم زيارة شكيب أرسلان للمغرب وتطوان سنة 1930 ، وهو من أدباء تطوان البارزين . انظر حوله الحركة العلمية والثقافية بتطوان ج2 ص606 .

(200) محمد بن محمد الطنجي : من أعضاء حزب الإصلاح الوطني له مساهمات كثيرة معظمها في خطب الجمعة والأسرة في الاسلام وتظم الزكاة وديوان شعر أنظر حوله : إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين ، محمد بن الفاطمي السلمي ص21 ، مطبعة النجاح الجديدة 1992 .

(201) عبد السلام الطنجي ، : هو شقيق السيد محمد ، وهو من رجال الوطنة أيضا ، ، اشتغل بالتجارة ، وهو محدث بارع ، وملم بالموسيقى الأندلسية وأحوال المجتمع التطواني ، نفس المصدر .

(202) محمد بن العربي الزكار : من رجال الوطنية ، كان يعمل ضمن حزب الشيخ محمد المكي الناصري ، اشتغل بوزارة الأوقاف مدة طويلة وبقي بها إلى أن أحيل على المعاش . أقيم له حفل تكريم بتطوان جمع الأستاذ مصطفى الشمشوع كل ما قيل فيه . وهو لا يزال يقيم بتطوان ، أنظر مجله السلام ، ج . 10 ، نونبر 1934 .

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة أتانا المريد الواصل ، العابد الفاضل ، قائد المشور السيد محمد المصطفى بن القائد ادريس على عادته ، لأنه كان قلما يفارقنا ليلا ولا نهارا ، وقدم لنا ـ آل شيخنا الشيخ ماء العينين ـ هدايا كثيرة ، دراهم وطعاما ولباسا ، وخص الشيخ مربيه ربه والشيخ محمد الإمام وكل واحد منا بما يناسب حاله ومقامه من هديته ، ومن ذلك أنه أهدى لكل منا كسوة تامة على وصفها المعروف في البلاد الغربية ، وكذلك أهدى لكل واحد منا لباس الإحرام على حاله المشروع المعروف ، حتى النعلين ، إلى غير ذلك مما هو كثير ، تقبله الله منه ، وجزاه عنا أحسن جزائه ، وكذلك فعل أخوه المريد الخاشع الباشا السيد محمد فاضل ابن القائد ادريس ، فإنه أتانا بهدايا كثيرة لكل واحد منا على حسب حاله ، ومنها الكسوة المعروفة لكل واحد منا ، وقلما يفارقنا ، وكذلك أخوهما خليفة قائد المشور الولي ،(203) فقد أحسن معنا ، جزى الله الجميع خيرا .

ذكر مسيرنا من تطوان إلى سبتة لركوب باخرة الحج

وفي صبيحة يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة الحرام ، سافرنا من مدينة تطوان قاصدين مدينة سبتة بقصد ركوب الباخرة نحو الحرم الشريف بمركب الشيخ مربيه ربه السيارة وأهلُ بيته ، وأما سائر الوفد ، وفيه صنوه الشيخ محمد الإمام ،

(203) محمد الولي : ولد بتطوان سنة 1900 ، لما كان إدريس بنعيش البخاري باشا عليها ، درس اللغة العربية بفاس ، ثم انتقل مع أخيه الباشا محمد الفاضل إلى العرائش سنة 1910 حيث درس الإسبانية ، عمل مترجما بإدارة الجمارك بنفس المدينة ، ثم قائدا للمشور الخليفي بعد وفاة أخيه محمد المصطفى ، ثم أحيل على المعاش بعد إلغاء دار الخلافة ، توفي سنة 1968 ودفن جوار أخيه بالزاوية الحراقية . معلومات زودني بها مشكورا الحاجب الملكي السيد علي بنعيش .

فركبوا في سفينة الباخرة باللغة العجمية «ترن»[204] ، فوصلنا سبتة قيلولة اليوم المذكور ، فركبنا حينئذ الباخرة الفاخرة ، فوجدناها في غاية الحسن والاتساع والاتقان ، على حسن تنظيم طبقاتها ، فتلقانا أهلها بالأفراح والانبساط والانشراح ، والتقينا مع إخواننا الحجاج ومشيعيهم من أقاربهم وأحبابهم ، يدخلونها من كل فج ، فكان يوم دخولها يوما مشهودا وقع فيه احتفال كبير ، وابتهاج عظيم ، حتى غصت الباخرة على اتساعها ، ما شاء الله من الداخلين ، فلما سلم بعضهم على بعض ، وحَمِدُوا الله على اجتماعهم لهذه الطاعة وكلهم هنأ بها الآخرين ، نادى مناد في أعلى الباخرة يأمر بخروج غير الحجاج من الباخرة ، ورجوعهم ، فتوادعت الناس وابتهلت وتضرعت لله تعالى بقلوب خاشعة ، وأبدان خاضعة ، وعيون باكية ، وأيد مبسوطة ، داعين للحجاج ببلوغ بغيتهم وبالتيسير لهم في طريقهم ، وبأن يتفضل الله تعالى عليهم بحج مبرور ، وسعي مشكور ، وأن يغفر للمشيعين ، ويتقبل منهم تشييعهم لإخوانهم ، ولا يحرمهم من الأجر ، فعند ذلك رجع المشيعون بسلامة . ومن المشيعين لنا من أهل تطوان حتى وصلنا الباخرة ، قائد المشور السيد محمد المطفى ، وأخوه الباشا السيد محمد فاضل ابنا القائد ادريس ، والفقيه وزير الأحباس السيد محمد ابن عبد القادر ، والشابان الساكنان وقتهما بتطوان للتعلم بها ، السيد محمد العَبَادِلة[205] بن الشيخ محمد الأغظَف ابن شيخنا ماء العينين ، والسيد محمد ابن

Train (204)

(205) العبادلة : ولد سنة 1925 تلقى دراسته الأولى في الصحراء ، هاجر إلى تطوان لاستكمال دراسته العليا ، سخر كل طاقاته لخدمة القضية الوطنية ، فأشرف على فتح عدة فروع لحزب الاستقلال في العيون والسمارة وطنطان ، شارك في مختلف المؤتمرات التي تناولت قضية الصحراء ، كمؤتمر أم الشكَّاكْ سنة 1956 ومؤتمر بوخشيبية سنة 1958 والجمع العام لجمعية الأمم المتحدة سنة 1966 ، وغيرها ، جمع جل الأطفال المنحدرين من الأقاليم الجنوبية ، البالغين سن التمدرس ، وأرسلهم بمساعدة رجال المقاومة وجيش التحرير للدراسة في الدار البيضاء ، وأكادير وتغراوت ، وغيرها من مدن شمال المملكة ، توفي في حادثة سير بناحية تارودانت بعد حضوره للمؤتمر الأول للشباب الصحراوي بطنجة سنة 1975 ، خلف مجموعة من الأشعار والمقالات . أنظر ترجمته في (Le Dossier du Sa-hara occidental.Autilo Gaudio P. 89)

السيد أحمد بن سيد أحمد بن عيدة[206] ، الشهيرة أباؤه بالإمارة في أدرار ،[207] [في نواحي مدينة شنقيط وغيرهم] [208] .

مطلب في كون الشيخ مربيه ربه هو رئيس الحاج الديني في الباخرة وبعض أحوالها في وأهلها

فلما كان وقت العشاء ليلة الأحد السابعة عشر من قعدة الحرام ، ونحن بالباخرة قدم علينا المقيم العام[209] ومعه نائب الأمور الأهلية ووزير المولى الخليفة [الصدر الأعظم] [210] السيد أحمد الغنيمي السليماني[211] ، فاجتمع عليهم مَنْ بالباخرة من الحجاج ، وجلس المقيم العام على كرسي ، وأجلس الشيخ مربيه ربه وأخاه الشيخ

---

(206) أحمد بن عيدة : هو أحمد بن سيد أحمد عايدة ، أمير أدرار الشهير ، ولد حوالي سنة 1920 ، بعد استشهاد والده يوم 14 فبراير 1932 بوديان الخروب ، التحق بطرفاية فتولى الشيخ مربيه ربه رعايته ، وأوفده إلى تطوان للدراسة بعد الاستقلال المغرب ، قدم إلى الرباط ، وجدد البيعة للمغفور له محمد الخامس ، توفي سنة 1962 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط . معلومات زودني بها مشكورا الأستاذ مربيه ربه ماء العينين .

(207) أدرار : إحدى ولايات موريتانيا حاليا ، عاصمتها أطار . أنظر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، ص 428 ، حياة موريتانيا «الجغرافيا» المختار ولد حامد ، ص 207 .

(208) «ب» و . 28 .

(209) هو خوان بيكبدر أينثا Juan Beygbeder Aienza ، جنرال إسباني ولد سنة 1881 ، التحق بتطوان سنة 1915 فتعلم الفصحى والدارجة ، في سنة 1937 عين مقيما عاما لإسبانيا في المغرب ، وكانت له صلة قوية بالحركة الوطنية المغربية ، توفي بمدريد سنة 1957 أنظر حوله : معلمة المغرب ج 6 ص 1962 . مطابع سلا 1922 .

(210) «ب» ، و ، 28 .

(211) أحمد الغنيمي السيلماني : تولى الصدارة العظمى في المنطقة الخليفية بتطوان ، ولم يبق من عائلته إلا بعض أسباطه ، عن الأستاذ جعفر بنعجيبة .

محمد الإمام علي كرسيين حوله ، ثم خطب خطبة أوجز فيها ، ومقتضاها بعد السلام على من بالباخرة من الحجاج وتهنئتهم بالركوب إلى الحج ، إعلامهم أن معزّ الدولة «الخنرالِسمُو فرَانكو»[212] قد هيأ لكم أيها المسلمون هذه الباخرة لحجكم ، فتنبهوا لفعله الجميل لكم وإعانته إياكم على دينكم ، وقُصُّوا ذلك على إخوانكم المسلمين بالحجاز وغيره ، واعلموا أن الرئيس الديني لكل من في الباخرة هو سيادة الشيخ مربيه ربه ، والحاكم فيها هو القائد محمد ابن عمر أوشن السعيدي . ثم ودع ورجع من حينه هو ومن أتى معه .

فلما كان قبل السحر من ليلة الأحد المذكورة ، أقلعت الباخرة بنا متوجهة في حفظ الله تعالى جهة الحرم الشريف ، وفيها من حجاج المسلمين ما ينيف على الألف ، وفيهم العلماء والفقهاء والطلبة والخطباء والأدباء والقضاة والقواد والرؤساء والعامة من الرجال والنساء والصبيان ، والناس في منازل الباخرة على طبقاتهم مقبلين على أمر دينهم ، مكفيين أمور معاشهم ، لأن أهل الباخرة قائمون لهم بذلك أحسن قيام في أوقاته المعروفة ، بأوصافه المألوفة ، مع حسن الأخلاق وإظهار الإكرام ولزوم الأدب مع الخاص والعام .

وهذه الباخرة تسمى «ماركيسْ دِي كُومْيَاس» ، وصفتها وحمولتها ومقدار سيرها هو ما نشرته الجرائد في العام الحالي والذي قبله ، ونصه باختصار : «الحج إلى مكة المكرمة . أيها المسلمون المغاربة في يوم 14 من شهر ذي القعدة الحرام عام 1357 موافق 5 يناير 1939 ، ستقلع من ميناء سبتة إلى جدة الباخرة الجميلة المسماة «ماركيس دِي كومْيَاس» حمولتها 12225 طنا ، وسيرها 17 ميلا في الساعة ، وسترسى في طريقها إلَى ميناء جدة في مرسى مليلية وطرابلس وابن غازي وبورسعيد والسويس ، وسيتوجه صحبة وفد الحجاج رئيس ديني وإمام وقاض مع عدلين وحاكم ، وتحتوي على مصلى ومستوصف وبيت صحي ، وقاعة ومطبخ ، ويقوم بالأشغال داخله خدام مغاربة ، أثمان تذاكير السفر مع الأكل ذهابا وإيابا إلى جدة :

ـ الدرجة الأولى 1600 بسيطة إسبانية

---

(212) الخنيرا ليسمو فرانكو : فخامة الجنرال فرانكو .

ـ الدرجة الثانية الاعتيادية 1400 بسيطة إسبانية

ـ الدرجة الثالثة الممتازة 900 بسيطة إسبانية

ـ الدرجة الثالثة الاعتيادية 800 بسيطة إسبانية .

وهذا الوصف الذي ذكر في الجرائد من حال الباخرة وجدناه كله صحيحا ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وليس الخبر كالعيان ، والرئيس الديني المذكور سيدنا الشيخ مربيه ربه كما قدمنا ، والإمام فيها الفقيه المدرس في الجامع الكبير السيد محمد التجكاني[213] أصلا ، التطواني مقرا ، والقاضي فيها الفقيه السيد عبد السلام ابن احمد القموري ، المعروف بأزطوط[214] ، وهو قاضي مدينة العرائش سابقا ، وكان رجلا خيرا ، والعدلان ، أحدهما السيد علي الريفي ، الكاتب في مراقبة القصر ، والثاني السيد عبد السلام العلوي التطواني[215] ، والحاكم فيها القائد محمد بن عمر أوشن[216] ، المتقدم ذكره .

كيفية قراءة الحزب على سنن شيخنا الشيخ ماء العينين

وفي الباخرة عدة مصليات ، فمصلاها الكبير هو الذي في الدرجة العليا ، وهو

---

(213) محمد التجكاني : هذا الفقيه أصلا من غمارة ، حيث توجد قرية تجكان ، وهو رجل صالح وعالم مطلع ، وكان يدرس بالمعهد الديني بتطوان ويخطب بجوامعها ، وكان محبوبا من عامة الناس ، وهو محسوب على عائلة ابن الصديق بغمارة وطنجة ، ويعتبر الأستاذ سيدي محمد بوخبزة أحد أسباطه المتميزين في معرفة التراث المغربي ، وخاصة تراث المنطقة الخليفية . عن الأستاذ جعفر بنعجيبة .

(214) عبد السلام القموري : قاضي العرائش وأحد وجوه العائلات العلمية بها ، لم يخلف عقبا ، حسب معلومات الأستاذ جعفر بنعجيبة .

(215) عبد السلام التطواني : كان من عدول تطوان ، ويميز عن غيره من العلويين بإضافة اسم والدته السيدة أم كلثوم «غرسيه» ،تعرض الأستاذ احمد المريبطو العلوي لعائلته في كتاب طبع في بداية الاستقلال ، عن الأستاذ جعفر بعجيبة .

(216) محمد بن عمر أوشن : هو والد السيد والي عيون الساقية الحمراء سابقا ، توفي سنة 1972 عن عمر يناهز الثانية والتسعين .

حسن متسع يسع ثلاثمائة من المصلين أو أكثر ، وهو الذي يصلي فيه سيدنا الشيخ وأقاربه ومن في درجتهم العليا من سائر الحجاج ، وأمر الشيخ أعزه الله إمامه عبد الصمد المذكور بالتدريس فيه وتعليم الحجاج مناسك الحج ، بعد طلوع الشمس وبعد صلاة الظهر ، وتعليمُهُ بليغ نافع ، وأمر الفقيه السيد محمد بن عياد المعروف بالخمسي بتعليمهم فيه بعد صلاة العصر ، وله خبرة بالعلوم واقتدار وقابلية حسنة في التعليم ، ويَقرأ الحزب فيه ما ينيف على مائة من الطلبة ، فأولا يُقرآ على سنن شيخنا الشيخ ماء العينين المعروف ، وهو أن يقرأه إثنان جهراً وباقي الجماعة سراً ويقرأ في كل ليلة ثلاثة أحزاب ، فيقع الختم في ثلاث أحزاب فيقع الختم في ثلاث جمعات ، ويقع الابتداء في القراءة بعد صلاة العشاء ليلة الخميس ، ثم لم يزل يُقرا بعد صلاة الصبح والمغرب والعشاء الحزب ، وويقرأ معه بعد المغرب والصبح سورة ياسين وسورة الصف ، ثم سورة قريش ثلاثا ، ثم ترفع الجماعة أيديهم للدعاء ، ويدعو أحد القارئين بعد أن يقرأ الفاتحة خمس مرات بهذا الدعاء ، والجماعة تؤمن ، ، وهو : «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تنجينا من جميع الأهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات ، اللهم أنزل علينا في هذه الساعة من خيرك وبركاتك ما أنزلت على أوليائك وخصصت به أحباءك ، وأذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك وانشر علينا رحمتك التي وَسَعَتْ كل شيء ، وارزقنا منك محبة وقبولا وتوبة نصوحا وإجابة ومغفرة وعافية تعم الحاضرين والغائبين والأحياء والميتين ، ثلاث مرات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثلاث مرات ، لا تخيبنا مما سألناك ، ولا تحرمنا مما رجوناك ، واحفظنا في المَحْيَا والممات ، إنك مجيب الدعوات ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[217] .

---

(217) أنظر بشأن هذه الصلاة كتاب : أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ ، ليوسف بن اسماعيل النبهاني ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، (الصلاة السادسة والعشرون المنجية) ، ص 43 - 44 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ط . 1996 .

وأما في العشاء، فلا يُقرآ إلا الحزب فقط، والفاتحة خمس مرات، والدعاء المذكور ويُقرآ في صبح كل جمعة مكان الحزب سورة الكهف والدخان، فيقع الختم بعد صلاة المغرب ليلة الخميس في ثلاثة أسابيع، ثم يُبتدأ في أول الختمة بعشائها كما قررنا.

قصيدة لصاحب الرحلة في ذكر سند أشياخه في القرآن العظيم إلى النبي ﷺ

وكان شيخنا الشيخ ماء العينين يرتب اثنين من أبنائه أو تلامذته لقراءته بإزائه على هذا السنن، ويقرأ هو ﷺ وباقي الجماعة سرا، خشية التخليط، وقد كنت أحد اللذين يقرءانه حوله ﷺ، أمرني بذلك منذ حفظت القرآن، وأُعطيت فيه الإجازة بحمد الله، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، وقد نظمت أشياخي في الإجازة إلى رسول الله ﷺ في قصيدة لا بأس بذكرها هنا للتبرك بأسمائهم وهي:

أحمد مَنْ سنَّ على الحقِّ المجازْ
فراق ما افترض فيه وأجازْ
مُنزل نوره المبين الدافع
دجى الضُلالِ جالب المنافع
صلى وسلم على المنزَّل
عليه بالحفظ الذي لم يزل
وآله وصَحْبه مَنْ عنْه
قد بلَّغو ما أخذوه منْه
فبحُكْم الكتاب منهم أخذا
إجازةً مِنَ ذا لِذا وذا لذا
هذا وذي سلسلتي منظومَةْ
في سَنَد الإجازة المعلومَه
أسندها إلى النبيِّ الهادي
رواية موصولَة الإسنادِ

فيما روى ورْشٌ وقالون عن
شيخهما أبُ رُوَيْم المدَني
أجازني في المقرا المذكورِ
لنافع بأخذه المشهور
أستاذي المدْعو زيْن المُنْتَمي
إلى محمد الأمين القلقمَي[218]
وهو عون الأستاذ شيخنا الكبير
ماء العيون القدوة القطب الشهير
عن عابد الباقي بن أحْمَد عن
محمَّد بن صالح المبَيَّن
بالقُريشي عن محمد عُزِي
هذا إلى الطالب عمر الشُّنمُزِي
عن عابدِ الرحمانِ أغنى ولَد
محمد عن الطالب عَمْر منْ غدَا
يُعرَف بالكنزي من التَنْواجيـ
ـوي عَن أحمدَ الحبيب تاجِ
لمط الفلالي عن المشهور
عَنيتُ إبراهيمَ بالسَّكُورِي
عن عابد الرَّحْمَانِ نجلِ القاضي
الفاسي عن سميِّه فيَّاضِ
أرض سجلماسَ بن عبد الواحد
عن الشُّريفِ الحَسَني سائدِ

---

(218) هو زين بن البكاي بن الشيخ محمد الأمين القلقمي، أستاذ المؤلف في القراءات، أنظر في الأدب والمقاومة ذ. ماء العينين ماء العينين، ص 100، سحر البيان. ، و، 167.

محمّد بفاس عن زعيم
دكّالَ قاسم بْن ابراهيمَ

عن الإمام نجل غاز الشهيرْ
عن عابد الرحمان من يُدعى الصّغيرْ

عَنْ أبي عبّاس فِلا لِي الدارِ
أحمد عَنْ محمّد الفخَار

وهْو أبو عبْد الإله الرّاوي
عن أحمد المعروف بالزّواوي

أعني أبا العبّاس عن أبي الحَسَنْ
ابْن سُليمَان عَلي في السُّنَنِ

رَاوِي أبي جعفر المقصود
بابن الزبيرِ عن أبي الوَليدِ

أعني به العطّار إسماعيلَ عن
سليل حنْتونَ أبي بكر يُعَنْ

عمّنْ له سما محمّدُ أبو
عبد الإله وأبو بُغي أبُ

عن ابن عبد الله بادي المحتد
بجَدّه العَرْجا أبي محمّد

راوي أبي معشر الطّبْرى عَنْ
أبي نُفَيْس عن أبي عدِيْ مَنْ

يُدْعَى بعابد العزيز بن عَلي
بعزْوِه لجدّه فُرْجَ جَلي

عَن ابنِ يوسُف أبي بكْر عَن
ابنِ يسَار يوسُف الذي عُني

بالأزرقي وهو أبو يعقوبَ عنْ
عُثمانَ ورْش بن سَعيد الحسَنْ

تجويده عن نافع الإمام
عن ابن هرمز عن الطَّمْطَام
أبي هُريرةَ عن ابن كعب
أبيُّ الكاتب أقرإ الصَّحْبِ
عن مهبط الوحي رسول الله
أصْلِ الوجود مجْمَع التناهي
صلّى وسلّم عليه مُرسِلُهْ
لنا بما هو عليه مُنْزِلُهْ
أمّا روَايتي عنْ عيسَى فقَد
أروي إلى أبي نُفَيْسٍ بالسَّنَد
عن شيخ بغدادَ أبي نصر وذا
عن أحمد الفرضي روَى ما أخذَا
عن الشهير بأبي بَيان مَنْ
يروي قراءة أبي الأشعث عنْ
أبي نُشيطٍ وهوعن قالون
عنْ نافع بالسَّنَد المصُون
أسْألك اللّهُمَّ بالذّكر الحكيمْ
وربّنا الرحيم ذي الفضْلِ العَظيمْ
ونبيِّنَا المنزّل علَيْه
وجبْرائلَ الّذ به يأتي إليه
وشيوخنا الألى وَوَه
ويلَغوا به الذي نوَوْهُ
وسائِر الرواة والأيمّهْ
ومنْ له عندَكَ جاهٌ أيْ جاهْ
أن تجعلَ القرآن فيَّ شافعا
مشفَعا وعلمَه لي نافعا

وتجعلني بعُراهُ ماسكاً
ولمسالك هُداه سالكاً
وتجعلني في حِماهُ عاكفاً
عندَ حدوده جميعاً واقفاً
ولتحفظنّي بحفظك له
وأهْلك اجعلني بكوني أهْلَه
واغفرْ ذنوبي وأشفني واغْنني
بك وفيك عن سِواك أفْنِني
وبك أبقني ومنك لقّني
مآربي ومن مكَارهي قِنِي
ربِّ أنلْ عبْدَكَ ما العينين
ابنَ العتيقِ قرّة العيْنَين
ربِّ ولا تجعلْ سبيلاً للعدى
عليْه واكسُهُ حلى عزِّ الهدى
وهَبْه كل الخير وارْزُقنْهُ
سعادَةَ الدارينِ وارْضَ عنْه
وعَنْ شيوخهِ وعن أحبَّتهْ
ووالديه وجميع نسبتهْ
وأجِب الدُّعاءَ فضلاً بالحبيبْ
صلِّ وسلمَن عليْهِ يا مُجيبَ

نص الإجازة في القرآن الذي كتبه لصاحب الرحلة شيخه نثرا

وهذا نص ما كتب لي شيخي المذكور في الإجازة :

«بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و سلم . الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين ، وجعل له عبادا ينفون عنه

جهل الجاهلين ، وبعد جاء ما العينين بن العتيق بن محمد فاضل القلقمي ، حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين ، طلب مني أن أجيزه وأحليَ إبريزَه في قراءة نافع إمام أهل المدينة ابن أبي رويم ورواية ورش وقالون ، فقد أجزته لحسن طويته أن يقرئه لمن شاء . ويفيده لمن أراد ، نسأل الله أن ينفعه وينفع علي يديه ، وأوصيه ونفسي بتقوى الله العظيم في السر والعلانية ، وأخبره بسلسلة أشياخي إلى النبي ﷺ ، قرأ عليَّ ماء العينين المذكور قراءة الإمام نافع بن أبي رويم المدني ، وأخذتها عن قطب الزمن شيخي الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين ، وهو أخذها عن شيخه عبد الباقي بن محمد بن علي مولود ، وهو أخذها عن شيخه محمد بن صالح بن الطالب محمد المعروف بالقريشي ، وهو أخذها عن شيخه محمد ابن الطالب علي التنمزي ، وهو أخذها عن شيخه عبد الرحمان بن محمد ، وهو أخذها على شيخه الطالب اعمر ، الملقب بالكُنزي ، وهو أخذها على شيخه سيدي التنواجيوي ، وهو أخذها على سيدي ومولاي سيد أحمد الحبيب الفلالي ثم اللمطي ، وقرأ سيدي مولاي على سيدي إبراهيم السكوري ، وسيدي إبراهيم قرأ على سيدي عبد الرحمان بن القاضي الفاسي ، وهو أخذها على الولي الصالح سيدي عبد الرحمان بن عبد الواحد السجلماسي ، وهو أخذها عن شيخه محمد الشريف الحسني بمدينة فاس ، عن القاسم بن إبراهيم الدكالي عن الإمام ابن غازي ، عن شيخه أبي عبد الله عبد الرحمان الصغير ، عن أبي العباس أحمد الفلالي ، عن أبي عبد الله محمد الفخار ، عن أبي العباس أحمد الزواوي ، عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي جعفر بن الزبير ، عن أبي الوليد اسماعيل العطار ، عن أبي بكر بن حستون ، عن أبي عبد الله محمد بن أبي بُغَيْ ، عن أبي محمد بن عبد الله بن عمر العرجا ، عن أبي معشر الطبري ، عن أبي نفيس ، عن أبي عدي عبد العزيز بن علي ابن محمد بن اسحاق بن فُرْج ، عن شيخه أبي بكر بن يوسف ، عن أبي يعقوب يوسف بن يسار الأزرقي ، عن أبي سعيد بن عثمان بن سعيد ورش ، شُهر به ، عن نافع ، عن ابن هرمز ، عن أبي هريرة عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ .

وأما رواية قالون فبالسند المتقدم إلى أبي نفيس ، عن أبي نصر البغدادي ، عن أحمد الفرضي ، عن أبي بيان ، عن ابن الأشعث ، عن أبي نشيط ، عن قالون ، عن

نافع بسنده المتقدم الذي بالنبي عليه السلام يتم ، عبيد ربه وأسير ذنبه زيْن بن البكاي بن الشيخ محمد الأمين القلقمي ، يوم السبت الحادي عشر من شعبان الأبرك عام تسعة عشر بعد الثلاثمائة[219] والألف ، أرانا الله خيره وخير ما بعده ، ووقانا ضيرهما آمين .

ولم أزل يوم أخذت الإجازة لله الحمد أقرأ عن يمين شيخنا الشيخ ماء العينين حتى توفي رحمه الله في التاريخ المتقدم ذكره ، ثم لم تزل أبناؤه وتلامذته وسائر أتباعه حافظين قراءته ومتحفظين على العهد الذي تركهم عليه إلى وقتنا هذا لله الحمد .

سَنن المغاربة في قراءة الحزب الراتب

وكان حزب مغرب ليلة الأحد المذكورة التي أقلعت فيها الباخرة من سبتة «يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ»[220] ، فتفاءلنا به لأنه ﷺ كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ، وقد كنت أنا الملازم لقراءته على السنن المذكور في رحلتنا هذه ، وكثيرا ما يكون القارئ معي السيد يَحْجبُ بن خَطْرٍ ، وإلا فغيره ممن حضر وفدنا ، فإذا أتممنا قرأته طلبة الحجاج الذين معنا على سنن المغاربة المعروف عندهم ، وهو أن يقرأوا كل ليلة حزبين ، أحدهما بعد صلاة المغرب ، والثاني بعد صلاة الصبح ، ويختمون القرآن في كل خمس جمعات ليلة الإثنين بعد صلاة المغرب . وما زلنا بحمد الله ملازمين قراءة الحزب على الطريقين الموصوفين في المصلى المذكور مع إقامة الصلوات الخمس في أول أوقاتهن بشروطهن على الكيفية المشروعة ، ولا تفارق الجماعة المصلى بين العشائين ، ولا سيما فيما بين الصبح وصلاة الضحى ولا وقت التدريس ، بل في أكثر الأوقات .

---

(219) الثلاثمائة : المائتين ، «أ» وهو مجرد سهو حصل للمؤلف وهو يحرر رحلته ، وقد تابعه في هذا السهو الأستاذ ماء العينين ماء العينين في كتابه «في الأدب والمقاومة» ص . 110 .

(220) سورة آل عمران ، آية 171 .

الباخرة مصليات سبع من غير هذا المصلى الكبير في درجاتها الأخرى وعين سيدنا الشيخ مربيه ربه لكل مصلى منها فقيهاً يكون إماماً لمن بدرجته من الحجاج، وأمره بتعليمهم مناسك الحج، وإرشادهم لأمر دينهم، والمعينون المذكورين سبعة :

1 . الفقيه السيد محمد عبد الله بن السيد العربي الزركي الصحراوي المتقدم ذكره .
2 . السيد عبد السلام بن الخضر من أهل القصر الكبير .
3 . السيد العياشي بن حسون من جبالة .
4 . السيد عبد القادر بن عبد السلام الريفي الغماري .
5 . السيد عبدالسلام بن سيد احسيْن من بني حمَد .
6 . الفقيه السيد محمد بن عبد السلام التَّويني الودراسي، قاضي قبيلته .
7 . السيد علي بن الحاج شعيب بن عمر القصري .

ومن جملة الأعيان الذين ركبوا معنا في الباخرة بقصد الحج، وتحدثنا معهم من القضاة والكبراء والقواد وأشياخ الطرق زيادة على ما قدّمنا :

قاضي قلعية، السيد عمر بن ناصر .

القاضي السيد محمد بن العوفي[221]، من قبيلة اولْشْك[222].

مقدم التيجانية السيد الحسن بن عبد الله الفاسي أصلا، القصري مقراً .

السيد محمد بن عبد الْ بن الحاج عبد الرحمان القادري نسباً وطريقة، وهو خليفة أخيه مقدم زاوية أولشكْ اغْبال .

باشا شفشاون وقته الشريف الحسني السيد اليزيد بن صالح الرزيني الغمّاري .

باشا الناظور سيدي محمد بن الحاج عبد القادر .

وزير الحربية السيد المصطفى خليفة أبيه السيد علي قائد الأنجرْ .

---

(221) هو والد الأستاذ لحبيب العوفي .

(222) بني أولشك : قبيلة تابعة لإقليم الناظور .

قائد بني احمد السيد مولاي أحمد بن محمد المصلوحي
قائد العسكر محمد بن احمد الحيحي
القائد محمد بن القائد الزّلالي .
القائد محمد بن احمد بن سلام .
القائد ميمون بن خدّة بن عمر من قلعية[223]
قائد بني أولشك محمد بن صالح بن المختار
اعمر بن علال ، خليفة قائد بني سِدال[224]
الحاج محمد بن زياد ، خليفة قائد أمْطَلّس.[225]
إدريس بن محمد ناصر خليفة قائد بني بيحيى[226]
قائد بني أبي عياش[227] ، سلام بن محمد عمر الحاج حدُّ الريفي .

إلى غير ذلك منهم ، وهم كثيرون ، والكل بحمد الله يظهر لنا التواضع والأفضلية ، ويلتمس منا البركة والدعاء الصالح ، ولهم أخلاق حسنة وآداب جميلة ، ثم جرت الباخرة بنا سالكة البحر الأبيض المتوسط ، وهو البحر الحاجز بين أرض إفريقية وأرض أوربا ، فلما ارتفع النهار يوم الأحد المذكور ، واجهتنا من جهة اليمين أرض مليلية ، ثم لم تزل تظهر لنا البلاد البرية في ساحل البحر عن يميننا ، بعْد ذا واجهتنا أعمال وهران ، وبعدها واجهتنا أرض الجزائر ، ثم بعدها ظهرت بلاد تونس في يومنا الثالث .

---

(223) قلعية : قبيلة من قبائل الريف يمر بها نهر (الكرت) ، كان لها دور كبير في محاربة الإسبان الذين حاولوا غزو الريف سنة 1908 ، فصدهم المغاربة بقيادة محمد أمزيان ، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، عبد العزيز بنعبد الله ، معلمة المدن والقبائل ملحق 5 ص 244 .

(224) سيدال : من أفخاد قبيلة القلعية ، نفي المرجع ص ، 244 .

(225) امطلس : منطقة تابعة للناظور

(226) بني بيحيى ، من قبائل الريف الكبرى ، نفس المرجع ، ص 119 .

(227) بني بوعياش : توجد بإقليم الحسيمة قرب وادي النكور

مطلب في ذكر وصولنا الأرض طرابلس وبعض ما جرى لنا فيها

وفي صبيحة يوم الأربعاء الموفي عشرين من ذي القعدة الحرام ، وهو يومنا الرابع من سبتة ، رست بنا الباخرة بمرسى مدينة طرابلس ، فأظهر لنا أهلها الفرح بمقدمنا ، وتلقونا بالسفن والزوارق ليركب من أحب الهبوط إلى المدينة مجانا ، فلم يأخذوا أجرة من كل من نزل من الباخرة إلى المدينة ، فنزل كثير من الحجاج لأغراضهم ، وكل من أتاهم رحبوا به وأظهروا له الإحسان والإكرام ، وأعانوه على قضاء حاجته .

فلما كانت صبيحة الغد يوم الخميس ، نزل الشيخ محمد الإمام نائبا عن أخيه الشيخ مربيه ربه ، ونزل معه جامعه ما العينين بن العتيق والسيد ما العينين يحجب ابن خطري ، وعندما نزلنا من الزورق بساحل البحر. تلقانا وجوه المدينة وكبراؤها بالترحيب ، وقالوا إنهم كانوا في انتظارنا للسلام علينا وتأكيد عرى المحبة بيننا وبينهم ، وسألوا عن سيادة الشيخ مربيه ربه ، فأخبرناهم أن أخاه الشيخ محمد الإمام نائب عنه في ملاقاتهم وتحيتهم ، ففرحوا بنا وهنأونا بالسلامة وبقصد حج بيت الله وقالوا لنا : تشرفنا برؤيتكم وسرنا مقدمكم المبارك ، ومن الذين تلقوا لنا بإزاء المدينة ، الشيخ الحاج محمد الزَّمْري مأمور النفوس ، وعمه الحاج مصطفى ، والأستاذ الشيخ علي بن موسى مختار محل حومة غريان ، وعمه الشيخ مصطفى بن موسى ، والشيخ مصطفى زكي بادي ، والشيخ محمد بن رمضان ، والشيخ مصطفى الأقدامسي المدرس إمام محلة الدبرانْ ، والشيخ عثمان الوفاتي ، [وغيرهم] [228] .

زيارتنا لقبر الصحابي الذي في طرابلس وتسميته

ثم بعد السلام والدعاء ، التمسنا منهم أن يبعثوا معنا من يدلنا على قبر الصحابي المعروف هناك وعلى بعض المساجد لنزور ونتبرك بمشاهد الخير ، فبعثوا معنا رجلا ،

---

(228) «ب» ، و . 32 .

فسار بنا إلى جامع كَرج[229] ، وكرج هو مصطفى كرج ، اسم الرجل الذي بناه ، وقبره في زاوية منه ، وزرناه هناك ، وصلينا في المسجد ما شاء الله من النافلة ،وهو مسجد حسن ، في تنظيم بديع ، سقوفه قباب ، فرشه زرابي تركية ، ثم سرنا إلى جامع شائب العين[230] ، وهو أيضا اسم الرجل الذي بنى الجامع ، وقبره عنده وزرناه أيضا هناك ، وصلينا في المسجد ما شاء الله ، ثم سرنا أيضاً إلى جامع الباشا[231] ، وهو أحمد باشا الكرماني بانيه أيضاً ، وصلينا فيه ولقينا به رجلا هو القائم بأمره يسمى السيد محمد بن يوسف ، عليه وسم خير ، فرح بنا ، ثم سرنا إلى قبر الصحابي المذكور ، وقالوا لنا أن اسمه مُنيْدِر[232] بالتصعير ، وأنه تواتر عنهم أنه صحابي ، وأنه رُوي عنه حديث واحد عن رسول الله ﷺ ، قلت ويشهد لذلك ما في كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ زكي الدين المندري ، ونصه : «وعن المنيذر ﵁ ، صاحب رسول الله ﷺ يقول : من قال إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، فأنا الزعيم لآخذنَّ بيده حتى أدخله الجنَّة» . رواه الطبراني بإسناد حسن» . انتهى من لفظه ، قالوا : ومما يعضد كونه صحابيا ، وجدان هذين البيتين مكتوبين على بعض القبور التي بجواره وهما :

[الكامل]

هي في جوارك يا مُنيذرُ فاحْمِها
ومن المروءةِ أن يُجارَ الجارُ
حاشا لِفضْلك يا حبيب محمدٍ
مِن أن تَمسَّ مجاوريكَ النّارُ

فلما وصلنا قبره ﵁ ، وجدناه ، عندهُ هيبة عظيمة وأنس كبير ، فقرأنا عنده

(229) جامع كَرجي : يوجد بمحلة كَرجي غرب طرابلس ينسب إلى الرجل الذي بناه .

(230) جامع شائب العين : يوجد في المدينة القديمة بطرابلس .

(231) جامع الباشا الكرماني : يوجد في طرابلس المدينة ، قرب باب الترك قريبا من الساحة الخضراء .

(232) هو منيذر بن ثابت الأنصاري ، يقال إنه روى عن النبي ﷺ .

سورة يس وبعض سور المفصل ودعونا الله ، ثم سرنا لقبر السيد بهلول[233] في تلك المقبرة ، وهي كبيرة ، وهو رجل مشهور بالعلم والصلاح ، فزرناه واستغفرنا له ولجميع من بالمقبرة من أموات المسلمين ، ودعونا الله هناك .

اجتماعنا بقاضي طرابلس وجلسائه، وفيهم مؤلف «ملخص الأحكام الشرعية» ومذاكراتنا معهم

ثم انصرفنا راجعين إلى المدينة ، فصلينا الظهر بجامع الدرج[234] ، فلما خرجنا مررنا بمحل قاضي القضاة بالمدينة ، فتلقى لنا بعض أصحابه ، وهشوا وبشوا لنا وأدخلونا في المحل ، وسألونا أن ننتظر مجيء القاضي ليسلم علينا ، ففعلنا ، فلم نلبث أن جاءنا ، ورحب غاية وأكرم مجلسنا وأحضر الطعام الحسن ، وأظهر الإكرام والمسرة بمقدمنا وهنأنا بما نحن بصدده من حج بيت الله الحرام ، واسمه الشيخ محمود بن محمد بن برخيص ، وكذلك جلساؤه ، فكلهم باسطنا وانشرح للقائنا ، وكلهم ذو علم وآداب وأخلاق جميلة . ومن الأعيان الذين لقينا مع القاضي المذكور ، الشيخ أحمد الشارف[235] الحاكم بالمحكمة الشرعية العليا بن علي ، من قبيلة العمائم ينتهي نسبه إلى العباس بن مرداس من بني سُليم ، ويلقب بشاعر ليبيا ، والمراد بليبيا طرابلس وسائر قطرها ، وتذاكرنا معه ومع القاضي ، فوجدنا لهما خبرة كثيرة بعلم الفقه والأدب والسير والتاريخ والأشعار وأكثر العلوم ، وقبل قيامنا بقليل أنشدهما جامعه ما العينين ابن العتيق ، غفر الله لهما هذين البيتين من ارتجاله وهما :

(233) بهلول : ولي صالح .

(234) جامع الدرج : يوجد في المدينة العتيقة .

(235) الشيخ أحمد الشارف : من قبيلة أولاد يحيى من العمائم ، ولد بزليطن سنة 1872 ، حفظ القرآن بالمعهد الأسمري ، وهو من كبارشعراء ليبيا ، توفي سنة 1959 .

[البسيط]

ذا فـحْلُ لبـيـا وذا قـاضي طرابـلسـا
كـلاهمـا لاح فـيـه الفـضْلُ إذْ جَلَسـاَ
مَن شـاء شـيـخين في علم وفـي أدب
ذا فـحْلُ لبـيـا وذا قـاضي طَرَابلسـا

فاستحسنت الجماعة البيتين ، وارتاحت لهما ، فلما هممنا بالقيام ، اعتذر الشاعر المذكور عن جوابهما بديهة ، فقلنا إنما هي مباسطة بين الإخوان ، وما قصنا اقتراح الجواب . ومن الأعيان الذين لقينا أيضاً في هذا المجلس ، السيد محمد بن عبد القادر بنون المحامي في المحكمة الشرعية ، والكاتب الأول في المحكمة الشرعية العليا السيد محمد بن مفتاح محسن ، والشاعر المجيد ، الشيخ أحمد بن محمد فقيه حسن(236) ، والسيد البشير بن الحاج حمودة بن حمزة ، محامي شرعي وإمام خطيب بجامع سيد احْمُود(237) ، ومفتش الكتاتيب القرآنية ، الشيخ محمد بن عامر(238) ، محامي الشرع من قبيلة بني غازي ، ومؤلف كتاب «ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية»(239) .

(236) أحمد فقيه حسن : هو أحمد بن محمد الفقيه حسن : شريف يتصل نسبه بسيدنا الحسين ، وأسرته من الأسر الطرابلسية العريقة في العلم والأدب ، ولد بطرابلس سنة 1894 ، من علماء ليبيا الكبار وشعرائها البارزين ، ساهم بدور فعال في الكفاح الوطني ضد الاستعمار الإيطالي ، توفي سنة 1975 ، ودفن بمقبرة سيدي منيدر ، أعلام ليبيا ، طاهر أحمد الزواوي ، ج 2 ، ص 322-223 ، ص . ا ، 1969 .

(237) جامع احمودَ : من المساجد العتيقة بطرابلس ، ولم يبق له أثر .

(238) محمد بن محمد بن عامر : ينتمي لفرع عائلة ابن عامر ببنغازي ، وهي عائلة مشهورة بالعلم ، ولد سنة 1898 ببنغازي . اشتغل بالمحاماة والعمل الصحفي ، فكان ينشر مقالاته بجريدة الوطن ومجلة ليبيا وغيرها ، ألف عدة كتب منها : ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية ، تاريخ برقة ، وغيرهما ، توفي سنة 1961 .

(239) طبع هذا الكتاب سنة 1972 .

وكتابه هذا على غزارة علمه وطول يده في الأحكام ، لأنه أتى فيه بما تمس الحاجة إليه من المسائل والأحكام في عبارة سهلة ، أخذ من الأقوال أصحّهَا ومن العبارات أوضحها ، واختار ما هو الأوفق والأرفق حسب الزمان والمكان ، وراعى الأمانة في النقل ، وقسمه على أربعة أقسام ، القسم الأول ، في القضاء الشرعي ومتعلقاته ، القسم الثاني في الحقوق العائلية والأحوال الشخصية ، القسم الثالث في المعاملات والتبرعات ، القسم الرابع في المواريث .

وقد ظفرت بكتابه المذكور أيام اشتغالي بالألفية التي نظمت فيما تدعو إليه الحاجة مما يقع بين اثنين ، ولصحته واستيفائه بالمقصود جعلته جُلّ معتمدي ، وسميتها ب«البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية» . قلت في ترجمتها :

حمْداً لمنْ في الخلْقِ مضى
ولا مردَّ للذي به قضى
سبحانه منْهُ العطاءُ فضْلُ
والحكْمُ فصلٌ والقَضَاءُ عدل
صلى على المبعوث بالفرقان
للناس فيه غاية التبيان
وآله الألى رووا مِنْ نبْعِهْ
ولم يميلوا عن سواه شرعهْ
وبعْدُ فاسْمَعْ رجزاً غيْرَ مُخِلْ
من قصر ولا من الطَول مُمِلْ
في بعض ما يقع بين اثنين
لولد العتيق ما العينين

أحكامه الصحيحة المصادرْ
أكثرها مُلخص ابن عامرْ
ومن قوانين الإمام ابْن جُزَي
لخصت مما ليس في التلخيص شيْ
أقسامُه أربعة مجْمُولُ
في كلها الأبْوابُ فالفُصُولْ
وحيثما نظمْتُ فيه الغُنْيَهْ
لذي الحجا سميتُه بالبُغيةْ
مما تلخَص من الأحكام
معتمداً في مذهب الإمام
والرشد والتوفيق ارْحم الله جَلْ
والعون والاخلاص قولا وعملْ

ثم لما من الله تعالى عليَّ بإتمام النظم على الكيفية المطلوبة ، قلت في الآخرة من أبياته :

والحمد لله على تمام
ما رمتُ جمعهُ من الأحكام
فكان إذ تمَّ النظام ألفا
ومَنْ يُرد به اكتفاءً ألْفَى

نرجوه تعالى أن يديم النفع به ، ونحمده على ما أعطى من ذلك بمفضله .

ثم تذاكرنا مع ابن عامر ، مؤلف الكتاب المذكور ، ومع سائر الجماعة المذكورة في مجلس القاضي في أكثر الفنون ، فوجدناهم لهم اليد الطولى في المشاركة في العلم ، فلبثنا معهم نحو ساعتين ، وقمنا ، فقاموا معنا مشيعين إلى ناحية البلد ، فلما هموا بالرجوع طلبوا منا الدعاء الصالح ، فدعا الشيخ محمد الإمام وأمّن الجميع لدعائه ، فتوادعنا ، وانصرف كل لوجهته بخير . فركبنا الزّورق إلى الباخرة ودخلناها وقت

المغرب ليلة الجمعة ، فزارنا فيها تلك الليلة من أعيان أهل المدينة السيد أحمد ابن محمد العالم رئيس المحكمة الإسلامية الشرعية العليا ، والسيد محمد بن نصر الدين محسن ، وهو من كبراء أهل البلدة ، فسلمًا ورحّبا ، وقالا لسيدنا الشيخ مربيه ربه : إن باشا المدينة فرح بمقدمه ومقْدم وفْدِهِ ، وأنه كان يريد التلقي لهم في الباخرة ، حتى عاقه مرض أصابه منذ أيام ، وأنه يلتمس العذر ويطلب صالح الدعاء ، فاشتركنا معهما الدعاء وانصرفا .

صلاتنا للجمعة في مدينة طرابلس ومذاكرتنا مع بعض علمائها

فلما كان بالغد يوم الجمعة ، نزل أكثر الركب إلى المدينة لصلاة الجمعة ، وفيهم الشيخ محمد الإمام وجامعه ، فصليناها في جامع الباشا المتقدم ذكره ، والتقينا هناك مع سادة علماء أجلاء من أهل المدينة ، فتذاكرنا معهم في بعض الفنون العقلية والنقلية ، فإذا هم في غاية الأدب والمعرفة بالعلوم ، فأطلعونا على مكتبتهم ، فوجدناها مشتملة على كثير من الكتب المعتبرة ، وبالغوا في إكرامنا والإحسان علينا ، ولهم أخلاق طيبة وآداب جمة وكرم زائد ، فمن السادة المذكورين ، وإن كانوا كثيرين ، الشيخ طاهر بن عبد الرزاق الشريف الإدريسي البشتي(240) ، أحد قضاة البلد ، والأستاذ الشيخ عبد الرحمان بن علي القلهوبي ، والمدرس في مدرسة القراءات ، الشيخ مصطفى الهوني ، والشيخ طاهر بن أحمد الشريف ، المدرس بالمدرسة الأهلية(241) ، والأستاذ الشاعر أحمد فقيه حسن بن محمد ، المتقدم ذكره ، وأخبرنا أنه بعث لنا أبياتاً يخاطبنا به ـ وفد الشناجطة ـ ولعلها لم تصل إلى الباخرة إلا

(240) عبد الرزاق بن الطاهر البشتي : ولد بالزاوية سنة 1904 ، اشتغل بالقضاء والمحاماة والتدريس مدة طويلة ، كان له نشاط سياسي داخل حزب الاستقلال الذي استلم مقاليد السلطة من حكومة الاحتلال . وهو شاعر ومؤلف توفي سنة 1962 .

(241) الطاهر أحمد الشريف ، ولد بطرابلس ، اشتغل بالتدريس ثم إدارة العدل بولاية طرابلس ، توفي سنة 1960 .

بعدنا ، فأنشدنا إياها .

أبيات بعثها أحمد فقيه حسن لوفدنا الشناجطة وما أجابه به صاحب الرحلة ومطلعها :

[الطويل]

أحـــجــاجَ بيتِ الله بالله بلِّغــوا
تحـيـة صبٌّ للنبـــيِّ محـمـد

إلى أن قال :

فـأنتمْ بني شنجـيط لا شك سَادةٌ
بكُمْ يقـتـدي ربُّ الذكـاء ويهـتـدي
طرابلسُ لا زال يشـهـد أهلُـهـا
بفـضْلكُمْ في كلِّ نادٍ ومـشـهـدِ
لقـدْ أخْـصَـبَتْ لمَّا نزلْتُمْ بأرْضِـهَـا
وكـيفَ ومـا فـيكُمْ سِوَى كلُّ سَيِّـدِ

فلما سمعها جامعه ما العينين عفا الله عنه ، كتب له في جوابها حالا :

زفَـفْتَ إليْنَا أحـمَـد بن مـحـمَّـد
مـخـدَّرةً من ذهنكَ المتـوقِّـدِ
تُحـمِّلُنا فـيـهـا تحـيَّـة شَـيِّـقٍ
لنَقْـراهَا عِندَ المقـامِ المُحـمَّـدِ

إلى أن قلت :

لقـد دلَّنا مـا أنت مُـسْـديه جَـوْدةً
على أنَّك الحـاوي حُلَى كلِّ جـيِّـدِ
وإنَّكَ خنذيذُ البـلاد ونَدْبُـهـا
وإنَّ العُـلَى تُـلْقَـى إليكَ بمقْـوَدِ(242)

(242) خنذيذ : خطيب مصقع ، سيد حليم .- ندبها : وفدها ، في «ب» و34 .

إلى آخرها .

فوقع الاستحسان من الجميع ودعونا وتوادعنا ، فركبنا نحو الباخرة ودخناها وقت المغرب ، وقد رأينا في أهل طرابلس تواضعا عجيبا عموميا ، وأخلاقاً جميلة لطيفة ، وطباعا رقيقة ظريفة وكرما طبيعيا ، وسخاء أنفس ، واعتباراً لعامة الحجاج وخاصتهم . ومن أحسن ما فيهم أن نساءهم لا يخرجن إلى الطرقات ولا يتبرّجْن ، وأحرَى الشريفات منهن ، ومن ألجأها الحال إلى الخروج ، فمن قواعدهن لا تراها إلا وهي مستترة غاية . وأحوال صحاريهم وباديتهم في كسبها ومعاشها وأكثر أمورها قريبة من أحوال الشناقطة .

أول من افتتح طرابلس

فائدة : أول من افتتح طرابلس عمرو بن العاص ، سنة اثنين وعشرين 22 ، ثم صارت تابعة لعمال العباسيين . ثم ملكها الأغالبة ، ثم العبيديون ، وهم دولة الفاطميين ، ثم امتكلتها جزيرة صقلية سنة 540 ، ثم دولة الموحدين سنة 553 ، ثم فتحتها الدولة العثمانية سنة 950 ، واستمرت بأيدي المسلمين تحت سيطرة الدولة التركية إلى أن ضعف حالها أوائل هذا القرن الرابع عشر ، فاستولت عليها إيطاليا ، وهي الآن تحت حكمهم ، والله المستعان .

قدومنا على بورسعيد من أرض مصر ومسيرنا مع القنال إلى البحر الأحمر وتاريخ حفر القنال

ثم لما كان وقت القيلولة يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة الحرام ، أقلعت الباخرة بنا من طرابلس في وجهتها للحرم الشريف بعون الله قاصدة بورسعيد ، فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي القعدة ، رست بنا الباخرة في مرسى بورسعيد ، وهي مدينة مصرية على مدخل قنال السويس من جهة الشمال ، أنشئت سنة 1277 عند الشروع في حفر القنال في عهد الخديوي

سعيد ابن محمد علي ، وهي من أجود الموانئ المصرية ، ولها مستقبل كبير ، وربما حلت محل الإسكندرية لكونها أقرب إلى سواحل أوربا .

فلما كان أول وقت العصر من يوم الثلاثاء المذكور ، سارت الباخرة بنا آخذة قنال السويس ، وهو الخليج المحدث منذ سبعين سنة ، قرَنَ بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وهو بحر القلزم ، وقد لبثت العَمَلة في اتصال البحرين المذكورين عشْرَ سنين ، وذلك من تاريخ 1858 مسيحية إلى 1869 ، فتم القنال .

قدوم ولد الخليفة علينا هو وقومه بالباخرة

ثم رست بنا الباخرة وقت انتصاف الليل عند مدينة السويس ليلة الأربعاء ، فلما كانت صبيحة يوم الأربعاء طلع علينا في الباخرة ولي العهد ابن الخليفة المولى الحسن بن المولى المهدي ، سَمِيُّ جده المولى المهدي ، ومعه من كان بمصر من رجال الوحدة المغربية لطلب العلم صحبة كبيرهم الفقيه الشاعر الأديب السيد محمد بن اليماني [243] ، ومعهم راعي بيت المغرب بمصر الأستاذ محمد حبيب أحمد المدرس بكلية أصول الدين والسكرتير لشيخ الجامع الأزهر ، ففرح أهل الباخرة بطلوعهم ، وأقاموا لهم حفلة حسنة .

وتحادثنا ساعة مع السيد محمد بن اليماني وراعي بيت المغرب الأستاذ محمد ، فوجدنا لكل منهما مشاركة في العلم وأدباً رائقاً ومعرفة زائدة ، ثم توادعنا معهم ، وأقلعت الباخرة بنا متوجهة جدة في حفظ الله وأمانه وقت العصر من اليوم المذكور .

وصولنا لمقابلة رابغ وإحرامنا

فلما كان من الغد يوم الخميس ، أتى رئيس الباخرة سيدنا الشيخ مربيه ربه

(243) محمد بن اليماني : هو محمد بن اليماني الناصري ، من أدباء المغرب وشعرائه البارزين ، ولد بالرباط سنة 1891 ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1971 ، أنظر : من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ، ج ، 2 ص ، 234 .

وأطلعه على سطح الباخرة ، وأراه جهةَ رابغ ، وهو الذي يلزم المار به من الحجاج الإحرام عنده ، وقال له : سنُعْلمُ الحجاجَ قبل وصوله الليلة بثلاث ساعات ليتهيّأ الناس للإحرام بالاغتسال ولبس ثياب الإحرام ، فلما كان بعد العشاء ليلة الجمعة صوّتت الباخرة صوتاً شديداً ثلاث مرات ، كما وعد رئيس الباخرة سيدَنا الشيخ إعلاماً بقرب رابغ ، فاشتغل الحجاج بالاستعداد للإحرام ، فما تمت الساعات الثلاث حتى فرغوا من شأنهم ، فلما وصلت الباخرة مقابلة رابغ عند انتصاف الليل ، صوتت أيضًا إعلاماً بوصوله ، فأحرمنا وقت انتصاف ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من ذي القعدة وأعلنا بالتلبية لعلام الغيوب ، وسألناه تعالى غفران الذنوب ، وأنشدنا جامعه حين تجردنا من لبس المخيط بصدق النيات ووصلنا رابغاً محل الميقات .

[الطويل]

تجـــردْتُ لَمـــا وصلتُ لرابـــغ
ولبّـيْتُ للمــولَى كمـا حَـصّل النَّدا
وقُلتُ إلهي عندك الفـــوزُ بالـغِنَى
وإنِّي فـقـيـر قـدْ أتيتُ مُـجَـرَّدا

مطلب في كوننا أهْلَلْنَا بالعمرة، وحديث جابر الدال على فضلية ذلك

وأهللنا بالعمرة لِما ورد عنه ﷺ في حجة الوداع من الحث على التمتع بالعمرة إلى الحج . ويكفي من ذلك حديث جابر(244) الذي حدث به عنه ﷺ ، وقد أورده مسلم في صحيحه ، فقال ما نصه : «حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وإسحاق بن ابراهيم جميعا عن حاتم قال أبو بكر ، قال حاتم بن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : دخلنا على جابر بن عبد الله ، فسأل عن القوم ، حتى انتهى إليّ فقلت : أنا محمد بن علي بن حسين ، فأهْوى بيده إلى رأسي ، فنزع زرّي

(244) جابر : هو جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي الأنصاري ، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، توفي سنة 87 هـ ، أنظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، العسقلاني ، ج ، 1 ، ص . 213 .

الأعلى ، ثم الأسفل ، ثم وضع كفه بين ثَدْيي وأنا يومئذ غلام شاب ، وقال : مرحبا بك يا ابن أخي ، سل عما شئت ، وسألته وهو أعمى ، وحضر وقت الصلاة ، فقام في نساجة ملتحفاً بها ، كلما وضعها على منكبيه رجع طرفاها إليه من صغرها ، ورداؤه إلى جنبه على المشجب ، فصلى بنا ، فقلتُ : أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ ؟ فقال بيده ، فعقد تسعا فقال : إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذّن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَاجٌّ ، فقدم المدينة بَشرٌ كثير كلهم يلتمس أن يأتَمّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس[245] محمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ ، كيف أصنع؟ قال اغتسلي واستشعري[246] بثوب وأحرمي . فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت إلى مدّ بصري بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهلَّ بالتوحيد :« لبّيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك ، وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلّون به ، فلم يردّ رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه ، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته ، قال جابر : لسنا ننوي إلا الحج ، لسنا عرف العمرة ، حتى أتينا البيت معه استلم الركن ، فرمل[247] ثلاثاً ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم ، فقرأ : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان أبي يقول : ـ ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ ـ كان يقرأ في الركعتين : «قل هو الله

---

(245) أسماء بنت عميس : هي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ وأخت لبانة زوجة العباس ، هاجرت مع زوجها جعفر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، فلما قتل زوجها جعفر ، تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمداً ، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى بن علي بن أبي طالب ، انظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ج . 1 ص 25 .

(246) استشعري : إلبسي (شعر) ، لسان العرب .

(247) رمل : أسرع في مشيته وهز منكبيه .

أحد» و «قل يا أيها الكافرون» ، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : «إن الصفا والمروة من شعائر الله» ، ابداءً بما بدأ به الله ، فبدأ بالصفا ، فرقى حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبَّره . وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي ، حتى إذا صعدتا ، مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذ كان آخر طوافه على المروة قال لو أني استقبلت من أمر ما استدبرت لم أسق الهدي ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عُمرة ، فقام سُراقة بن مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ألعامنا هذا أم لا بُدٌّ؟ ، فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا ، بل لأبد أبد ، وقدم عليٌّ من اليمن ببدْنِ[248] النبي ﷺ ، فوجد فاطمة مَمنْ حلَّ ، ولبست ثيابا صبيغاً ، واكتحلتْ ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : إن أبي أمرني بهذا ، قال : فكان عليٌّ يقول بالقِران[249] ، فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ محرشا على فاطمة للذي صنعت ، مستفتيا لرسول الله فيما ذكرتْ عنه ، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقت صدقت ، ماذا قُلتُ حين فرضت الحج؟ قال : قلت اللهم إنِّي أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولك ، قال : فإن معي الهدي ، فلا تحل ، قال : وكان جماعة الهدي الذي قدم به عليَ من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة ، قال : فحلَّ الناس كلُّهم وقصَّروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي ، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله ﷺ ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقُبَّة من شعر تُضْرَبُ له بنَمِرَة[250] ، فسار رسول الله ﷺ ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام

---

(248) بُدن : ج بُدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنها تسمن .

(249) القِران : الجمع بين الحج والعمرة .

(250) نمرة : الجبل الذي عليه أنصاب الحرم بعرفات .

كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتي عرفة فوجد القبة قد ضُرِبَتْ له بنمرة ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الوادي ، فخطبَ النّاس وقال : «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أولَ دم أضع من دمائنا دَم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هُذَيْل ، وربَى الجاهلية موضوع ، وأول ربَى أضع ربانا ربَى عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهُنَّ بأمانة الله واستحْلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بكلمة ، ولكم عليْهِنَّ أن لا يُطَئْنَ فُرُشَكُمْ أحَداً تكرَهُونَه ، فإنْ فعلنَ ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مُبرح ، ولهن عليكم زرقهُن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمْتُمْ به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألونَ عنّي ، فما أنتُم قائلونَ؟ قالوا : نشهَد أنّك قد بلَّغتَ وأدّيت ونصحتَ ، فقال بأصبعه السَّبابةِ يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهُم اشهدْ ، اللهمَّ اشْهدْ ، ثلاث مرات ، ثم أذَّنَ ثم أقام ، فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصلِّ بينهما شيئاً ، ثم ركبَ رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جل المشاة بين يدّيه واستقبل القبلة ، فلم يزَل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصُّفرة قليلا حتى غاب القُرصُ ، وأرْدفَ أسامةَ خلفَهُ ، ودفع رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، وقد شنَقَ للقَصواءِ الزِّمامَ حتى إن رأسها ليُصيبُ مَوركَ رحْله ، ويقول بيده اليُمنى : أيها الناس السَّكينة السَّكينةَ ، كلما أتى جبلاً من الجبال أرخَى لها قليلاً حتى تصْعد ، حتى أتى المُزدلفةَ ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يُسبِّحْ بينهما شيئاً ، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجرُ ، فصلى الفجر حين تبيَّن له الصُّبْح بأذان وإقامة ، ثم ركبَ القصواءَ حتى أتى المشعر الحرامَ ، فاستقْبل القبلة ، فدعاهُ وكبَّر وهلّلَهُ ووحّدَهُ . ولم يزل واقفاً حتى أسفرَ جدا فدَفَعَ قبْل أن تطلُعَ الشمس ، وأردَفَ الفضْل بن عباس ، وكان رجُلاً حَسَنَ الشَعر ، أبيض وسيماً ، فلما دفَعَ رسول الله ﷺ مرَّتْ به ظُعُنٌ يجرينَ فطفقَ الفضْلُ ينظرُ إليهنَّ ، فوضع رسول الله ﷺ يدهُ على وجه الفضل ، فحوَّل الفضلُ وجههُ إلى الشِّقِّ الآخر ينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من

الشق الآخر على وجه الفضلِ يصْرفُ وجههُ من الشّقّ الآخر ينظر حتى بطْنَ محسّر ، فحرك قليلاً ، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرجُ على الجمرة الكُبرى ، حتى أتى الجمرةَ التي عندَ الشجرة فرمَاها بسَبع حصيَات يُكبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ منها مثل حصى الخزَفِ ، وهي من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى المنْحر فنحَر ثلاثاً وستين بيدهْ ، ثم أعطى علَياً ، فنحر ما غبر ، وأشركَه في هَدْيهِ ، ثم أمَرَ من كلِّ بدنةٍ ببضعَة ، فجُعلتْ في قِدرٍ فطبخَتْ ، فأكلا من لَحمها وشربا من مَرَقِهَا ، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاضَ إلى البيتِ فصلى بمكة الظهر ، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمْزَم فقال : انزعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبَكم الناس على سقَايتكُم ، لنزعتُ معكُم ، فناولوه دلْواً فشرب منه»[251] . وسُقْنا الحديثَ بطولِه لما اشتمَلَ عليه من العلم .

مقدمنا الجدة وبعض من لقينا فيها

ثم لما كان وقت الضحى من يوم الجمعة المذكور رست الباخرة بنا عند جدة ، وهي ثغر الحجاز على البحر الأحمر ، فاشتغل الناس بالنزول إليها ، ونزلنا وقت العصر من اليوم المذكور ، وكان نزولنا عند الشيخ صالح بنأجمْجُومْ ، وهو رجل ذو كرم وأخلاق حسنة واعتناء بالحجاج ولا سيما بالوارد منهم من قُطر شنقيطَ ، وعليه سيم الخير ، فرحَّب بنا وأكرنا فلما كان وقت العشاء ليلة السبت الأخيرة من ذي القعدة ، دعانا ولد المطوِّف الذي عيناهُ [للصحبة أيام الحج] [252] ، واسم المطوف الشيخ عبد الله الكرْدي ، وكان رجلاً له مشاركةٌ في العلم وأدَبٌ كبيرٌ ، وكرم شهيرٌ ، واسم ولده الذي دعانا أحمد[253] ، وكان شاباً ظريفاً أديباً . ومن عادة أهل الحرم أن المطوف أو نائبه يتلقّى لفرْقتهَ من الحجاج بجدة ، ويتولى شؤونهم ، وهم يدفعون له ما ينوبهم من لوازم تلك البلاد ، فسرنا مع ولد المطوف المذكور لداره في جدة ، فأحسن علينا وبالغ في

(252) صحيح مسلم مع شرحه ، المجلد الثالث ص 239 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، د .ت .

(252) : «ب» ، و ، 63 .

(253) أحمد : محمد في «ب» ، 36 .

إكرامنا . وأقمنا بجدة يوم السبت ، ودعانا في هذا اليوم ، الفقيه الشريف السيد عبد العزيز بن أبي القاسم الدباغ المتقدم ذكره ، أنه ممن زارنا بتطوان إلى داره بجدة ، فسار إليه الشيخ محمد الإمام وجامعه وبعض وفدنا ، فوجدنا عنده الشريف الأديب السيد محمد الباقر بن شيخ التربية العلامة الشهير سيد محمد بن الشيخ الكبير الكتاني ، ومعه بعض الأعيان من فاس وغيرهم ، منهم مولاي عبد السلام بن مولاي حماد الإدريسي الزرهوني ، وسيد محمد بن عبد الحفيظ الكتاني ، فبالغ في إكرامنا ، ولم يقصِّر في إعظامنا ، وكان مجلسنا عنده مجلس سكينة ووقار ، تناشدنا فيه ما يناسب الحال من الأشعار ، وتذاكرنا فيه المذاكرة العلمية وتعاطينا فيه كؤوس المعارف الفهمية ، وكلٌّ منا هنأ أصحابه بالوصول ، ورجونا منه تعالى الحج المقبول .

ثم لما كان بعد العشاء ليلة الأحد افتتاح ذي الحجة الحرام ، ركبنا في السيارة بقصد مكة المشرفة ، فلم نبعد ، وبتنا في بعض المحلات دونها ، وركبنا بعد صلاة الصبح وقت الإسفار ، فأتينا بئر ذي طوى بعد طلوع الشمس ، فاغتسلنا منها غسلا خفيفاً كما هو سنة المحرم لدخول مكة ، نرجو به منه تعالى تخليصنا من أسْر الذنوب وفكه .

دخولنا مكة المشرفة

ثم سرنا من ذي طوى على الأقدام لندخل مكة من حيث كان يدخلها عليه السلام : فسلكنا طريقة الثنية العُليا ، وهي المسماة بكَداء ، بالفتح ، ومنها يتشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون ، وهي إحدى المقابر التي تضيء لأهل السماء ، كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ، كما ورد في الأحاديث ، فدخلنا مكة المشرفة بمسرات وأفراح ، لم تغادر في الحشا أثر أحزان وأتراح ، ضُحى يوم الأحد فاتح ذي القعدة الحرام ، واثقين منه تعالى نيل كل مرام ، فقصدنا المسجد الشريف الحرام ، ودخلناه بحمد الله من باب بني شيبة من باب السلام ، فشاهدنا البيت العتيق ، وقد تدلت أستاره ، وأشرقت أضواء منظره وأنواره ، فلما ابتهجت بشهوده وقرت أبصارنا ، وانشرحت بمشهده صدورنا وأسرارنا ، قطعنا ما كنا فيه من التلبية ، و قرأناه الوارد

الممكن من الأدعية ، وبادرنا وسط الزحام الحجر الأسعد ، وقد اضطرب القلب هيبته وارتعدْ ، فقبلنا يمين الله في أرضه ، والشاهد لمن قبله يوم عرضهِ إلى سيد الأحجار في الحرم الذي قضى الخالق الباري بتعظيم شأنه :

[الطويل]

حـثَثِنا مَطايا الشّـوق والشـوقُ في الفـلا

فـجـاءتْ بنا إنســانَ عَـيْنِ زمـانـه

فطفنا ببيت الله بحمده سبعاً على الصفة المأمور بها شرعاً ، وصلينا خلف المقام ركعتي الطّواف ، متحققين بفضله تعالى إلا من كل ما يُخاف ، وعدنا للبيت فوقنا بالملتزم ، ثم تضلعنا بحمد الله من ماء زمزم ، ثم خرجنا للسعي من باب الصفا ، كما كان يفعل معدن الصفا ، وبدأنا بما بدأ به الله ، «إن الصفا والمروة من شعائر الله»[254] ، فارتقينا على الصفا ووقفنا ، وباستقبال الكعبة الشريفة تشرفنا ، فهللنا ما شاء الله وكبرنا ، ومن الأدعية المأثورة بقدر ما أمكننا أكثرنا ، فسعينا سبعا بين الصفا والمروة ، متمسكين من السنة بأوثق عروة ، فحلقنا على الإتمام ، ونزعنا بالإحلال لباس الإحرام .

ثم رجعنا إلى المسجد الحرام ، شاكرين الله على ما منّ من الإنعام ، ببلوغ المقاصد والمرام في مشاهدة ذلك المقام ، فلم نزل به حتى اجتمع وفدنا ، فدعانا المطوف الشيخ عبد اللطيف الكردي المتقدم ذكره إلى داره ، وهي قريبة من المسجد ، فأكرمنا وأحسن علينا ، وكنا تركنا أثاثنا بداره .

(254) سورة البقرة ، أية 158 .

فلما كانت عشية يومنا أتانا الفقيه السالك بن امبيريك ، مريد سيدنا الشيخ مربيه ربه ، ومعه محمد إبراهيم مريد شيخنا الشيخ سعد أبيه[256] بن شيخنا الشيخ محمد فاضل[257] بن مامين ، وكانا مجاورين في الحرم الشريف ، وقالا إنهما أرسلهما الحكيم السيد أعزاز الدين الهندي لسيدنا الشيخ ووفده ، يستدعيهم للنزول بداره ، فحملنا أثاثنا إلى داره ، ونزلنا عنده ، فرحب بنا وأحسن مثوانا ، وهو من موارد الشيخ أحمد بن الشمس ، مريد شيخنا الشيخ ماء العينين ، الذي صدره بعدما صحبه نحو

---

(255) أحمد بن الشمس : من أبرز أعلام الزاوية المعينية ، ولد سنة 1863 بنشنقيط ، صحب الشيخ ماء العينين نحو ثلاثين سنة ، تصدر نشر الفاضلية في قبيلته اداو لحاج ، ثم استخلفه الشيخ ماء العينين في زاويته بفاس ، فظل بها إلى أن استباحتها القوات الفرنسية ، فهاجر إلى الحرمين وسكن المدينة المنورة ، وظل بها إلى أن توفي سنة 1923 ، خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها كتابه «النفحة الأحمدية» ، أنظر ترجمته في : الأبحر المعينينة ، و137 ، معجم الشيوخ ، لعبد الحفيظ الفاسي ، ج ، 1 ص 125 ، الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية ، عبد العزيز بن عبد الله ص ، 30 معلمة الصحراء .

(256) سعد أبيه : هو الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين ، ولد حوالي سنة 1850 بالحوض ، بعد وفاة والده هاجر إلى تكانت مع بعض مريديه ، وظل يتنقل بين بوجابية وخروفة وتوزيكيت وآكنانت إلى أن اسقر بدائرة أمير الترارزا ، فتكونت لديه مجموعة مرابطية تحمل اسمه في منطقة القبلة . توفي سنة 1335هـ 1917 . له أشعار كثيرة ومؤلفات متنوعة في مختلف العلوم الإسلامية ، أنظر ترجمته في : الأبحر المعينية ، و . 11 . النفحة الأحمدية ، ج ، 2 ص 60 . بلاد شنقيط المنارة والرباط ، ص 151 .

(257) الشيخ محمد فاضل : هو الشيخ محمد فاضل بن مامين ، تولى تجديد القادرية في الجنوب ، وتصديرها إلى عدد من المناطق المجاورة بعد أن كانت تنحصر في أزواد وولاتة والنعمة وبلاد القبلة ، توفي سنة 1286 هـ 1869 ، خلف عدة أعمال علمية منها «سيف المجادل» ، و«سيف السكت» وغيرهما أ نظر : الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية ، ص 115 .

ثلاثين عاما ، وظهر عليه من الفتح والبركة والتسخير ما لا يوصف ، وأمره شهير ، صدره شيخنا أولا لقبيلة إدو الحاج بأرض شنجيط ، ثم رجع لشيخنا ، فأرسله خليفة لزاويته في فاس ، فكان له بها شأن عظيم ، انقادت له علماء فاس وسلموا له في العلم الظاهر والباطن ، وكثرت اتباع شيخنا مع ما كان لهم من الكثرة بواسطته في تلك النواحي ، وجعله شيخنا واسطة في أكثر الشؤون بينه وبين سلطان المغرب ، فكانت له مكانة عند السلطان والقواد وسائر الدولة كبيرة ، وهو ذو أشواق وأذواق وجذب عظيم ، مع اتساعه في سائر العلوم ، وشدة تعلقه بشيخنا ،وسلبه إرادته في إرادته . وله تآليف كثيرة في أكثر الفنون ، وجلُّ تآليفه في أخبار شيخنا وكراماته وبث فضائله وفوائده ، وهو مظهر من مظاهر شيخنا العظام ، أودع فيه ما استوجب به غاية الإجلال والإعظام ، ثم انتقل بعد وفاة شيخنا ﷺ إلى الحرمين ، فحج مراراً ، وظهر فيهما ظهوراً لا يوصف ، وكثرت أتباعه ، وخضعت له جبابرة الملوك ، وتتلمذت عليه أهل الجذب والسلوك ، وله كرامات كثيرة ، وأموره في خرق العادات شهيرة ، ولم يزل بالمدينة المنورة مجاورا خير الأولين والآخرين حتى توفي بها رحمه الله ، ودفن بالبقيع ، وقبره هناك شهير يزار وتقضى عنده الحاجات . وقد اختصرنا غاية ترجمته لأنا لو تتبعناها لاحتجنا إلى طول كثير ، وقد ظهرت بركته على مريده إعزاز الدين المذكور ، وانتفع به باطنه وظاهره ، واستقام به حاله ، فعاملنا معاملة التلاميذ الخالصين لأشياخهم ، من تواضع والتماس بركة ، وامتثال أمر ، وبذل ال إلى غير ذلك ، جزاه لله خيراً . فلم نزل بحمد الله تعالى ملازمين المسجد الحرام في أكثر أوقاتنا ليلا ونهاراً ، لإقامة الصلوات به ولإدمان الطواف ، ولم نتفرغ لغير ذلك من زيارة مشاهد الخير التي ينبغي للحاج زيارتها بمكة لقلة الإقامة بها ، فاغتنمنا الاشتغال بها بما هو أفضل وآكد ، من ملازمة البيت الحرام ، فلم نفارقه ـ بحمد الله ـ إلا في أوقات الضروريات التي لا بد منها ، وإلا إذا ستدعانا أحد الأحبة الأعيان لمحله ، لما في ذلك من جبر الخاطر وإجابة الدواعي المأمور بهما .

بعض الأعيان الذين اجتمعنا بهم بمكة من الشناجطة وغيرهم، واجتماعنا بسادن الكعبة ودخولنا لها

وممن ندينا لمحله ، وتعاهد زيارتنا ، وأظهر لنا المحبة الكاملة والخصوصية الزائدة عند قدومنا لمكة المشرفة ، الأستاذ العلامة عمر بن حمدان المحرسي ، المدرس في الحرمين الشريفين ، فأتاه سيادة الشيخ وجميع وفده ، وصادفنا بداره كثيرا من الكبراء والعلماء والرؤساء من أهل مكة ومصر والعراق والشام ، وغير ذلك من الحجاج ، فاحتفل بالجميع احتفالا كبيراً ، وقدم من الأطعمة الحسنة والأشربة المستحسنة ، وبسط من الفرش المنمقة والنمارق المصْفوفة والزرابي المبثوثة ما ينبئ عن كرمه وسخائه وفضله ، مع كمال البسط والإكرام والمبرة والإنعام ، ووقعت في المجلس محاضرات أدبية ومذاكرات علمية آلت إلى إنشاد أشعار مستظرفة وإنشاد أبيات مستملحة فيما يقتضيه الحال ، بعضها أنشأه جامعه ما العينين بن العتيق ، عفا الله عنه ، وبعضها أنشأه الشيخ محمد الإمام ، ومنها ما أنشأه بعض أولئك الحاضرين ، ثم كتبت جل أسماء الأدباء والعلماء الحاضرين ، وكتبت أشعار الحاضرة فذهبت عليَّ أيامنًا في منىً لمرض أصابني هناك ، هي وجلُّ التقاييد التي فيها أسماء الأعيان الذين اجتمعنا بهم في مكة المشرفة ، وفيها كثير من صفة أحوالنا وأيامنا بها ، مع أني لم أتفرغ لكتب كثير من ذلك للشغل عنه بما هو أولى بي منه ، فلذلك لم أذكر من تلك الشؤون في هذه الرحلة إلا القليل .

والشيخ عمر هذا المذكور هو المرجوعُ إليه في المذهب المالكي بمكة والمدينة وقته ، وهو المدرس فيهما ، وعادته أن يقيم في كل واحدة من البلدتين الطاهرتين ستة أشهر للتدريس بها ، ثم يتوجه إلى الأخرى ، فهو شيخ المالكية هناك . وأما شيخ المذهب الحنفي بمكة المشرفة وقته ، فيسمى الشيخ محمد المرزوقي أبو حسين ، وشيخ المذهب الشافعي بها ، الشيخ أحمد ناضرين ، وقاضي القضاة بمكة المشرفة الساعة يسمى الشيخ عبد الله بن حسن النجدي ، من آل الشيخ ، وأولئك يقلدون في كثير من أحكامهم الإمام أحمد بن حنبل ، والقاضي بمكة في المحكمة الكبرى ، محمد القاري الحنفي ، وتحته في القضاء القاضي محمد فَوْدَ المصري المالكي .

والإمام بالمسجد الحرام ، عبد الله ، ويعرف بكنيته ، أبا السَّمْح ، وهو مصري وله مشاركة في العلم ، وإتقان وتجويد حسن لكتاب الله العظيم ، وكان جهير الصوت ، يُسْمع وقت جهره في الصلاة أكثر الناس ، وله قراءة حسنة .

وممن ندبنا لمحله أيضاً من أهل مكة المشرفة ، الشيخ الحسين بن قاضي المستعجلة ، عبد الغني ، بحضرة الشيخ وسائر الوفد ، فبالغ في إكرامنا ، وكان رجلا ظريفا أديباً ، له محبة زائدة في جانبنا لمصاحبته الشيخ محمد حبيب الله الجكني[(258)] ابن الشيخ سيد عبد الله بن مايابي ، وتعلمه منه ، فأورثه ذلك شدة الحب لنا ، والقرب لجانبنا ، لأن الشيخ محمد حبيب الله من مواريد شيخنا الشيخ ماء العينين ، وآباءُ المذكور من مواريد والده شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين ، وقد صدره شيخنا الشيخ محمد فاضل ، وظهرت عليه بركات كثيرة ، وكان له صيت كبير وانتفع به كثير من الناس ، وكان علامة مشهورا في بلده ، وله أولاد كلهم علماء أجلاء ، منهم الشيخ محمد حبيب الله المذكور ، ومنهم وهو أجلهم وأعلمهم وأورعهُم ، العابد الناسك ، الواصل الجامع ، الشيخ محمد العاقب[(259)] مريد شيخنا الشيخ ماء العينين وقد صدرهُ ، وظهر عليه من الفتح والاستقامة والكمالات ظاهراً وباطنا ما لا يوصف ، وتآليفه في كل فن كثيرة ، ومنهم العلامة المشارك ، صاحب التآليف العديدة ، الشيخ محمد

---

(258) محمد حبيب الله الجكني : من علماء تجاكنت المشهورين ، هاجر إبان الاحتلال الفرنسي لشنقيط والصحراء واستقر بمصر بعد أن حج ، توفي سنة 1364 هـ 1945 ، خلف عدة مؤلفات من أشهرها كتابه «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» (مطبوع) ، انظر ترجمته في بلاد شنجيط المنارة والرباط ، ص ، 518 .

(259) محمد العاقب ، هو محمد العاقب بن عبد الله بن مايابا الجكني ، ولد بشنجيط ، ثم هاجر إلى السمارة بعد اشتداد الضغط الفرنسي على جنوب الصحراء ، توفي بفاس عام 1327 هـ 1909 ودفن بزاوية الشيخ ماء العينين بها ، خلف عدة أعمال علمية منها كتابة «مجمع البحرين في مناقب الشيخ ماء العينين» أنظر ترجمته في ـ سحر البيان ـ و ، 152 ـ النفحة الأحمدية ، ج ، 2 ص 122 ـ 129 ـ بلاد شنجيط المنارة والرباط ، ص ، 524 .

الخضر[260] ، المتوفى بالمدينة المنورة رحمه الله ، إلى غير ذلك منهم ، جُزوا خيراً .

ومن نديناً أيضاً بمكة المشرفة ، الأديب الظريف ، الشيخ عدنان بن عمر الكُتبي ، فحضرنا جميعا عنده ، وبالغ في إكرامنا ، وكان رجلا كيسا ، له آداب زائدة ومعرفة كبيرة بمكارم الأخلاق ، والإحسان والفتوة جُزي خيراً .

ومن الأعيان والرؤساء الذين أتونا زائرين بمكة المشرفة للتبرك بالشيخ ووفده ، واجتمعنا بهم وتذاكرنا مع بعضهم ، واستمد بعضهم من سيادة الشيخ ، الأمير شكيب أرسلان[261] ، وهو شهير في تلك الناحية ، بالعلم والبراعة ، وهو من كبار كتاب العالم ، وله خبرة كبيرة بعلوم التاريخ ، ومن تآليفه : «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية»[262] ومنتخب بديع لتاريخ ابن خلدون[263] يشتمل على ما علق به على غوامض أبحاثه ، الشيخ محمد خليل بن عبد القادر اطيبة ، الشيخ جعفر بن صالح الكثيري من أرض حضر موت ،الشيخ محمد بن أمير جان بن غلام جان بن أمير الله ، من الأفغان ، وناصر السنة الشيخ مصطفى الحامي المصري مدرس

---

(260) محمد الخضر : هو محمد الخضر بن مايابا الجكني ، من علماء الصحراء ، المبرزين ، حج وأقام في المدينة المنورة ، فكان مفتيا للمالكية بها ، اشتهر بخلافه مع التيجانيين ، وله مؤلفات في ذلك من أشهرها «مشتهى الخارق الجاني» وغيره ، توفي سنة 1354 هـ 1935م .أنظر ترجمته في بلاد شنقيط المنارة والرباط ص 518 .

(261) الأمير شكيب أرسلان : عالم بالأدب والسياسة مؤرخ من أكابر الكتاب ، ينعت بأمير البيان ، ولد بلبنان سنة 1286 هـ 1869 ، أقام بجنيف نحو 25 سنة ، وعاد إلى بيروت فتوفي بها ودفن بالشويفات سنة 1366هـ 1946 م عالج السياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية ، أصدر مجلة بالفرنسية هي La nation arabe ،كما ألف عدداً من الكتب في التاريخ والأدب والسياسة ، أنظر ترجمته في الاعلام ، ج ، 3 ص 174 .

(262) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، طبع منه مجلدان ، وهو في عشرة .

(263) منتخب لتاريخ ابن خلدون ، هو ملحق للجزء الأول من تاريخ ابن خلدون ، فيه مجموعة من التعليقات عليه ، وهو مطبوع ، أنظر بشأنه المرجع السابق .

وخطيب في مقام السيدة زينب ، الشيخ محمد زباره[264] ، أمير من أمراء اليمن ، السيد عبد القيوم ولد سبائية حيدراباذ ، من السند ، خلف الله الصالح ، من سودان مصر ، أبو العزم الشيخ محمد المصطفى ، مدرس بجمعية المحافظة طنطا ، [الشيخ أحمد التبري الفاسي الإدريسي بن أبي بكر ، المجاور بمكة الشرفة] [265] ، السيد الشيخ عبد الله بن عباس الكتبي ، الشاعر بباب السلام ، الشيخ محمد أمين الكتبي ، بمدرسة الغلام والمسجد الحرام ، وقد أنشد هذه الأبيات في مدح سيادة الشيخ وقت مجيئه زائراً :

[الطويل]

هنيئاً لنا هذا مُربِّيه ربُّه
فلا تعذِ لأني إنني أنا صَبُّه
خليليَّ هذا ربعُه ومطَافُه
وقوفاً قليلاً بي فإني أحبه
فإن تسألا عن مَذهَبي فَهْوَ حُبّهُ
وإنْ تُنْشدا عنْ مَطلبي فهْو قُربُه
تَحَدَّرَ منْ أصْلٍ شريف إذا بَدَتْ
عناوينُه في الأُفقِ تخجل شُهْبه
وليٌ تقيٌ ليس يشقى جليسُه
وينبوعُ علمٍ ليس تظمأ صحْبُه

---

(264) محمد زبارة : هو محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني ، مؤرخ يماني من علماء صنعاء ، ولد سنة 1301هـ ـ 1884م ، تولى إمارة القصر السعيد في عهد الإمام يحيى ، توفي بصنعاء سنة 1381 هـ ـ 1861 ، اهتم بتراجم اليمنيين ، فصنف كتبا كثيرة جلها مطبوع ، منها : «إتحاف المهتدين» في العترة النبوية ، ترجم فيه لعشرين ومائة إمام بو «تحفة المسترشدين بذكر الأئمة المجددين» ، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر في مجلدين ، وغيرها ، أنظر ترجمته في الاعلام ، ج ، 7 ، ص ، 85 . .

(265) «ب» و ، 47 .

وهذا ما حضرني الآن من الأعيان الذين أتونا زائرين ، وأما من اجتمعنا به منهم في المسجد الحرام وأيام الحج ، فأكثر من أن يُحصى ، ولو تتبعنا بعضهم لطال بنا .

وأما أهل بلادنا الشناجطة ، فقد اجتمعنا بكثير منهم ، مجاورين في أرض الحرم ، فمن الذين لقينا بمكة المشرفة .

من الجكنيين(266) :

أحمد فال ، وبدّ ، وأمين بن عثمان ، وأحمد بن الخراش ، ومحمد الأمين بن عبد الله .

ومن العلويين(267) :

محمد عبد الفتاح ، والشيخ محمد الأمين ، ومحمد محمود بن المامون .

ومن المسوميين(268) :

الشيخ بن باب ، والحاج بن محق ، ومحمد محمود بن عبد الودود .

ومن الحسنيين(269) :

محمد حبيب الله اليوسفي ، ومحمد حبيب الله إدًا وكَشَلّوي .

ومن آل بارك الله(270) :

الشيخ ابن سيد الأمين ، وداماني(271) اسمه ، عبد الله العتيق .

---

(266) الجكنيين : نسبة إلى تجكانت ، وهي من قبائل الزوايا المنحدرين من المرابطين ، وقد اشتهر أهلها بالعلم حتى ضرب بهم المثل ، فقيل العلم الجكني ، حياة موريتانيا ، ص 41 .

(267) العلويين : نسبة إلى إيداوعلي ، وهي من قبائل الزوايا أيضا ، اشتهر أهلها بالعلم والصلاح والتجانبية .

(268) مسوميين : نسبة إلى قبائل مسومة الموريتانية ، الوسيط في تراجم أدباء شنجيط ، ص ، 495 .

(269) الحسنيين : نسبة إلى قبائل إدا بلحسن الموريتانية ، نفس المرجع ص 502 .

(270) آل بارك الله : من قبائل الزوايا الشهيرة في الصحراء ، من أشهر علمائها الشيخ محمد المامي صاحب كتاب البادية .

(271) داماني : نسبة إلى أولاد دامان ، وهي من قبائل الترارزة المشهورة في شنجيط ، حياة موريتانيا ، ص 90 .

ومن الإبييريين[272]

حمود بن السيد بن المختار بن هيب ، وأحمد بن الدّاه ، ومحمد ماء العينين .

ومن التندغيين[273] :

محمد المصطفى .

ومن تنواجيو[274]، محمد بن الشيخ .

ولقينا من قبيلتنا ، آل الطالب مختار[275] ، الأديب الناسك الفاضل ، السيد محمد فاضل بن العلامة الولي سيد هيب ، قدم حاجاً من جهة أدرار ، قريباً من شنجيط ، وكان من خيار أبناء عمنا الساكنين هناك ، ومعه رفقة ، أحمد سالك بن محمد بن عابدين بن بيروك ، من قبيلة أيت موسى بن علي[276] الساكنين بأدرار ، والنّات ، وبها يُعرف من قبيلة إداولحاج[277] وثلاثة من قبيلة أولاد أبي السباع[278] ، محمد الأمين ولد بن يحيى ، ومحمد سالم بن غيلان ، وأحمد بن السّبعي ، والسيد المصطفى بن عبد الله بن أوفي ، وهو الطبيب الصالح الشهير في أرضه .

وبالجملة فقد التقينا مع كثير من الإخوان ، أهل العلم والصلاح من سائر الأقطار ، وتذاكرنا معهم فيما يقتضيه الحال ، لكن جل ذلك إنما يقع في المسجد الحرام ، ولا يخفى أن أهل المسجد لا سيما ، من الحجاج كلهم مُقبل على شأنه ، من صلاة

---

(272) الإبييريين : نسبة إلى أولاد إبييري ، من قبائل البراكنا الشهير في موريتانيا ، نفس المرجع ص ، 98 .

(273) التندغيين : نسبة إلى تندغة ، وهي من القبائل الموريتانية الشهيرة بالعلم الوسيط ، ص ، 343 .

(274) تنواجيو : من قبائل موريتانيا الشهيرة .

(275) آل الطالب المختار : من قبائل الحوض الشهيرة بالعلم والصلاح ، وإليها ينسب الشيخ ماء العينين .

(276) أيت موسى وعلي ، قبيلة مشهورة بالصحراء وإليها ينتسب أبناس بيروك قادة مدينة كَولمين ، وهي من قبائل تكنة المعروفة .

(277) أداولحاج : من قبائل موريتانيا الشهيرة ، اشتهرت بحروبها مع كنتة ، الوسيط ص 507 .

(278) أولاد أبي السباع : تجمع قبلي كبير يمتد من جنوب مراكش إلى موريتانيا ، اشتهر أهله بالتجارة والعلم والوطنية .

وطواف وتلاوة وأذكار ، ونحو ذلك ، فقليلا ما يجدون فسحة من أنفسهم لغير ذلك .

وممن اجتمعنا بهم من أهل مكة المشرفة ، رئيس السدنة الحالي الشيخ محمد ابن محمد صالح بن أحمد بن محمد زين العابدين الشيبي ، المتولي رئاسة السدنة في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة 1351 ، وهو من الأشيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي الثابت نسبهم ، المعروفون أنهم سدنة الكعبة المعظمة ، جاهلية وإسلاماً ، من عهد عبد الدار بن قصي ، إلى عهد شيبة بن عثمان إلى هذا العصر ، وبيتهم من أشراف بيوت قريش ، ووظيفتهم من أعظم الوظائف الإسلامية ، ولا يزال وجودهم من معجزات رسول الله ﷺ ، لقوله : «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»[279] . فبقاء آل شيبة ، وخلود سدانة الكعبة المعظمة بأيديهم ، مع تبادل الولاة والحكام ، وطول الزمان ، من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن ، لا شك ولا مريّة أن ذلك من أعظم معجزات رسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى حفظ هذه العائلة الكريمة كما حفظ بيته الحرام من تعدّ المعتدين ، وسيحفظهما بمشيئته تعالى إلى يوم القيامة .

وكان رئيس السدنة الشيخ محمد المذكور صاحب آداب وسكينة ووقار وأخلاق حسنة ، وقد التقى مع سيادة الشيخ مربيه ربه ، في حجته في العام الماضي ، وأظهر له الخصوصية ، والتمس منه البركة وكذلك فعل معه في مقْدمنا هذا ، ومع سائر وفْدنا وكان يفتح الكعبة في يوم معين أو يومين في كل جمعة ، فتدخلها الناس للتبرك والتيامن وامتثال السنة ، وكان إذا فتحها ، ورأى أحداً من وفدنا ، يقدمه على غيره في الدخول ، ويظْهر له الاعتناء ، ولا يقبل أن يأخذ منه شيئاً ، كما يأخذه من الداخلين غيرنا على حسب مراتبهم ، وقد صادفتها يوم فتحها بعد ما كنتُ أطوفُ وسادنُها المذكور عند بابها جالس على سُلم منصوبٍ هناك يرقى معه إلى الباب ، لأن الباب مرتفع على الأرض نحو أربعة أذرع ، ورأيت سيدنا الشيخ مربيه ربه داخل الباب جالساً ، وبإزائه أخوه الشيخ محمد الإمام ، فأشار إلى سيدنا الشيخ أن اصْعد ، ونبَّه

---

(279) مختصر المقاصد الحسنة ، حديث رقم 403 .

السادن عليَّ ، فأشار إلى الناس وهم مزدحمون ، ففرَّجوا لي ، فطلعتُ ، وقد داخلني من الذِّلة والخضوع والانكسار ، وعلاني من الخجل والدهش والوَجَل ، لجلالة ذلك المشهد ومهابته ما الله مطلع عليه ، فلما دخلت الباب ، أخذ سيدنا الشيخ أعزه الله يدي لما رأى من حيرتي ، وأراني المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ ، وكان السادن أراه إياه ، فصلى فيه قبل دخولي ، وجلس أعزه الله ينتظرني ، فصلَّيتُ فيه ركعتين ولم يعدُ طرْفي قدمي إعظاماً وإجلالاً لبيته تعالى ، وجعلت الباب خلفي قدر ثلاثة أذرع من المحل الذي صليت فيه ولم آل جهداً في الدعاء ، نرجوه تعالى أن يتقبل أعمالنا ، ويحقق آمالنا ، ثم خرجت بما أنا فيه من حرمته وإجلاله .

وكذلك أخبرني الشيخ محمد الإمام أنه وقعَ له ، فلم يقدر أن ينظُر غير محل سُجوده . ونحمده تعالى على توفيقه إيانا للسُّنَّة . رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : عجبا للمرء المسلم ، إذا دخل البيت كيف يرفع رأسهُ ببصره قبل السقف ، ليدع ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاماً ، دخل رسول الله ﷺ الكعبة ، فما خلف نظرُه موضعَ سُجوده ، حتى خرج منها ﷺ .

مطلب في كون دخول الكعبة والصلاة فيها من سنته ﷺ

ودخول الكعبة المعظمة ، والصلاة فيها من فضائل الأعمال والسنن المستحبة لأنها من فعل رسول الله ﷺ ، فقد دخلها ﷺ ، وصلى فيها ، ودخلها أجلاءُ أصحابه ﷺ ، وصلوا فيها ، كما دلت السنة الصحيحة على ذلك ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أحاديث صحيحةً في دخول النبي ﷺ الكعبة ، وأنه صلى فيها ، وذكر التقي الفاسي أسماء الصحابة الذين روى عنهم صلاة رسول الله ﷺ في الكعبة ، وهم بلال ، وجابر بن عبد الله ، وشيبة بن عثمان الحجبي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس على ما قيل ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو هريرة ،وعائشة ، وعبد الرحمان بن صفوان القرشي ، وعثمان بن طلحة الحجبي ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ثم ذكر أسماء الذين نفوها ، وهم أسامة ، على المعروف عنه ، والفضل بن عباس ، وأخوه عبد الله بن عباس ، على ما صح عنه ، ثم

قال ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي . وقال النووي[280] «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت جمعه زيادة علم فوجب ترجيحه . وأورد التقي الفاسي ، في «شفاء الغرام»[281] جملة روايات مرفوعة وموقوف في ثواب دخول الكعبة المعظمة ، وكفى من ذلك ما روى الفاكهي عن هند بن أوس قال : حججت فلقيت ابن عمر ، فقلت إني أقبلت من الفج العميق ، أردت البيت العتيق ، وأنه ذُكرَ لي أن من أتى بيت المقدس يصلي فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أنه ، قال ابن عمر : رأيتُ البيت من دخله ، فصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمهُ ، ثم قال الفاسي : «وقد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت ، واستحسن مالك كثرة دخوله» .

وقد اقتصرنا من الصلاة في الكعبة المعظمة على ركعتين للائتساء به ﷺ ، فإنه صلى فيها ركعتين ، كما في رواية بلال ﷺ وغيره ،

ثم لما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ، حضرنا صلاة الجمعة بالمسجد الحرام ، وخطب الإمام خطبة حسنة طويلة ، بالغ في الوعظ فيها ، وذكر فضل الحج ، وعلّم الناس مناسكه ، ووقع في المسجد وقت صلاة الجمعة ازدحام كثير .

(280) النووي : أبو زكريا بن شرف الحوراني الشافعي ، عالم بالفقه والحديث ، ولد في نوى من قرى حوران بسوريا سنة 631هـ 1233م وتوفي سنة 676 هـ 1277م ، طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ج ، 5 ص 165 .

(281) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد الفاسي (775هـ - 832هـ) أشار إلياس سركيس إلى أن الفاسي اختصر هذا الكتاب في نصف حجمه وسماه : «تحفة الكرام» نشر منه العلامة ويستفلد بعض المنتخبات في الكتب التي سماها : تواريخ مكة المشرفة ، في الجزء الثاني الموسوم بكتاب «المنتقى في أخبار أم القرى» من ص . 55 إلى 324 ، أنظر معجم المطبوعات العربية والمعربة يوسف إلياس سركيس ، عالم الكتب 1928م ، ج ، 2 ص ، 1429 .

ثم لما كان يوم التروية ، وهو يوم الأحد الثامن من ذي الحجة ، اغتسلنا ، ولبسنا ثياب الإحرام ، وأحرمنا بالحج في مكة المشرفة مع حجاجها ، وخرجنا منها لما ارتفع النهار بعدما جعلنا آخر عهدنا بها الطواف بالبيت متوجهين منىً ، فوصلناها حين زالت الشمس ، فصلينا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، كما هو السنة ، ثم بتنا بها في قباب وجدنا المطوف هيأها لنزولنا هناك ، ثم لما طلعت الشمس في اليوم التاسع ، وهو يوم عرفة يوم الإثنين ، سرْنا متوجهين جبَل عرفات ، فوصلنا ه قيلولة يومنا ، ووجدنا قباباً هناك هيأنا المطوِّف لنا أيضاً ، فدخلناها حتى بلغ أولُ وقت الظهر ، اغتسلنا اغتسالا خفيفا للوقوف بعرفات كما ذلك هو سنة هذا الغسل ، فجمعنا الظهر والعصر بمسجد نمرة ، ولم نر الخطيب ، ولم نسمع صوته لكثرة الازدحام ، ثم وقفنا بعرفات عند الصخرة التي كان يقف عندها رسول الله ﷺ ، كما أخبرنا أهل الخبرة من أهل البلدة بذلك ، مستقبلين القبلة ، وعندما وقفنا صب الله مطراً غزيراً حتى غسل أبدان الواقفين ولباسهم ، فتيامنا به لقوله ﷺ : «ما من قوم مُطروا إلا وقد رُحِمُوا» ، وقوله ﷺ : «اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقِّني من الذنوب والخطايا كما ينقّىَ الثوبُ الأبيضُ من الدَّنس» . ويقول الشاعر :

[البسيط]

جَـاءوا بأحْـمَـالِ أوزارٍ تَنُـودُهُـمُ
منهـا جـبـالٌ وحُـسْنُ الظنِّ وَطَّاهَـا
فـسَـالَ لَمّا رأى الرحـمـانُ ذلَّتَـهُمْ
طوفـانُ عَـفْـوٍ وغـفْـرانٍ فـغَطَّاهَـا

نرجوه تعالى أن ينقينا من الخطايا الباطنة والظاهرة ، وأن يعمنا برحمته الواسعة في الدنيا والآخرة ، ولم يزل المطر ، والناس واقفون في دعاء وابتهال وخشوع وأذكار واستغفار وخضوع ، مُلوكُهم في مقام الافتقار و الذِّلة ، وفقراؤهم في محل الاضطرار والقلة ، فكم دُموع تدفقت ، وكم ضلوع تحرقتْ ، وكم نسمات هبات هبَتْ ، وكم

سحاب رحمات صبت ، والجميع يرغبون المغفرة من الغفار ويرجون الستر والعَفْوَ من العفو الستار . والتفتْ إليّ سيدنا الشيخ مربيه ربه في هذا الموقف ، وقد خنقته العبرات ، وترادفَتْ عليه من الخشية الزفرات ، وقال لي : يُروَى أن رجلاً وقف بعرفات ، فقال الحمد لله على نعمة الإسلام ، وكفى بها من نعمة ، فلما كان العام القابل ، وقف بعرفات أيضاً وقال الكلمات ، فناداه هاتف ، على رسْلك ، فمن عام أول ونحن نكتب لك ثواب قولها ، وما فرغنا منه ، فقُلتها بحمد الله في ذلك الموقف ، جزاهُ الله عنا أحْسنَ جزائه . فلما دنت الشمس للغروب ، انشقت السحائب ، وغربت الشمس نقية ، فلبثنا هنيئة بعد الغروب ، فنفرنا بفيضين ، وانصرفنا بين المازمين آمين المصلى بمُزدلفَة ، فوصلناها بعد مغيب الشفق ، فجمعنا بها بين العشائين وتفرق وفدنا لكثرة الاختلاط والازدحام ، وبتنا هناك حتى أسفر الفجر على وجه القرضْ ، وأدينا من صلاة الصبح الحق المفترض ، وقفنا عند المشعر الحرام إلى الإسفار منكبين على الدعاء وحميد الأذكار والاستغفار ، فافضْنا حتى وصلنا بطن محسّر ، وهو وادي النار أسرعنا والإسراع فيه مشروع ذهاباً وإياباً ، فمضينا كما نحن على الطريق إلى أن وصلنا جمرة العقبة وقت الشروق ، فرمينا بها سبع حصيات من أسفلها مكبرين مع كل حصاة ، ثم رجعنا لرحالنا ، فذبحنا الهدايا ، وقد كنا أوقفناها بعرفات ، ثم حلقنا ، وسرنا من ساعتنا لمكة المشرفة ، ولم نزل لابسين ثياب الإحرام لاستحبابها ، وإن كان التحلل الأصغر يقع بعد رمي جمرة العقبة ، فوصلنا مكة لما ارتفع النهار ، فطفنا طواف الإفاضة ، ثم سعينا بين الصفا والمروة ، ثم حلقنا فنزعنا لباس الإحرام ، فأحللنا التحلل الأكبر ، ثم رجعنا إلى منىً فصلينا بها الظهر يوم النحر ، وهو يوم الثلاثاء ، في مسجد الخيف ، وهو الذي نزلت عليه ﷺ فيه سورة «والمرسلات» ، كما حدثنا بذلك بعض علماء البلد ، ثم رجعنا للقباب المعدّة لنا هناك ، فأصابني يومئذ مرض شديد بقية اليوم وبتُّ كذلك وأصبحت إلى وقت الظهر ، مع أني في كثير من لطف الله أحمده عليه ، فلما زالت الشمس رجوت من فضله تعالى أن لا يعجزني عن بقية مناسكي ، فمن فضله تعالى حسست بالراحة ، فتوضّأتُ ، ووقفتُ بمشقة ، واستندت على سيدي بُويَ بن الشيخ حَسَنٌ ، بل كأنه يحملني أولا ، وكلما خطوت بحمد الله يخف مرضي ، فما وصلتُ الجمار ، حتى

قدرْت على المشي بفضله تعالى ، وشفيت بحمده ، فرمينا الجمار مبتدئين بالأولى التي تلي مسجد الخيف ، ثم بالوسطى ، وختمنا بالعقبة ، فوقفنا إثر الأوليين بقدر الإمكان مجتهدين في الدعاء لنا وللأحبة والإخوان ولسائر المسلمين في كل مكان ، وكذلك فعلنا في اليوم الثاني ، وكانت أيام منىً غراراً في أوجه الزمانْ ومواسم فرح وسرور لأهل الإيمان ، يتجلى فيها الحق يومئذ بصفة الجمالْ ، جزاءً على رضاهم قبل ذلك بتجلي الجلال ، ولله دَرُّالقائل :

[السريع]

بلغْت يا نفسي المُنى في منى
وقدْ أزالَ الله عنْك العَنَا
فاستنفدي وُسْعَك في شُكْرِه
وشيِّدي منْه بِنَاءَ الثَّنَا

ثم صلينا الظهر في مسجد قريب من الجمرات ، شائعٌ عند أهل البلدة أنه أنزلت فيه على رسول الله ﷺ سورة الكوثر ، ثم تعجلنا ، قال تعالى : «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه»(282) ، فدخلنا مكة المشرفة وقت العصر من يومنا ، وهو يوم الخميس الثاني عشر من ذي الحجة ، فصلينا العصر بالمسجد الحرام ، شاكرين الله تعالى على منته علينا بقضاء مناسكنا على الوجه الذي قررناه باختصار راجين منه تعالى أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم ، ويثيبنا بجنة النعيم ، والنظر إلى وجهه العظيم ، في جوار سيدنا محمد عليه أتم صلاة وتسليم .

فائدة في ذرع الكعبة وقدر المسجد الحرام بالقدم

فائدة في ذرع الكعبة المكرمة من داخلها وخارجها وارتفاعها ، عدة روايات وذلك ناشئ من اختلاف قدر الأذرع في القصر والطول . وأقربُها عندي بالذراع المتوسط

(282) سورة البقرة الآية 203 .

اليوم ، هو ما قد حررهُ الفقيه عبد الله محمد ابن كرامة العامري في كتابة «دلائل القبلة» ، فقال : إعلم أن كعبة البيت الحرام مربعة البنيان في وسط المسجد الحرام ، ارتفاعها في الأرض سبعة وعشرون ذراعاً وعرض الجدار من وجهها أربعة وعشرون ذراعاً ، وهو بناء الحجاج ، وكان ابن الزبير جعل عرضها ثلاثين ذراعاً يزيد على ذلك أقل من ذراع ، بعد أن كشف على قواعد إبراهيم عليه السلام ، وبنى عليها» ثم قال : «وعرض وجهها ، وهو الذي فيه الباب ، أربعة وعشرون ذراعاً ، وعرْضُ مُؤخّرِها مثلُ ذلك ، وعرض جذارها الذي يلي الشام ، وهو الذي فيما بين الركْنِ الشامي والعراقي أحد وعشرون ذراعاً» . ويعضدُ هذا ما ذكره شيخنا الشيخ ماء العينين في رحلته(283) ، وإن كان يخالفه بيسير ، فقد يقع ذلك من اختلاف الأذرع ، طولا وقصراً ، كما قدمنا . ونصُّ ما قاله شيخنا ﷺ : «فائدة ، قد ذرعت زمني هذا بمكة الكعبة المشرفة ، ذرعت ما بين اليماني والشامي ، فوجدته خمسة عشر ذراعاً بذراعي ، وذرعتُ ما بين اليماني وركن الحجر الأسود فوجدته عشرين ذراعاً ، والذي بين الشامي والعراقي كما بين اليماني وركن الحجر الأسود ، وما بين العراقي وركن الحجر الأسود ، كما بين اليماني والشامي ، وطولها في السماء سبعة وعشرون ذراعاً بالذراع المصري ، المصطلح عليه اليوم ، ويزيد هذا على ذلك بستة أصابع ، وما بين الباب والحجر الأسود ، وهو الملتزم على أحد الروايات ، أربعة أذرع بذراعي ، وارتفاع الحجر الأسود ، ثلاثة أذرع ، أو أزيد بقليل وتدويره ثلاثة أذرع بذراعي ، ويغطّى كله بالذهب ، إلا ما بين خنْصري وسبابتي من وسطه ، فإنه خارج ، أي سالم من التغطية ، وارتفاع أسفل الباب ، قدْر أربعة أذرع بذراعي أو أزيد بقليل» ، انتهى كلام شيخنا الشيخ ماء العينين .

ثم قال أيضاً في قدر المسجد الحرام ، وعدد ما فيه من الأساطين والقناديل ، والمرقوم على لباس الكعبة ، وفوائد ماء زمزم في رحلته ، ما نصه : «فائدة . قدمت

---

(283) تم طبع هذه الرحلة بالمطبعة الحجرية بفاس ، لكن يبدو أنه لم يبق لها أثر ، وقد ذكر الدكتور حمداتي شبيهنا ماء العينين في مذاكرة علمية بمنزل الأستاذ ماء العينين ماء العينين ، أنه يتوفر على جزء هام منها .

بقدمي ما بين البيت والأعمد التي تليه من جهة اليمن ، فوجدته أربعة وستين قدماً ، وقدمته من جهة المغرب فوجدته سيتن ، وقدمته من الشمال فوجدته ما بين الأعمد والحجر ثلاثين قدماً ، وعرض الحجر ثلاثة أذرع بذراعي ، ومن انعطاف الحجر إلى الكعبة ، قدمته ، فوجدته أربعة وعشرين قدماً ، وذرعته فوجدته اثنى عشر ذراعاً ، وقدمته من جهة المشرق ، فوجدت ما بينه وبين مقام إبراهيم ثلاثين قدما ، ثم إن زاد هذا أو نقص عما قُلت فالخطأ مني ، وإلا كان هذا ، فالتوفيق الصواب من الله ، لأني فعلت هذا في شيء من الازدحام لا يعلمه إلا الله ، ولا يدريه إلا من رآه ، نتوسل إلى الله بحقه ، ومن اشتاق إليه أو رآه أن يغفر لنا ما قدمنا من الذنوب ، وما أخرنا والصلاة والسلام على محمد ﷺ ومن تلاه» . وقال جامعه عفا الله عنه : ولا شك أن الازدحام عند البيت أيام الحج لا يدريه إلا من رآه ، فلا يمكن لأحد هناك أن يسير على وجهه ساعة ، ولا يرى أين يضع قدمه ، فضلا عن أن يذرع تلك الأماكن أو يقيسها بقدمه ، وإنما هذه كرامة ظاهرة من كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين التي خصَّه الله بها .

حكاية شيخنا الشيخ ماء العينين مع النفر الذين لقيهم بمكة

ومثلها أيضاً كرامته مع النفر الثلاثة الذين اجتمع بهم عند الكيزان الموضوعة في الحرم ، وتحدث معهم ما شاء الله ، ولم يأتهم شخص واحد تلك الساعة ، مع كثرة الناس وازدحامهم هنالك . وكيفية حكايته معهم كما سمعتها منه ، ورأيتها بخطه كاتباً ﷺ ما نصه : «حكاية : قال كاتب هذه الحروف ، غفر الله له وأعاده من كل مخوف : إنه وقع لي زمنه بمكة الشرفة ، وهو عام أربعة وسبعين بعد المائتين والألف ، أني قمتُ بعد صلاة المغرب لأجدد الوضوء من الكيزان الموضوعة في الحرم للشرب والوضوء ، كما هو المندُوب ، أي تجديد الوضوء ، فلما أتيتُ لبعضها ، وجدت عنده رجلا حينما جلست ، فسلمتُ عليه فرد عليَّ السلام ، واشتغلت أنا وهو بالوضوء ، فإذا برجل آخر سلم علينا ، فرددت أنا عليه السلام ، فإذا بآخر سلم علينا ، فرددت أيضاً عليه السلام ، فاشتغلنا بالوضوء ، فلما أكملناه سلمت عليهم أيضاً جميعا ،

والتفتت على الأخير الذي جاءنا وقلتُ له : يا أخي ، من أي بلاد أنت؟ فقال : أنا من ناحية الشمال ، وبلادنا ليس وراءها إلا سدٌ يا جوجَ وما جوجَ : فنحن في حد بلاد المسلمين من تلك الناحية ، فقلت : كم المسافة دونكم؟ فقال لي : نحن بلادنا صعبة ، ودونها الجبال والبحور ، من جاء منا من جهة المشرق ، تكون المسافة عليه أربعة أشهر ونحوها ، ومن جاء من جهة المغرب ، تكون ستة أشهر ، ونحو ذلك ، فقلت له : ومن حذاءكم من أهل التجارات؟ فقال لي : تأتينا الأتراك بتجارات على التُيوس الفُحول المعز ، لأن بلادنا من صعوبة جبالها ، لا يسير فيها من المواشي إلا تيوس المعز ، فاعتبرت ، والتفتُ إلى الذي جاءنا قبله ، وقلت له : يا أخي ، من أي بلاد أنت؟ قال : أنا من بلاد المطلع ، فقلت له : ما المطلع؟ ، فقال : مطلع الشمس ، لأنا في موضع ما وراءه إلا الجبال التي تطلع الشمس . قال :فنحن في حد المسلمين والعمارة من تلك الناحية فقلت له ، كم المسافة دونكم فقال : إن كان براً فعام ، وإلا فستة أشهر أو سبعة ، ونحو ذلك فاعتبرت . والتفتُ إلى الأول الذي وجدته جلس قبلي وقلت له : يا أخي ، من أي البلاد أنت؟ فقال : أنا من أقصى بلاد اليمين ، بلادنا ما وراءها إلا بلاد الصين ، فنحن في حد بلاد المسلمين من تلك الناحية ، فقلت له : كم المسافة دونكم؟ فقال لي : أما براً ، فنحو عشرة أشهر أو تسعة ، وأما بحرا ، فحسب التيسير : من ستة أشهر ونحوها . فقلت لهم : لم يبق إلا صاحبكم ، أعني نفسي ، فإني من أقصى بلاد الغرب ، والمسافة بيننا مع الحرم الشريف إذا كانت براً فعام أو قَريب منه ، وإن كانت بحرا ، فحسب التيسير والأغلب ستة أشهر ونحها ، أو قريب منها كما وقع لي ، وسألت كلٌ واحد منهم عن زمن الربيع عندهم ، ومجيء الأمطار ، فإذا صاحب اليمين والمطلع ، دهر الربيع عندهما فصل الخريف وما قاربه من الصيف ، وذلك حال بلادنا التي هي الحوض ونحوه ، وأما الشمال ، فدهر الربيع عندهم ، فصل الشتاء وما قاربه من فصل الربيع ، وسألتهم ما يتصارفون به في بلادهم فقالوا كلهم : إن التصارف عندهم بالدنانير والدراهم . وسألتهم كلهم هل بلادهم فيها السلاطين ، أو مستقيمة بلا سلاطين ، فقالوا كلهم : إن بلادهم فيها سلاطين ، ولا تستقيم دونهم ، فقلت إن بلادنا لا يعرف أهلها دينارا ولا درهما ، فاعتبروا غاية ، وقال لي : بما التصارف عندكم ، فقلت لهم بالأنعام والأثواب والعبيد ،

ونحو ذلك ، فتعجبوا غاية العجب ، وقلت لهم أيضاً ، إن بلادنا لا سلطان فيها ، وأهلها مستقيمون غاية ، وإنما يكون للقبيلة منها رئيس تأوي إليه في بعض أمورها(284) ، والناس مستقيمة على ذلك ، وأهل علم كثير فتعجبوا من هاذين الأمرين غاية ، وقالوا لي : إنهم يعرفون في الحديث ، إن من أحق الناس بالأمان ، قوما لا يعرفون ديناراً ولا درهما ، وما كنا نظن أنه موجود في الدنيا : فقلت لهم نعم ، هم أهل بلادنا ، يعيش أحدهم العمر الطويل لم يرديناراً ولا درهما ولا عرفه إلا إذا كان من أهل العلم ، فإنه يقرؤه في العلم ، فلما قلتُ لهم ذلك ، كأنهم رأوا الفضل لبلادنا وأهلها على بلادهم وأهلهم بذلك ، ومن أغرب الأشياء أنهم جميعاً أعاجم ، وليس فيهم أحد يعرف لغة الأخر ، ولا يعرفون لغتي أنا التي هي الحسانية ، ولكنهم كلهم أهل علم ، وخبير باللسان العربي ، وأنا ما تكلمت لهم إلا به ولم يتكلم منهم بعض لبعض غيري ، غفر الله لي ، وكلهم غير صاحب الشمال قال لي : إن بلاده فيها الأنعام ، ومن الغريب عندي أنا لم يأتينا شخص واحد غيرنا ، فالتفتُّ إليهم ، وقلت لهم : أعلمتم أن الله قادر على أن يجمعنا اليوم لا ريب فيه ، فقالوا كلهم : نعم نعم ، فقلتُ الدعاء ، فرفعنا أيدينا ، فدعوت وأمنوا على دعائي ، والتفتُّ إليهم فإذا هم جميعا متقاربين في السن ، كل واحد منهم في أحسن الفتوة ، فقمنا ، ولم أر منهم واحداً بعد ذلك المجلس إلى الآن ، نرجو الله أن يغفر لنا بالتمام ، والسلام ، في الرابع والعشرين من شوال عام تسعة عشر بعد ثلاثمائة وألف ، عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين آمين» .

وسمعته ﷺ ، قال : «إنه حدث بعض أهل الصلاح بهذه الحكاية ، وقال له ،

---

(284) ليس المقصود في هذه الإشارة أن الصحراء المغربية لم تكن تابعة للسلطة المغربية ، وإنما المقصود منها ضعف السلطة المركزية في هذه الجهة النائية من المملكة المغربية ، وارتباطها بسلاطين المغرب عن طريق مجموعة من الشيوخ والرؤساء الذين يمثلون المخزن بها ، وقد كانت هذه الظاهرة عامة في كثير من جهات المغرب وغيره قبل الحماية ، في الأطلس المتوسط وبلاد الريف وتافلالت ، وغيرها ، ورغم ذلك فقد كانت تعرف الأمن والاستقرار ، وهذا هو المقصود في هذا السياق . وقد كان الشيخ ماء العينين نفسه يمثل ملوك المغرب في الصحراء بظهائر سلطانية معروفة .

عساكم كلكم يكون قطبا في أرضه ، وأنت هو قطبهم ، ولكونك أنت الذي كلمتهم ، ولم يكلم منهم أحداً غيرُك ، والله أعلم» .

فائدة في قدر المسجد الحرام أذرعاً وفي عدد ما فيه من الأساطين والقناديل

ولنرجع إلى بقية كلام شيخنا الشيخ ماء العينين في المسجد الحرام ، وهو ما نصه : «فائدة في قدر المسجد الحرام أذرعاً ، وفي عدد ما فيه من الأساطين والقناديل ، أذرعه مكسرةً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع ، وعدد الأساطين أربعمائة وستة وتسعون ، وكل هذه الأساطين رخام ما عدا مائة أسطوانة وتسعة وعشرين فإنها حجارة منحوتة ، ومنها ثلاثة أساطين آجرٌ مُجصص ، ثم إن هذا العدد كله من غير الأعمد التي حول الكعبة ، وهي تسعة وعشرون ، ومقام الحنفي عشرة ، وهو الآن شمال البيت ، ومقام المالكي أربعة ، وهو الآن غرب البيت ، وكانا بالعكس ، ومقام الحنبلي أربعة أيضاً ، وهو يمين البيت ، ومقام الشافعي إثنان ، وهو شرق البيت لأنه في مقام إبراهيم عليه السلام ، وذلك ليس له إلا عمودان شرقا ، وأما غير ذلك منها فإنه مبني بناءً مشبكاً ، فيكون الجميع تسعة وأربعين ، فإذا ما أضيف إلى ما قبله صار الجميع خمسمائة وخمسة وأربعين» .

«والأساطين التي حول الكعبة كل اثنين منها بينهما خمسةُ قناديل ، وبعد ذلك ثلاثة أسطر ، كل عمودين منها بينهما قنديل واحد ، وفي مقام الحنفي خمسةُ وعشرون قنديلا ، والمالكي ثمانية ، والحنبلي أيضا ثمانية ، ومقام إبراهيم عليه السلام ثلاثة عشر قنديلا ، فالجميع ألف وثلاثمائة وثمانون وسبعة قناديل ، لكني رأيتهم ليالي التشريق(285) جعلوا على المنارات كثيرا من القناديل ، لم أكثرت بعد لأجل اشتغالي في تلك الليالي ، ولكونه نادراً ، والنادر لا حكم له ، وهذا كله عددته بنفسي إلا طول الكعبة في السماء ، وعدد أذرع المسجد مكسراً ، فإني أخذته من كتاب وجدتُه في مكة على أخبارها لم أرقط مثله ، يقالُ له «البحر العميق في أخبار

---

(285) أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد النحر .

بيت الله العتيق» ، ولله الحمد الذي بفضله يليق ، وفي هذا الكتاب من الفوائد والقصص والأخبار ما لا مزيد عليه .

فائدة في بعض المكتوب على لباس الكعبة الشريفة وفي بعض فوائد ماء زمزم

فائدة في بعض ما هو مكتوب على لباس الكعبة الشريفة ، مكتوب عليه سطر من رأسه على رأسه يمينا وشمالا [من جهة الشرق] ، [286] «وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ، إلى عميق»[287] ، ومن جهة اليمين يميناً وغرباً ، «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت إلى العزيز الحكيم»[288] ، ومن جهة المغرب يمينا وشمالا ، قل صدق الله العظيم ، وأما من جهة الشمال ، فليس المكتوب عليها إلا كلاماً على جهة السلاطين ، كل من كانت الولاية له يكتب على اللباس في كل زمن خلافته ، «على ودّ مولانا السلطان فلان بن فلان» ، حتى يعد كثيرا من أجداده ، والسلطان الآن في عام حجنا الذي هو عام 74 أربعة وسبعين بعد المائتين والألف ، عبد المجيد بن محمود خان ، ومن المكتوب عل لباس الباب خاصة ، البسملة مراراً ، «ولإيلاف قريش ، وقل هو الله أحد» وكلمة الشهادة ، وهذا الذي تقدم كله مكتوب بالذهب ، وغير هذا من لباسها كله محشو بكلمة الإخلاص واسم الجلالة ، والكتابة فيه من نفس النسج ، إلا أنه ليس بسطر مستقيم ، بل كأنه من التزخرف على حالة لا يعرفها إلا من رآها بالعين ، والصلاة والسلام على من به يجمع بين البين .

فائدة ، في بعض فوائد ماء زمزم وخواصه ، فمنها أنه لما شرب له ، وقد نوى فيه الشافعي العلم فنال فيه ما نال ، والرمي فصار يصيب العشرة بالعشرة ، والتسعة بالتسعة ، وشربه رجل لا برءٍ اعترضت في فمه ، وكاد يموت منها ، فزالت عنه ، وشربه آخر للعمى فشفي ، ومنها أن المنافق لا يتضلع منه ، وآية بيننا وبينهم ، ومنها

---

(286) «ب» و . ٤ .

(287) سورة الحج ، آية 26 .

(288) سورة البقرة ، آ . 127

أن من شرب منه ، حرم الله جسده على النار ، ومنها أن الله يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غيره ، ومنها أن النظر إليه عبادة ، ومنها أنه طعام طعم وشفاء سقم . وقد أقام شخصٌ شهرا بمكة لا يذوق غيره فتكسَّرت عكون[289] بطنه من الشحم ، وكان بعضهم إذا ظمئ وجد فيه لبنا ، وإذا أراد أن يتوضأ وجد فيه ماء ، ومنها أن الاطلاع فيها ، يحط الأوزار والخطايا ، ومنها أنه خير ماء على وجه الأرض ، ومنها أنه يبرد الحمى ، ومنها أنه يذهب الصداع ، ومنها أن الاطلاع فيها يجلو البصر ، ومنها أنه يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب ، ومنها أنه يكثر فيها أيضاً كل سنة بحيث أن البير تفيض بالماء ، لكن لا يشاهده إلا الأولياء ، ومنها أن من حثا منها على رأسه ثلاث حثوات لم تصبه ذلة أبداً ، ومنها أنه يعظم في الموسم ويكثر كثرة خارقة لعادة الآبار ، والمراد بالموسم زمن الحج ، وثبت أن النبي ﷺ عام حجة الوداع جاء زمزم ، فقال : ناولوني دلواً فناولوه ، وشرب منها ، ثم تمضمض ، ومج في الدلو ، ثم أمر بما في الدلو فأفرغ في البير ، كأنه مسك أو أطيب من المسك ، وهذه عندي أفضل فضائله ، صلى الله على سيدنا محمد وآله .

فائدة . أيضاً في عدد أذرعه من أعلاه إلى أسفله ، كان ستين ذراعاً ، ثم قلَّ ماؤها في بعض الأزمنة السابقة ، فضرب فيها سبعة أذرع ، وأذرع تدوير فمه ، كان أحد عشر ذراعاً ، وقد جعل عليه كله البناء ، سوى ثلاثة أذرع وثلثي ذراع ، وما بين رأسه والماء أربعة أذرع ، والأذرع فيما مضى قامة الإنسان ، سوى الثلاثة الأذرع والثلثين ، فإنها بالذراع المتعارف ، وهاتان الفائدتان أيضاً من «البحر العميق» والحمد لله العلي الرفيق .

عدد أبواب المسجد الحرام ومناراته وأسماء الجميع وكيفية كسوة الكعبة

فائدة . في عدد أبواب مسجد الله الحرام ، ومناراته ، أما الأبواب الكبار ، فهي تسعة عشر ، لكن ربما تكون في الباب الواحد أربعة أبواب ، أو أكثر أو أقل ، ولا أظن

---

(289) عكون : ج . عكنة ، الأطواء في البطن من السمن .

الجميع إلا يبلغ الأربعين أو قريباً منها، والله تعالى أعلم، وأما المنارات، فهي سبعة، ولم يحضر في ذهني الآن أسماء الجميع، لطول العهد، ولذلك رأيت تركه حتى يتفضل الله به»، انتهى كلام شيخنا الشيخ ماء العينين ﷺ في رحلته[290].

قال جامعه مريده ما العينين بن العتيق، هذا الذي ذكره شيخنا من ذرع المسجد، هو الذي عليه جل المؤرخين، فقد ذكر الأزرقي[291] في كتابه «أخبار مكة» أن ذرعه مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع، ومعنى مكسراً، يعني مربعاً، وكذلك ذكره غيره مفصلا ومجملا، وقد يقع التفاوت اليسير، لاختلاف الأذرع، وتحقيق الاستقراء، وفي الحقيقة لا خلاف، وكذلك عدد الأساطين والقناديل، فهو، كما ذكره شيخنا ﷺ، وإن وقع الفرق في بعض الروايات بزيادة قليلة أو نقصان يسير، فلا حرج، إذ يحدث ذلك عادة، إذا كان الإحصاء بغير تدقيق، وكذلك يحصل من غلط الناسخ أو المطبعة، وعلى كل فالفرق يسير بل لا يعدو فرقاً، ولم يحدث بعده ﷺ كبير تغيير في هذه الأشياء، إلا أن القناديل اليوم صارت أضواؤها بالآلة الكهربائية، وأما كسوة الكعبة المكرمة، فلم يزل رقمها على ما ذكره ﷺ أيام خلفاء آل عثمان، ويأتي المحمل المصري بالكسوة من مصر في كل سنة، لأنها كانت تأتيها الكسوة من الخلفاء العباسيين، حتى انتقل آخرهم إلى مصر، بعد قضية التتار، فاستمر مجيء الكسوة من مصر حتى أعلن أمير مكة المشرفة الشريف الحسين بن

(290) رحلة الشيخ ماء العينين، مفقودة، لكن يبدو من خلال الإشارة السابقة أن الدكتور شبيهنا حمداتي يتوفر على جزء منها.

(291) الأزرقي: هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، يمني الأصل من أهل مكة، له كتاب «اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، وهو مطبوع في جزئين، توفي حوالي سنة 250 هـ 865م، أنظر ترجمته في الأعلام، ج، 6 ص 222.

علي بن محمد بن عبد الله المعين بن عون[292] الثورة على الحكومة التركية باسم استقلال البلاد العربية سنة 1334 ، فاستمر إتيان الكسوة من مصر حتى وقع الخلاف بين المصريين والشريف الحسين سنة 1341 ، رجع المصريون بالكسوة من جدة ، فكساها الشريف بكسوة كانت مودعة بالمدينة المنورة من الحكومة التركية ، فلما كان عام 1343 ، استولى الملك عبد العزيز[293] بن عبد الرحمان آل السعود على مكة المشرفة ، فكساها ، وفي سنة 1344 كساها المصريون على عادتهم ، ووقعت حادثة المحمل بمنى ، فامتنع المصريون من مجيء الكسوة عام 1354 ، فكساها الملك عبد العزيز ، وصنع داراً لحياكة كسوتها بمكة ، وكتب على الكسوة آيات مناسبة وأذكاراً وأسماء على غير النسق المصري ، واستمر العمل إلى سنة 1355 ، اصطلح الملك عبد العزيز والمصريون ، فأتوا للبيت بالكسوة من مصر على هيأتها الأولى ، إلا ما كان من تسمية السلاطين ، لأن بلاد المشرق لم تجتمع كلمتها على سلطان من يوم تلاشي ملك العثمانيين ، بل استقل في كل أرض ملك ، كالملك عبدالعزيز بالحجاز ونجد

---

(292) الشريف الحسين بن علي : (1270هـ-1350هـ-/1854م-1931م) ، من أحفاد أبي نمي ابن بركات الحسني الهاشمي ، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك ، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين ، ولد في الأستانة ، عين أميراً لمكة سنة 1326هـ ، بعد إنشاء جمعية تركيا الفتاة التي قامت بحملة كبرى ضد حملة الفكرة العربية وطلائع يقضتها الحديثة ، ثار بمساعده الإنجليز على الحكم العثماني وحرر سوريا والعراق والحجاز ، ونعت بالملك المنقذ ، لكن مملكته سرعان ما تساقطت ، ولم يبق منها إلا عمان وشرق الأردن التي تولى حكمها ابنه عبد الله ، أقام في قبرص منذ سنة 1925 إلى أن مرض فعاد إلى عمان قبيل وفاته ، أنظر ترجمته في الأعلام ، ج ، 2 ص . 250

(293) الملك عبد العزيز : هو عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن ، ملك المملكة العربية السعودية الأول ومنشئها ، أعلن عن إنشاء مملكته سنة 1932 ، وسماها بالإسم الذي تعرف به اليوم ، وفي عهده عرفت تحولا كبيراً ، فتفجر البترول في أرضها وعمت خيراته أرجاءها ، توفي سنة 1373 هـ- 1953م ، أنظر ترجمته في الأعلام ج4 ص ، . 19

ولواحقهما ، والإمام يحيى باليمن[294] وغازي[295] ابن فيصل بن الشريف الحسين بالعراق والملك فاروق بمصر[296] ونحو ذلك ، والله غالب على أمره ، وهو المستعان ، ثم لم يزل المصريون يأتون بالكسوة على هيأتها الأولى إلى عامنا هذا ، وهو عام سبعة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف 1357 ، أتى بها المصريون على عادتهم .

وأما أبواب المسجد الحرام ، فهي كما قال شيخنا ، ﷺ ، تسعة عشر (19) ، قال صاحب «عمارة المسجد الحرام» : كان للمسجد الحرام في عصر الخليفة المهدي(19) بابا على (38) نافذة إلى أن قال : يحتوي المسجد الحرام في العصر الحاضر على (26) بابا ، بعضها يفتح على نافذة واحدة ، وبعضها على نافذتين ، وبعضها على ثلاثة نوافذ ، وواحد من عمومها يُفتح على خمس نوافذ ، ثم فصلها وبينها باباً باباً ، ومنفذاً منفذاً ، ووصفها ، ونحن نكتفي بأسماء الأبواب الستة والعشرين المشهورة اليوم مخافة التطويل ، وهي في الجانب الشرقي خمسة (5) :

1 . باب السلام ، ويعرف قديما بباب بني شيبة .

---

(294) الإمام يحيى : هو يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين الحسني العلوي الطالبي ، ملك اليمن من أئمة الزيدية ، ولي الإمامة بعد أبيه سنة 1322هـ شمال صنعاء ، وكانت في أيدي الترك العثمانيين ، فهاجمها وحاصرها إلى أن جلى الترك عنها وعن البلاد اليمية كلها سنة 1336هـ . كان شديداً على رعيته ، يرى الاستبداد خيراً من الشورى ، وقد أدت السياسة إلى مقتله من طرف أعدائه سنة 1367هـ - 1948م . الإعلام ، ج ، 8 ص 170 .

(295) غازي بن فيصل : ابن الحسين بن علي الهاشمي ، ملك العراق ، وابن ملكها الأخير ، ولد بمكة سنة 1330هـ - 1912م انتقل إلى بغداد حين سمي وليا لعهد المملكة العراقية سنة 1924 ، تلقى تعليمه في كلية هارو بإنجلترا وعاد إلى بغداد ، نودي به ملكا على العراق بعد وفاة أبيه سنة 1933 ، واستمر بها إلى أن توفي قتيلا في حادثة سير سنة 1939 ، أنظر ترجمته في الأعلام ، ج 5 ، ص 112 .

(296) الملك فاروق : ابن أحمد فؤاد بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ، آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي وآخر ملك بها ، تولى الملك سنة 1936 ، وأرغمته ثورة مصر على التنازل عن العرش سنة 1952 توفي بروما سنة 1956 ، الإعلام ، ج . 5 ص 129 .

2 . باب مدرسة السلطان قايتباي
3 . باب النبي ﷺ ، ويقال له أيضاً باب الجنائز ، وباب الحريريين .
4 . باب العباس رضي الله عنه .
5 . باب علي رضي الله عنه ، يعرف بباب البطحاء ، وبباب بني هاشم .

والجهة الجنوبية من المسجد ، فيها سبعة أبواب :
1 . باب بازاق ، ويعرف أيضاً بباب بني عائذ ، ويُسمى اليوم باب النعوش
2 . باب البغلة ، ويُعرف بباب بني سفيان
3 . باب الصفا ، ويسمى أيضاً باب بني مخزوم
4 . باب أجياد الصغير ، ويسمى أيضاً باب الخليفتين[297]
5 . باب المجاهدية ، ويقال له باب الرحمة ، ويسمى الآن ، باب أجياد .
6 . باب مدرسة الشريف عجلان ، ويعرف بباب بني تيم
7 . باب أم هانئ رضي الله عنها ، ويُسمى باب الملاعبة ، ويُدعى باب أبي جهل .

والجهة الغربية من المسجد الحرام ، فيها ستة أبواب :
1 . باب الحزورة ، ويصحف الآن بباب عزورة ، ويسمى باب البغالية ، ويعرف بباب الوداع ، وبباب بني حكيم ، وبباب الزبير ، وبباب الحزامية .
2 . باب ابراهيم عليه السلام ، وهو الذي كثيراً ما ندخل منه أيامنا بمكة المشرفة
3 . باب الخوذى
4 . بابد مدرسة الشريف غالب
5 . باب مدرسة الداودية
6 . باب العمرة ، ويسمى باب بني سهم

---

(297) الخليفتين : الخليفة ، في «ب» و 44 .

وفي الجانب الشمالي من المسجد الحرام ثمانية أبواب :

1 . باب السدة ، ويعرف بباب عمرو بن العاص ، ويسمى باب ابن عتيق

2 . باب مدرسة الزمانية

3 . باب الباسطية ، ويسمى بباب العجلة

4 . باب القطبي ، ويسمى قديما بباب زيادة دار الندوة

5 . باب الزيادة ، وبهذا اشتهر اليوم وكان يُدعى باب سويقة

6 . باب المحكمة

7 . باب السليمانية

8 . باب الدريبة

هذا عدد أبواب المسجد الحرام من جهاته الأربع ، وهي المعتبرة وإن كانت أبواب المدارس التي حوله تعتبر أيضاً أبواباً عمومية لأنها نافذة من المسجد الحرام إلى الشوارع العمومية .

وأما منارات المسجد الحرام ، فهي سبعة ، كما ذكر شيخنا ﷺ وهي :

1 . منارة باب العمرة

2 . منارة باب السلام

3 . منارة باب علي

4 . منارة باب الوداع

5 . منارة باب الزيادة

6 . منارة السلطان قايتباي

7 . منارة السلطان سليمان خان

وقد أحببت أن أذكر أسماء أبواب المسجد الحرام ، وأسماء مناراته لإشارة شيخنا ﷺ في قوله ، إنه نسي أسماءها ، فتركها حتى تفضل الله بها ، ولا شك أن هذا من فضل الله عليه ﷺ ، لكوني من أتباعه والمرء في ميزانه أتباعه وأحمد الله تعالى حيث جعلني محل هذه الإشارة ، لأني لا أعلم أحداً من أتباعه ﷺ سبقني

لذكر أسمائها ، نرجوه تعالى أن يوفقنا ويرشدنا لما يحبه ويرضاه .

فائدة في بعض ما ورد في فضل الطواف وفي الأوقات التي تنبغي المثابرة على الطواف بها

فائدة . بعض ما ورد في فضل الطواف بالبيت الحرام ، وفي بعض الأوقات التي تنبغي المثابرة على الطواف فيها ، من ذلك ما أخرجه الواحدي عنه ﷺ ، أنه قال : «من طاف بالبيت سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وشرب من ماء زمزم ، غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت»[298] . وأخرج الأزرقي وغيره عنه ﷺ ، أنه قال ، «إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت ، أقبل يخوض في الرحمة ، فإذا دخله غمرته ، ثم لا يرفع قدماً ولا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة ، وحط عنه خمسمائة سيئة ، ورفعت له خمسمائة درجة ، فإذا فرغ من الطواف ، فصلى ركعتين في المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل ، واستقبله ملك على الركن ، وقال له : استأنف العمل فيما تستقبل ، فقد كفيت ما مضى ، وشفع في سبعين من أهل بيته» . وعنه ﷺ أنه قال : «لو أن الملائكة صافحت أحداً لصافحت الغازي في سبيل الله والبار بوالديه والطائف ببيت الله الحرام» ، وعنه ﷺ أنه قال : «إن الله تعالى يباهي بالطائفين ملائكته» . وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «أكرم سكان أهل السماء على الله ، الذين يطوفون حول عرشه ، وأكرم سكان أهل الأرض على الله ، الذين يطوفون حول بيته» . وعنه ﷺ أنه قال : «من صلى خلف المقام ركعتين ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وحشر يوم القيامة من الآمنين»[299] . ذكره القاضي عياض في الشفاء ، إلى غير

---

(298) الجامع الصغير ، حديث رقم 8834 .

(299) مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، حديث رقم 1047 ، الإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، ت ، د ، محمد بن لطفي الصباغ ، ط ، 2 ، المكتب المصري الحديث ، د ، ت .

ذلك مما هو كثير، وتنبغي المثابرة على الطواف بعد الصبح والعصر، لما رواه ابن عمر عنه ﷺ أنه قال: «طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه، وغفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت، طواف بعد الصبح، يكون فراغه عند طلوع الشمس، وطواف بعد العصر، يكون فراغة عند غروب الشمس، فقال رجل: «يا رسول الله، لمَ يُستحبُ هاتان الساعتان؟ قال: ساعتان لا تعدوهما الملائكة»، ومن الأوقات التي ينبغي الطواف فيها، وقت المطر، لما روى عنه ﷺ، فقد قال: «من طاف بالكعبة يوم المطر، كتب الله له بكل قطرة نصيبه حسنة، ومحا عنه بالأخرى سيئة»[300] وعن أبي عقال، قال: «طفت مع أنس ابن مالك رضي الله عنه في مطر[301]، فلما قضينا الطواف، أتينا المقام، فصلينا ركعتين ـ فقال لنا أنس: استأنفوا العمل، فقد غفر لكم ما مضى، ها كذا قال لنا رسول الله ﷺ، وطفنا معه في مطر». ومنها عند خلو المطاف، لأنه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له في سائر أقطار الأرض. وكذلك قال العلماء: لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها، فالخلاص أن يخلى له المطاف، فيطوف به وحده، قال جامعه، غفر الله له، وقدْ مَنَّ الله علينا بالطواف في هذه الأوقات المذكورة بعد الصبح والعصر، فكثيرا ما نطوف تلك الساعتين، بل لم يفتنا الطواف فيهما، ولله الحمد، أيامنا بمكة المشرفة، وأما ساعة المطر، فقد نزل علينا مطر في بعض أيامنا بمكة بعد العصر، ونحن نطوف ولله الحمد، ووقع ازدحام كبير في الحجر لرغبة الناس في الشرب من الماء الذي يصب فيه من ميزاب الرحمة، وكنا بحمد الله ممن شرب منه، وأما عند خلو المطاف، فبينما نحن نطوف يوماً في الازدحام إذ أقبل أصحاب الملك عبد العزيز، فدفعوا الناس عن المطاف، وردوهم إلى نواحي المسجد، وحاط عساكره بالبيت العتيق، فلم يبق به طائف إلا أنا، والشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين، فإنهم لم يتعرضوا لنا حتى أتممنا طوافنا، فالتفتُ إلى الشيخ، وقلتُ له:

---

(300) نفس المصدر حديث رقم، 1048، وارد بمعناه.

(301) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، ج، 2، ص 4-5-21، ط3، 1398/1987.

سبحان الله هذه خصوصية من الله تعالى ، فإنه ما على وجه الأرض الساعة من هو متلبس بهذه العبادة غيرنا ، نرجوه تعالى أن يتقبل أعمالنا ، ويوفقنا لصالح العمل ، ولا يكلنا إليه ، وبلغنا أن الملك عبد العزيز ، كان يطوف في جملة الناس بدون امتياز ، أعوام إمارته الأولى حتى غدره بعض الظلمة ، وهم مستلم الحجر الأسعد ، فضرب به بمكحلة حتى مست الرصاصة الحجر الأسعد ، فسلمه الله ببركة ذلك المقام الشريف ، ومن حينئذ صار لا يطوف إلا على هذه الهيئة التي ذكرنا ، خشية الغائلة .

مدة إقامتنا بمكة المشرفة

وقد كانت مدةُ إقامتنا بمكة المشرفة بعد أيامنا في الحج خمسة أيام ، فباعتبار أيام الحج ، وأيامنا فيها قبله ، تكون المدة سبعة عشر يوماً ، لأنا دخلناها صبيحة يوم الأحد فاتح ذي الحجة ، وخرجنا منها بعد صلاة العشاء ليلة الأربعاء الثامنة عشر من ذي الحجة ، نحمده تعالى حق حمده ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، على ما تفضل به علينا من حج بيته الحرام ، مشرق شمس سيد الأنام ،عليه أزكى الصلاة والسلام ، حيث دائما يتجلى الحق تعالي على الأنامْ ، بالرحمة والإحسان والإكرامْ ، ومغفرة الأوزار ، والأثامْ ونيْل سائر الآمال والمرامْ . فيا لها من بلدة من دخلها كان من الآمنين ، ومن نحا نحوها ، كان من الفائزين ، فهي قبله العابدين ، وغاية منية السابقين ، ومناخ همم العارفين ، ومحط آمال الراغبين ، نرجوه تعالى أن يسعدنا بها في سائر الدهور ، ويحفظنا من جميع الشرورْ وينيلنا جميع الخيور ، ويوفقنا لمرضاته في جميع الأمور ويختم لنا بالسعادة ، ويرزقنا الحسنى مع الزيادة ، نحن وبنينا وأحبتنا ، وأقاربنا وأشياخنا ، ومن علمنا ، وجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، وأن لا يجعل هذا آخر عهدنا بهذه البقاع الطاهرات ، والمشاهد المقدسات ، والحضارات المعظمات ويهدينا ، ويكون لنا في سائر الأماكن والأوقات .

قصيدة للشيخ مربيه ربه حسنة رتب
فيها مناسك الحج على سبيل الدعاء

وهذه قصيدة أنشدنيها سيدنا الشيخ مربيه ربه ، أنشأها لما فرغ من حجه أعزه الله ، وهي من أحسن ما يُقال في المعنى ، رتّب فيها مناسك الحج ، على سبيل الدُّعاء ، وهي :

[رجز]

الحمد لله الذي مَنْ حَجَّهُ
فضلاً عليه يُيَسّرُ عليه حجّهُ
رب ارْزُقَنّي حجّك المبْرُورَا
ولْتجعَلنْ سَعْينَا مَشكُورَا
رب اجْعَلني حَرماً مُعظَّما
يزورُ طَهَ ويحُجُّ الحَرَما
يا ربّ البيت وبالمناسكْ
فلْتَجعلنّي خيْرَ كُلِّ ناسِكْ
بحُرمَةِ الاحْرام قسْوِّ حَرمِي
واحْفَظْهُ واحْفظْ نسْبَتي وحُرَمي
ولتجعلنّ كُلّ من سَمِعَ بي
يُحرم لي منك بأعلى الرّغب
معتقداً ، ملبياً نحوي ، وهَبْ
على يدى لهُ جميعَ ما طلَبْ
وبالتَّنَظُّف والاغتسال
وركْعتَيه اصْلِحَنْ حَالي
لبّيك لبّيك ، ولا شَريكَ
لك ، وكُلّ الخيْرِ في يديْك
لبّيك والنّعمةُ والحمدُ لديْك
لبّيك لبّيك ولا لَكَ شريك

والبـــــــــسَنّي حُلَّـة الإكـــــرام
مــــــــدَى المدى بِمَلْبس الإحــــرام
بحــرمَــةِ الهــدْي ومـا اسـتـصـحـبَـه
أرجُــــو هُداهُ دائمــــا وقُــــربَــــه
بالاغـــتـــســـال لدخـــولِ مكّـــةِ
وبالدُّخُــــولِ من كَــــدا الثنيّـــةِ
حــــرِّمْ على النارِ بهـــــذا الحَـرمِ
ســــرِّي وظاهري ولَحْـــمي ودمِـــي
وبالـذي مـن دعـــوات الخـــيـــرِ
يُدعى هنـاك هبـــهُ لي بخـــيْـــــرِ
وبدخـــول البـــيت من باب الســـلام
وباسْـــتـــلام الحـــجـــر ارْزقْنا السَّـــلامْ
أنت السَّــــــلامُ ربَّنا منْك السَّـــلامْ
وحـــيِّنا اللهمَّ رب بالسَّـــــــلامْ
وبالطواف ودخــــول المســـجـــــد
وهْو التَّـــحـــيَّـــةُ لهُ فـــأيِّـــــــدِ
بكُلِّ تكبـــيـــر وتقـــبـــيل الحـــجـــرْ
أكـــونُ ممَّنْ لك حجَّ واعــــتَـــمَـــرْ
بالركـــــعـــــتين ربَّنا خلف المقـــامْ
كن لي وبالملتـــــزَمِ أرقَ المـــقــــامْ
وبالـذي مـن دعـــوات الخـــيْـــر
يُدعى هنـاك هبـــه لي بخـــيْـــــر
وبالوقـــوف بالصـــفــــا والمـــروَةِ
والسَّـــعْي قلبي امـــلأهُ بالمـــرُوَّةِ
وبالذِّكـــرِ والتَّكبِـــيـــرِ والـــهـــيْلَلَة
وبالصـــلاةِ لرَسُـــولِ الـــمِلَّة

وبالذي من دعوات الخير
يُدعى هناك هَبْه لي بخَير
بالخطبة الأولى بمكة التي
في الظهر من سابع شهر الحجة
قدّمْ لرُتبتي ولا تُسقطْهَا
لدرَجاتي ارفَعْ ولا تحطِطْهَا
وبالخروج لمنىً في الثامنِ
هَبْ لي المُنى في سائرِ المَواطِنِ
بالصلواتِ في وقتِهَا هُناكْ
ربِّ تفضّلن عليَّ برضاكْ
وبالذي من دعوَات الخير
يُدعَى هناك هَبْهُ لي بخَير
بحقِّ إحياءِ المبيتِ بمنىَ
أحْيِ مَوَاتي وارزُقَنّي المُنىَ
بالاغتسال لشهودِ عرَفَهْ
كوصفه بمكّة المشرفَهْ
وهوَ بلا ذَلكِ سألتُ المغفرهْ
لله فضلا لست عندي معذِرَهْ
بالقصر في الظُّهرَيْنِ والجمْعْ هناكْ
والخُطبتيْن لا تكلْنِي لسواكْ
هبْ لي بالوقوفِ عنْد عرفَاتْ
رضاكَ في الموقف واحْفظ من شَتَات
رب بذا اليوم ومَا أنزلتَ فيهْ
من رحمَةٍ وكلَّ أمْرٍ تصْطَفيهْ
أسألُكَ اللّهمَّ كُلاًّ ذي النِّعَمْ
أنتَ الذي تُعطي الأخَصَّ والأعَمْ

وبالذي من دَعوات الخير
يُدعَى هُناك هبّهُ لي بخير
بسرّ دفع الناس للمُزدلفة
بعدَ الغروب من وقُوف عرَفة
بالمأزمين وبحُرمَة المُرور
بينَهما أصلِحْ لنا كلَّ الأمُور
بالجمع والقصْر وحطِّ الرَّحلِ
وبالمبيت أغنني بالفضْلِ
وبوُقوف المشعرِ الحرام
فاغفرِ ذنوبي واعْفُ عن آثامي
وادْعُ به ولا تقف بالمشعر
قبل صلاة الصبح أو أن تُشْعِرِ
وبالّذي مِنْ دَعَوَات الخَيْرِ
يُدعَى هُنَاكَ هَبْهُ لي بخَيرِ
بالدّفع قُربَ ساعة الاسفار
وسر الإسْراعِ بواد النّار
يا ربّنا وحقِّ رمْي العقبة
سلِّمْ لنا من اقتحام العقبة
وسلِّمَنْ من عذاب النارِ
واحفظْ جميعنَا من الأشرارِ
بسرّ سرّ الرّمي يومَ النّحرِ
وحُرْمةِ الحلْق وحقّ النّحرِ
اذهِبْ جميعَ البأسِ والاضرار
عنا بلا بأسٍ ولا إضْرارِ
ولْتَدفَعَنْ عنّا جميعَ النِّقَم
واجْلبْ لنا بالخير كُلَّ النِّعَمِ

أوْزعْ لنا شكراً يُديمُ النِعْمتيْنِ
وبالإفاضةِ وسرِّ الرَّكْعتينِ
أفِضْ علينْنا من جميعِ الفضْلِ مَا
يغبِطُهُ ذو الفضْلِ منْك كَرَمَا
وبالرُّجوعِ لمنىً وبالمَبيتْ
بها اهْدنَا كُلَّ مقيلٍ ومبيتْ
هَبْ لي بأفضليةِ الإقامَهْ
بها إلى الإتْمامِ الاستقامَهْ
ربِّ برمْي الجمرتين والدُعا
إثرهما ورمي الأخرى أو سعَا
وبالذي من دعواتِ الخبرِ
يُدعى هُناك هبْهُ لي بخيرِ
وافْعَلْهُ في الثلثِ والرابعِ إنْ
شئْتَ بسرٍّ فعْله قنَا الفتَنْ
أكْمِلْ بسرِّ الحجِّ نُعماكَ علَيْ
إليْك ملْجَأُ الضَّعيفِ والقَويْ
ربِّ أعنِّي على إعانَهْ
أهْلِ العيالِ وأدِّ الأمانَهْ
عَنِّي تَجَاوزْ بِنُزُولِ الأبْطَحِ
وبِالطَّوافِ للْوَدَاعِ فاصْفَحِ
وبالخروجِ من كذا إلى زيا
رةِ النبي وصاحبيْه كُنْ لِيَا
يَا رَبِّ أسْأَلُكَ مَا سَأَلَهْ
نَبِيُّنَا الفَاضِلُ أفْضَلَهْ
كذاك ما سألَهُ أصحابُهْ
منْ كُلِّ خيْرٍ حبَّذَا أصْحَابُهْ

وإنني أســـــألُ كـلَّ مـــــا ســـــألْ
أســـتـــاذُنا لربِّنا عـــزَّ وجَــــــلْ
وكُـلُّ مَـــــا سَـــــألَـهُ نَـــــبِـيُّ
وَعَـــالِـمٌ وصَـــالِـحٌ وَلِـــــيُّ
وكلُّ مـــا ســـأله غـــيـــرُك لـــكْ
من كلِّ خـــيْـــرٍ وتـــسابيح مـــلكْ
ربُّ اعطنا مـــا طلبـــواْ وســـألـوْا
منْكَ افْـتـضـالا ، فـضلوا أوَ اجْـمـلُـوا
بـجـــاه جـــاهك وجَـــاهِ جَـــاهِ
مُـحـمَّـد الهـادي رسُـــولِ الله
علـيـــه أفـــضَل صـــلاةِ اللـه
مـــا دامَ مُلْـكـهُ بـلا تـنـاهــــي

كمل النصف الأول من الرحلة المعينية بحمد الله تعالى

ويتْلوه النصف الثاني بحول الله ، ذكر الخروج منْ مكة المشرفة إلى المدينة المنورة إن شاء الله .

النصف الثاني

استمرار الرحلة
من دخول المؤلف إلى المدينة المنورة
في 18 ذي الحجة 1357 هـ فبراير 1939م
إلى رجوعه إلى طنطان
في 29 محرم 1358 هـ مارس 1939م

بسم الله الرحمان الرحيم

خروجنا من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارته ﷺ

ثم لما كانت ليلة الأربعاء الثامنة عشر من ذي الحجة الحرام ، بعد أن صلينا المغرب والعشاء ، بمسجد الله الحرام ، طفنا ببيت الله الحرام طواف الوداع ، وتضلعنا من ماء زمزم بحمد ال لمه ثم رجعنا للحجر الأسود واستلمناه وقبلناه ودعونا عند الملتزم على الهيأة المأثورة ، وهي أن يلصق القائم بين الباب والحجر صدره بالبيت ويمد يده اليمنى لجهة باب البيت ، ويده اليسرى إلى جهة الحجر ، نرجوه تعالى نيل الفوز والظفر ، وقضاء كل مأرب ووطر ، بجاه كل من حج واعتمر ، ثم خرجنا من باب الوداع ، لاَعَجّله الله آخر عهدنا بتلك البقاع الطاهرات الطيبات المباركات ، ثم ركبنا السيارة من وقتنا متوجهين إلى المدينة المنورة لزيارته ﷺ ، فسرنا ليلتنا حتى بارحنا مكة المشرفة ، فنزلنا وبتنا فيها وبين جدة ، فركبنا صباحاً ، ووصلنا جدة ضحى يوم الأربعاء ، ونزلنا بها إلى قرب الزوال ، ثم ركبنا ، فلما بلغنا كراع الغميم ، غاصت السيارة في خضخاض هناك ، وفسد من آلتها ما عاقها عن الجري ، فنزل وفدنا ، وحملوا الشيخ مربيه ربه على أيديهم حتى جاوزوا به أماكن الطين والماء ، وتفرق أهل السيارة في ذلك الموضع لطلب الظل للمقيل ، وأظلّت أصحابنا على الشيخ بأرديتهم ، وممن باشر ذلك ابن أخيه السيد بوي بن الشيخ حسنٍ ، فإن الشيخ اضطجع على فخذه وأظلّهُ بردائه ، فنام عليه حتى استراح ، وأخبرني السيد بوي أنه نال بتلك الضجعة التي رأس الشيخ فيها على فخذه ما يحمد الله عليه من الفتوحات ظاهراً وباطنا ، وظهرت له أوائل ذلك من تلك الساعة ولم تزل تزداد ، ولله الحمد ، ثم ركب الشيخ محمد الإمام على سيارة أخرى مرت بنا حتى وصل محطة أمامنا ، فرجع لنا بسيارة صالحة ، فركبناها وقت الغروب حتى وصلنا المحطة التي قرْب رابغ ، فبتنا هناك ، وركبنا صباحاً فوافينا رابغاً ضحوة الخميس ، فنزلنا فيه قليلا ، ثم ركبنا لوجهتنا بعد الاستراحة فيه .

وقد كانت بين المدينة المنورة ومكة المشرفة مناخات ومحلات معدة للاستراحة وللأكل والشرب لمن شاء ذلك من الحجاج ، وربما استرحنا في بعضها ، وأكثر من يعمر تلك المحلات أهل البدو ، وهم الأعراب المتوطنون الحرم الشرف ، وجُلهم عاميون ، لا معرفة لهم بالعلم ، بل عامٌ فيهم الجهل ، إلا أن اللسان الربي سجية فيهم ، فيتكلمون به عن فصاحة كثيراً بالطبيعة رجالا ونساءً وصبياناً ، فمن ذلك أني سألت في بعض المحلات صبيا صغيرا عن بئر بإزائنا ، وحذاءها آبار أُخَر ، ما اسمُها فقال لي : أيّة بئر ، بهذا اللفظ ، فتعجبتُ من تأنيثه للبئر وإلحاقه تاء التأنيث بأية ، وذلك مخالف لما عليه أهل اللغة الدّارجة اليوم ، لأنهم يذكرون البير ، ولا يلحقون التاء بأي في التأنيث ، وإنما تكلم الصبيُّ باللغة الفصحى على الطبيعة . قال تعالى : «وبئر مُعطلة»[302] وقال الشاعر :

[الطويل]

بأي كتـــاب أم بأيّة سُنـــةٍ
ترى حبَّـهم عـاراً عليَّ وتحسب

وهذا نمط كلامهم غالباً . وأحوالهم في لباسهم ، وإكرامهم للأضياف وكسبُهمْ للأنعام قريبة من حال بلادنا وبواديهم في أرض الشناجطة ، إلا أن بوادينا فيها الزوايا[303] الكثيرون المعتنون بالعلم ، وعلماؤها مشهورون ، وقلما تفارقهم المدارس المشحونة بطلبة العلم ، وبلاد المشارقة ليس أهلها كذلك ، وإنما يعتني بالعلم في بلاد المشارقة أهل الحاضرة فقط ، فأهل بواديهم يشبهون حسان[304] واللحمة[305] من أهل

---

(302) سورة الحج ، آية 54 .

(303) الزوايا : تجمع قبلي صحراوي يختص بالعلم والتربية مثل ، إداو علي وتشمشة ، وغيرهما .

(304) حسان : تجمع قبلي صحراوي يختص بحمل السلاح .

(305) اللحمة : تجمع قبلي صحراوي يختص بتنمية الموارد الاقتصادية .

بوادينا في عدم التعلم ، ونساؤهم يلبسن الثياب السود غالباً كنساء بلادنا . ولا تجدهُنَّ إلا مستترات غير متبرجات ، ويستوي في ذلك أهل الثروة منهن والفاقة ، لأنا رأيناهُنَّ يسألن الصدقة لفاقتهن ، وهن على ذلك الحال ، وقد كن يتعرضن لنا ومعهن الصبيان ، فيقفن هنَّ والصبيان بإزاء طريق السيارة حتى تمر بهم سائرة . فيقولون : ارم يا حاج ، ارم يا حاج ، يطلبون ما يُرمى لهم من الصدقة ، وكانت الحجاج ترمي لهم الدراهم والخبز ، والتمر ، ونحو ذلك مما تيسر ، ولم نزل يومنا هذا نرمي لهم كلما تعرضوا لنا ، كلٌّ يرمي لهم ما أمكنه .

أبيات بين الشيخ محمد الإمام وجامع الرحلة في الحث على الصدقة

فرأى الشيخ محمد الإمام ابن شيخنا الشيخ ماء العينين جماعتنا وكأنها مسها ملل من الرمي لهم فقال لهم بديهة :

أحُجَّاج بيتِ الله ويْحَكُموا فارْمُوا

فاستجاز جامعه ما العينين ، فقلت بديهة :

ليُمحَي بما تَرْمونَه عنكمُ الجُرْمُ

فقال الشيخ محمد الإمام :

[الطويل]

فمن رامَ بذْرَ الأجْر هذا محَلُّهُ
ولا عُذْرَ إلا حيثُ يمْنَعُكَ العُدْمُ

فقال ما العينين :

على أنه لا عُدْمَ إن جِئت هَاهُنَا
ولا يُدْرِك المَعنَى سِوى منْ لهُ فَهْمُ

فما زالت الجماعة ترمي بالصدقات جُهدها ، لمن تعرض لنا من السائلين حتى

انقطعوا عنا بإقبال الليل ، فبتنا تلك الليلة ، وهي ليلة الجمعة في بعض المحلات القريبة من المدينة المنورة ، وكانت طريقنا هذه في السيارة على ساحل البحر ، وهي طريقه ﷺ ، في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة ، ثم ركبنا صبيحة يوم الجمعة ، ونزلنا ضحى بذي الحليفة عند بئر علي كرم الله وجهه بمحلة هناك ، حتى توضّأنا ، وأصلحنا شؤوننا ، ولبسنا فاخرَ ثيابنا ، لأن من السنة لداخل المدينة أن يتطيب ويلبس فاخر ثيابه ، فركبنا وقد فاضت العبراتُ وتوالت الزّفرات وطاشت العقولْ وشمرت الذيو ، وانتعشت الأرواح والأفكار ، وانبعثت الأسماع والأبصار واستولت على النفوس الأفراح المزدادة ، حتى أخرجتها عن مألوفاتها المعتادة ، لما سطعت أضواء المدينة المنورة وأشرقت ديارها بنوره ﷺ ساطعة وتلألأت خلال المدينة الغراء سواطعُ القبّة الخضراء ، وحللنا ساحة تلك البقاع الطاهرات المؤذنة بالتقديس ، فكنا على الصفة التي ذكرنا بهذا التخميس :

[الطويل]

بقاعُ بأرواح المحبِّن جَأجَاتْ
فلما استبانتها الجسوم تشاْتأت
ودانَتْ لها هَاماتُها وتطَأطَاتْ
(هُنالك خضراءُ القبابِ تلألأتْ
بها زُفرف الأنوار لألأؤه ازْدَهَرْ)
وذا مسْجدُ الهادي محَلُّ التذاذة
بتَوضيح منْهاج الهُدى واتخاذِه
وتيك مغَاني نَشْرهُ ونفاذه
وذاكَ قُباء والبَقيعُ وهَذِهِ
قِبابُ أهالِهِ الجَهَابذَةُ الغُرَرْ)
فكم مدمع من خشية الله ساكِبِ
هنَاكَ وكم مَاشٍ إليْها وراَكِبِ
وكابِ لديْها لازْدحام المناكِبِ
(فلَيْتَ مطايا الوَهمِ كانتْ مراكِبِ

إليها أو الأرواحُ تخدي أو الفكَرْ)
فلَم أنتَجعْ إلا فيوض سحابِهَا
ولُبّي مرهُونٌ بأيدي صحَابِهَا
فيا لائماً نَفسي لطُول انتحابِها
(إذا ما حططنا الرَّحْلَ بين رحابِها[306]
ودَاخَلَنَا ذُهْلُ المُلاقاةِ والحَيَرْ)
ومسَّتْ على ما ضاعَ منَّا ندامَةٌ
وخامَرَتِ الأوصالَ منَّا مُدامَةٌ
ولاحَتْ لميقاتِ الوصَالِ علامَةٌ
(فلا ليَ، لا لي عليَّ ملامَةٌ
فحَالَةُ مرْءٍ فاقدِ اللُّبِّ تُغْتَفَرْ)[307]

دخولنا المدينة المنورة

فدخلنا المدينة المنورة بحمد الله قيلولة يوم الجمعة الموفي عشرين من شهر ذي الحجة الحرام ، فتلقى لنا عند باب المدينة المنورة السيد محمد عبد الله بن الشيخ محمد الخضر بن مايابي الجكني ومن معه من الإخوان والموارد من الشناجطة الساكنين هناك وسلموا على سيادة الشيخ مربيه ربه وسائر الوفد ورحبوا وأظهروا غاية السرور بقدمنا ، ولهم أيام ، كل يوم يظلون بباب المدينة المنورة في انتظارنا خشية أن ندخلها بغير علمهم ، ثم سار ابن الشيخ محمد الخضر بأمتعتنا إلى داره لننزل فيها .

(306) رحابها : قبابها ، في المعسول ، ج ، 4 ص 223 .

(307) الأبيات الموضوعة بين قوسين في هذا الجزء من القصيدة هي في الأصل من رائية الشيخ أحمد الهيبة في مدح الرسول ﷺ ، وقد خمسها الشاعر ابن العتيق كما خمسها الشاعر السوسي الطاهر الأفراني .

وركب الشيخ مربيه ربه وأخوه الشيخ محمد الإمام وجامع الرحلة ما العينين عربية ، وهي الآلة التي يركب فيها ، وتجرها الخيل والبغال ، قاصدين إلى الروضة الشريفة ، وعندما هيأوا لنا أعرض جامعه عفا الله عنه عن ركوبها مع الشيخين ، تواضعاً لمدينته ﷺ ، ورغبة في المشي إليه على الرجلين ، فقال الشيخ محمد الإمام : إنما الأدب في ركوبك معنا ، لأن هذه تكرمة لنا من رسول الله ﷺ ، بعثها لنا بباب مدينته المنورة ، ولا ينبغي رد تكرمته ، فعلمتُ أن ما قاله أبلغ وأرفع مقاماً في الأدب ، وركبنا حتى وصلنا المسجد النبوي ، فدخلناه بحمد الله من باب السلام ، وصلينا فيه تحيته ، فقمنا إلى محل المواجهة الكريمة من القبر الشريف .

أبيات أنشأها جامع الرحلة عند زيارته صلى الله عليه سلم

[الخفيف]

فحططْنا الرحالَ حيث يحط
الوزر عنّا وتُرْفعُ الحوجاء
وقرأنا السلام أكْرَمَ خلْقِ الـ
لَه من حيْثِ يُسْمَعُ الإقراء
وذُهلنا عند اللِّقَاء وكَمْ ، أذْ
هلَ صبّاً منَ الحبيب لِقاءُ
ووجمْنا من المهابة حتَّى
لا كلام منّا ولا إيماءُ

ونحمده تعالى على ما فتحَ علينا به في ذلك المشهد الأعظم من السلام عليه ﷺ ، والاستغفار والتضرع والابتهال والدُّعاء لنا ولأهلنا وإخواننا وعامة المسلمين ، ثم انحرفنا إلى مسامتة قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فسلمنا عليه ، ثم إلى مُسامتة قبر عمر الفاروق رضي الله عنه ، فسلمنا عليه أيضاً ، ودعونا الله بما المرجو منه تعالى إجابته ،

وجادت القريحة حيث أكرمنا تعالى بزيارته ﷺ بهذه الأبيات :

[البسيط]

الحمد لله إذْ لم يأتني أجلي
حتّى أنختُ بباب المصطفى جَمَلي
ظلمْتُ نفسي ، وإذْ جئتُ الرّسول فقد
أيقَنتُ بالفضْل أن الله يغفرُ لي
ومن يجئك رسُول الله مُرتجياً
يجدْ ببابك أقصى السُّؤْلِ والأمَل
أنا العَليلُ وما الشّافي سِوَاكَ لِما
أخافُه في كلا الحالَيْنِ من عِلَلِ

ثم جلسنا في المسجد لانتظار صلاة الجمعة حتى صليناها ، ثم قمنا لزيارته ﷺ أيضاً ، فلم يمكنا بلوغ المواجهة الشريفة لقوة الازدحام وكثرة الزائرين ، فقرأناه صلى الله عليه والسلام بحمد الله من حيث أمكننا الوقوف ، ورأينا أن الأدب في عدم مزاحمة الناس هناك ، وأنشأتُ حين فرغنا من الزيارة بيتين وهما :

[الكامل]

زرْ حيث ما استطعتَ النبيَّ مُواجِهاً
فهواطلُ الرَّحمات ثَمَّ غزارُ
ودعِ الزِّحام إذا خشَيْتَ إذايةً
فبِقاعُ طيْبَةَ كلُّهُنَّ مَزارُ

زيارتنا لأهل البقيع رحمهم الله

ثم بعد صلاتنا للعصر بالمسجد النبوي ، وزيارتنا منه ﷺ يوم الجمعة المذكور ، خرجنا لزيارة أهل البقيع ، فبدأنا بزيارة فاطمة الزهراء بنته ﷺ وبضعته ، ومعها عمها العباس بن عبد المطلب ، فسلمنا عليهما ، ودعونا عندهما ، وقد كان قبراهما رضي الله عنهما في قبة ، فهدمتْ في جُملة القباب التي هدمتها الحكومة السعودية

بعد استيلائها على الحرم عام 1343 ، ثم ملنا إلى قبور بناته ﷺ الأخَر ، وقد كنّ أيضاً في قبة فهدمت كسائر قباب البقيع ، ثم زرنا قبر زوجاته ﷺ ، وقد كنّ في قبة أيضاً ، فهدمت ، ثم زرنا قبر ولده ﷺ إبراهيم ، وقد كان منفردا في قبة ، فهدمت ، ثم زرنا قبري الإمام مالك بن أنس وأبي رُوَيم شيخ القراء نافع ، وقد كانا في قبة فهُدمت أيضاً ثم سرنا لزيارة قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه بجانب البقيع الشرقي ، وقد كان منفردا في قبة ، فهدمتْ كغيرها ، فلما هُدمت هذه القباب المذكورة ، بقيت القبور التي كانت وسطها في وسط دوائر من الحجارة ، موضوعة على أساس القباب مرتفعة على الأرض قدر شبر ، ولم يرتفع معها غيرها ، كما لا يسمح بدفن أحد معها في سالف الزمن ، لكن كل من مات من المسلمين هناك ، يدفن في عامة البقيع ، ثم زرنا عامة أهل البقيع ، خصوصاً من عرفنا مبرة منهم ، كالشيخ أحمد ابن الشمس مريد شيخنا الشيخ ماء العينين ونحوه ، ودعونا الله هناك ، واستغفرنا لهم ولأنفسنا ووالدينا وأشياخنا ، وأحبابنا وإخواننا المسلمين الأحياء منهم والأموات ، والحمد لله على جميع النعمات ، وعلى زيارة هذه البقاع الطاهرات ، نرجوه تعالى من فضله مضاعفة الحسنات ، ورفع الدرجات وغفران السيئات .

زيارتنا لشهداء أحد ومسيرتنا لزيارة مسجد قباء

ثم بعد قدومنا بيومين ، خرجنا لزيارة عمّه ﷺ ، سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، رضي الله تعالى عنه وسائر شهداء أحُد ، رضي الله عنهم في سفح جبل أحُد وقد كان قبر حمزة رضي الله عنه منفردا في قبة ، فهدمتها الحكومة السعودية كسائر القباب ، وأما الشهداء ، فقبورهم في حائط مدور عليهم ، ارتفاعه على الأرض قدر أربعة أذرع ، ثم سلمنا على الجميع ، وتبركنا بتلك المشاهد الخيْرية ، وطلعنا مع سفح أحُد إلى الصخرة التي رُوي أنه ﷺ طلع عليها يوم أحد في شعبة هناك ، للتبرك بآثاره ﷺ ، والدعاء بها ، ثم انقلبنا فسرنا لزيارة مسجد قباء الذي أسس على التقوى ، وورد عنه ﷺ أنه قال فيه : «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» فصلينا فيه ما شاء الله بحمد الله ، وحوله بئر أريس ، وهي التي سقط فيها خاتمه ﷺ من يد

عثمان ﷺ عند أيام خلافته ، وهي التي جلس عليها ﷺ ، وكان أبو موسى الأشعري بوابَه ، فجاء عثمان ﷺ ، فأذن له ، فبشره بالجنة ، وكذلك عمر ﷺ ، وكذلك عثمان ﷺ على بلوى تصيبه ، الحديث المشهور ، فشربنا بحمد الله من تلك البير ، ودعونا الله عندها وعند مسجد قباء ، ورجعنا إلى المدينة المنورة ، وبينها وبين قباء قدر سير ساعتين .

تنبيه في ذكر تخميسنا لمديحية الشيخ أحمد الهيبة [وتاريخ وفاته وذكر التخميس تماماً في مدحه ﷺ

تنبيه ، قد قدمنا شعراً عن تخميسنا لقصيدة العلامة الأستاذ الإمام الشيخ أحمد الهيبة[1] ابن شيخنا الشيخ ماء العينين عند ذكر إشرافنا على المدينة المنورة ، وهي قصيدة[2] شوقية رائعة بديعة تدل على غزارة علمه وبراعة بلاغه ، وشدة محبته له ﷺ . وقد أنشأها ﷺ قبل وفاته بقليل ، ومن الله على جامع الرحلة ما العينين بن العتيق بأن خمسها عام 1337 ، وهو عام وفاة الشيخ أحمد الهيبة ، ولا شك أنه

(1) الشيخ أحمد الهيبة ، ولد سنة 1294 هـ 1875م ، بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين تولى قيادة حركة المقاومة في الجنوب ، فحاول التصدي للقوات الفرنسية في الحوز وسوس وغيرهما من الأقاليم المغربية الجنوبية ، لكن ضعف إمكاناته المادية لم تمكنه من تحقيق طموحاته الوطنية ، توفي بكردوس سنة 1919 .

خلف ديوان شعر وبعض الفتاوي الفقهية .

أنظر : سحر البيان ، و ، 128- الأبحر المعينية ، و ، 2 ص 14 .

الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، ج ، 2 ص 472 ديوان الشيخ أحمد الهيبة ، جمع وتحقيق محمد الظريف .

(2) قصيدة في مدح الرسول ﷺ مطلعها :

كففت انسجام الدمع فانهل وانتشر وعاد عقيقاً بعدما كان كالدُّرَر

وخمسها الطاهر الافراني ، كما خمسها جامع الرحلة ، أنظر : المعسول ، ج ، 4 ، ص ، 222 .

أنشأها قبل هدم قباب البقيع المذكورة بأعوام لأنه توفي قبله فلذلك قال فيما قدمنا من التخميس :

[الطويل]

وذاكَ قُبـاءُ والبقيعُ وهـذه
قبابُ أهاليه الجهابذةُ الغُرَرْ

ولا بأس بإثبات قصيدته ﷺ ، مع تخميسنا إياها بهذه الرحلة ، لما اشتمل عليه الجميع من أمداحه ﷺ ، ومعجزاته وسيرته ، ومدْح صحابته رضي الله عنهم ، نرجوه تعالى أن يتقبل منا ويتجاوز عنا ، ويشفعه ﷺ فينا بفضله وكرمه ـ وقد اجتهدتُ في مطابقة وارتباط معاني التخميس وألفاظه بمعاني القصيدة وألفاظها في أوائل أبياتها وأواخرها ، ومن تدبر ذلك يجده كذلك ، إن شاء الله ، فقلتُ غفر الله لي ما قلتُ وما فعلتُ :

[الطويل]

سرى الوجدُ خلْفَ الدّمع من مقتلي فدَرْ
بمنسجم كـالُدرّ من سلكه انحدَرْ
فلمّا لحاني من علَى ولَهي عَثَرْ
(كفكفتُ انسجَامَ الدّمْع فانهلّ وانتثرْ[3]
وعادَ عقيقاً بعْدمَا كان كَالدّرَرْ)
ونبّـهَ صُبْحُ البيْنِ لَما تَنَفّسَ
ساقِيَ لي من خمْرةِ الوصْلِ نُعّسَا
فعادَ ارتِياحي في لعَلّ وفي عَسى
(وأُبدلَ منّي منْ جَوَى البيْن والأسا
سُباتُ الكَرى والنّوم بالسُّهْدِ والسّهرْ)

(3) لحاني : لامني .

فـبتُّ وبي مـا ليْس يُسْتطاعُ دفْـعُـهُ
وطرفيَ مـخْـفـوضٌ على الخدّ دمْـعُــهُ
وجنْنيَ مـرْفُـوعٌ على النّصْبِ وضْـعُــه
(وجَـفْنيَ مـبْنيٌّ على الفـتح رفْـعُـهُ
ولا يتأتّى فيه ضمٌ وما انكسَرْ)
وقـد ضلّ لُبي في الهـوى فنشَـدْتُــهُ
ولي خَـبَـرٌ مـذْ غـابَ عنْهُ وجـدْتُـه
فكيفَ أصُـونُ الدّمْعَ ، هبْني ردَدْتُـهُ
(وقـدْ كـان لي لُبٌّ مـصُـونٌ فـقـدْتُهُ
فيا ليْتَ شعري أيْنَ سار وما الخبَرْ؟)
لئنْ كـانَ لُبِّي في سـبـيل الهَـوى غـوى
فـمَـا منْ شـرُودٍ منْهُ إلا بـهِ ثـوَى
فـقُل للألى لم يعْـرفُـوا دَرجَ الهـوى
(هلُمُّوا ، اقْـرءُوا مـا الحبُّ منّي ومـا الجـوى
وما العشْقَ ما أحْلَى الجميعَ وما أمَرْ)
فكَمْ مُـدَّعٍ بـالحبِّ يومـاً تلفظَا
ولمّا يَمـزْ منَ الصّـمـيم من الشّظَى
وَمَـا الحبُّ إلا مـا تثلجَ والْتظَـى
(فـيـثْلجُ مـا بالمسـتـهـام منَ اللّظـى
ويوقد في إثْلاجهِ من لظَى سقَرْ)[4]
وأمّا الجَـوى فـالحقْفُ في القلْبِ مكْتـمنْ
وللْعِـشقِ دَاءٌ لا دواءَ بـهِ قَـمـنْ

(4) إثلاجه : أضلاعه ، في المعسول .

ولـم يـنـج مـنْ زمْـنـاهُ زَمـن زَمــــــــنْ
فَـسـيَّانَ فـيـه القُـرْبُ والبُـعْـدُ وهْوَ مــــنْ[5]
خَفِي الخفا أخْفا وأظهَرُ ما ظَهَرْ)
فـفـيـم مـلاَمي فـيــه إن كُنتُ ثانـــيـا
إليْـــه لمَـــا مُنه عناني عِنَانيـــاَ
وقــدْ طالَ في تيـــهَـــائه هيَـــمَـــانيـــاَ
(أهيمُ إذا مـــا شـــمْتُ برْقـــاً يَمـــانيـا
وإن ماسَت الأغصانُ في نسمَ السَّحَر)
أوَ أبْصَـــرْتُ بالدُورِ اللُّوائي تطمـــسَـتْ
وآرامُـــــهَــــا بين البطاح تـكَـنُـسَـتْ[6]
تناويرَ زهْرِ النجْم مـــهْـــمَـــا تودَّسَـــتْ
(وتوْ قـــادَ أضْـــواء النجـــوم إذا رسَـــتْ[7]
أوَ اظْلمَ ليْلُ العاشقِينَ أو اعــتَكَرْ)
وأدْعُـــو نُحـــاة الحبُ هل كـــان مُـــعـــرباً
يُـسَلِّمُني جــمْــعــا فـمن يوْم أُشْـــرِبــَا
هوَى الشـــرْقُ قلبـــاً لي فــشـــرُقَ مُـــغْـربَاً
(تغْـــرَّبَ جِـــسْـــمي في التَّـــوَلُه مُـــغْـــرِبا
وغرْبُ جُفُوني بالَّدم انْهلَّ وانْهَمَرْ)
فـــمـــا أنا إلا مُـــفْـــردٌ مُـــتَـــفـــرَّقُ
وإنْ أنا في جـــمْـع الحـــبِّين مُـــفْــــرقُ
فـحـتَّى مـتي بالغَـرْبِ جِـسْـمي يعْـرقُ
(وقلْبِيَ بالشْـــرقِ الحِـــجـــازيَّ مُـــشْـــرقُ

(5) زمناه : بليته (زمن) لسان العرب .

(6) تطمست : اختفت معالمها .

تكنست : دخلت في الكناس ، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تستكن فيه من الحر .

(7) تودست : تغطت بالنبات .

فهلْ لهُمَا جمْعٌ ولوْ جُمعا انكَسَرْ)

أبَى القلبُ إلاّ عندَ طيــبَــة يــَنْزلُ

وعن غــيْــر مــغْنَاها لهُ الدّهْرَ مــعْــزِلُ

فــدَعْني لَهَــا من نائلِ الدّمع أجــْزلُ

(لئنْ شاقَ مشْتاقاً إلى البيضِ منــْزلُ

فشوْقي على الخضْرِ المطيبَة انْحَصَرْ)

لَعَمْرُكَ ما شوقي لِدَعْد ومهْدَد

وسُعْدَى ولأرْبُع لهُنّ ومعْهَد[8]

ولا أنشني للدَّلّ منْهُنّ والدُّد

(وقدْ شاقَني ذكْرُ الحبيبِ مُحمّد[9]

إذَا اشتَاقَ أقْوامٌ إلى الدّلّ والخفَرْ)

وإنْ جنَحُوا للْمنْتَدى ومعيشه

وسالف سَلْسال الصّبَا وحديثه

جنَحْتُ إلَى غَوْثِ الورَى ومُغيثهُ

(وَقَدْ شَاقَنِي لألاءُ ذكْرِ حَديثه

إذا اشتاقَ قومٌ للثغورِ وللأشَرْ)[10]

وإنْ بكَرُا للْهُو في أرضِ ميْثهمْ

ولمْ يَدعوا مِنْ جزْلِهمْ وغشيشِهِم[11]

عدَلْتُ إليْه عنْ سُلوكِ حديثهمْ

(وإنْ سَمَروُا في أنسهِم وحديثهم

فسيرَتُهُ عنْدي التحدثُ والسَّمَر)

---

(8) أربع : ج : ربع .

(9) الدل : الغنج والشكل . (دلل) ، لسان العرب .

الدد : اللهو واللعب (ددا) ، لسان العرب .

(10) الأشر : حدة الأسنان واستواؤها (أشر) ، نفس المصدر .

(11) ميثهم : الأرض الميثاء ، اللينة من غير رمل ، (ميث) ، لسان العرب .

وإن سهروا في الخوْضِ في غمْرِ بشْرهِمُ
وما ضاع في الأرْجاء منْ طيبِ نشْرهِم
سبَحْتُ بغمْرِ منهُ يُزري بغمْرهِمْ
(وإنْ سكِرُوا بالشُّرب من راح خَمْرهِمْ
فراحُ حُمَيّا حُبِّه الشُّربُ والسُّكَرْ)
فلَمْ اسْتَفِقْ في الحُبِّ من تيهِ سُكْرهِ
ولا تيه ناءِ الوَكْرِ يَشدوا بوكْرهِ
ولَم أكْثَرتْ إلا بمَعْسولِ شكْرهِ
(فعلّلْ ودنْدنْ باسمه وبذِكرِهِ
وروِّحْ وجانبْ في تدنْدُنك الحَفَرْ)
بمَنْ لمْ أكنْ إلا به مُتَعَلِّقاً
ولمْ أشِم الاّ برْقَهُ المتألِّقَا
ومقْودُ عقلي في الهوَى منهُ أطلقَا
(فلا لوْمَ لي إنْ هِمْتُ شوْقا إلى الّقا
وإن غابَ عقْلي عندَ ذلك أو حَضَرْ)
فطوبَى لمَنْ ذكْراهُ تسرى بفكرهِ
ليامَنَ منْ غدْرِ الزّمانِ ومكْرهِ
ويحْظَى بتفْريع المقام وعكْرهِ
(هُناكَ يَتيهُ التّائهونَ بذِكرهِ
وترميهمُ نارُ المحبّةِ بالشّرَرْ)
به الله أعْلَى الكَوْنَ لمّا تدَهْدَهَا
فَهَبّتْ لهُ بِشْراً شوَاديهِ مُدَّهَا[12]
فللهُ وجْهُ منهُ لاحَ مُمدَّهَا
(به ازدانت الدنيا ، به البشْرُ ازْدَهى

(12) تدهدها : تدحرج : انحدر من علو إلى أسفل ، لسان العرب (دهده)

ـ مُدها : مادحة ، لسان العرب (مده) .

متَى كانَ في الدنيا ، متى كانَ منْ بشرْ؟)

تجلّتْ فــــجَلّتْ كُلّ طوْلٍ وعـــيْلَــةٍ

بهِ ليْلَةٌ ريعَتْ لهَـــا كُلُّ دولَــــةِ[13]

فـيَـا ليْلةً آنَسَتْ بِبُــشْــرايَ ونِلتــي

(ويا ليْلةَ الميــلاد ، يا خــيْــرَ ليْــلةٍ

بك ازدانَتِ الدُنيا ، بك الدينُ قد زَهَــرْ)

بأُمّ القــرَى حــيث المواقــيتُ صُلّــيَتْ

وحــيْثُ المغـــانَي بالدِّيانة مُليَــــتْ

وحــيثُ علَى مـــوْلودِكَ الآيُ أُمْليتْ

(تحلّيْت بالموْلودِ فــــيك ، وحُلّيَـــتْ

جيودُ اللّيالي من حلِيّك بالنّضرْ)

وحـلّ ربيعٌ مـن حــــــلاك بـأرفَــــع

مَــراقي العُلى بالمسْــتــهلّ المشــفّــعِ

فــأنت مَــرعي و ارْتبــاعي ومــرتعي

(وأنتَ رَبيــــعي يا ربيعُ ومـــــرْتَعــي

بموْلودكَ الأسْمَى اسْتدامَ لنا البُشر)

وإن تفْــتــخــرْ يوْمــاً قــريشٌ وتصطَعــدْ

بموْلودِهَا تعْنُوا الرِّقَـــابُ وتَرْتَعِــدْ[14]

فــمَنْ ذا يبــاريهَـــا بماذا ليستَـــنِــدْ

(ألم يَكُ خــيْــرَ الخلْق تاللّه لم تلِــدْ[15]

شبيهاً لهُ أنثى يميناً ولاَ ذَكَــرْ)

---

(13) الطول : الغنى ، لسان العرب (طول)

العيلة : الفقر ، لسان العرب (عيل)

(14) تصطعد : تفتخر .

(15) ألم يك : أما كان ، في المعسول

بلَى إنه الفـــردُ المعـــاد بُجنحـــــه
وما انْشقَ فـجْــرُ الكَونِ إلاَ بصُــبــحِـهِ
ومـــا منْ جــوادٍ يدّعي شـأوَ سَبْـحِــه
(ومنْ يدّعي من مــادح حـصْـرَ مَـدْحِـهِ
فبالصُقْر امتاز ادّعاءً وبالبُقْرْ)[16]
فـهيْـهـاتَ يُحصَى مدْح من قطُ مـا بَرى
لهُ الله شَكْلا في سَــمــاء ولا بَـرَى[17]
فــدُونَكَ قطْمــاً منه في الدّهرِ نُـوَّرَا
(فـإنْ شـئتَ إجـمـالا فـفـيـه عنِ الورَى
لقَدْ حصر الفضْل المهيْمن فانْحَصَرْ)
وإن شـئتَ تفْصــيـلاً فيُـغْـيِيكَ سـبْـرُهُ
ومَـــواجُــــهُ الطّامي يَؤودك عــــبْــرُهُ
ومنْ أينَ لا يثْني مــقــاســيــه حـصْـره
(وتفـصــيلُه يُعْـيِي الألبّــاءَ حـصْـرُهُ
ألَمْ يكْفِ ما تاتي به الآيُ والسُور)
بلَى قــدْهُ مــدْحــاً مــا به الآي جـاءَت
فـــمــــاذا بـه يُثْني علـيــــه وراءتـــي
ومَنْ ذا على اســتنبــاطِهَــا ذو جَــراءة
(ألَهْلَ الثَنا فـــأتوا بِمـــثْل بــَراءَة
وفاتحَة والفتح والنّجْم والزُمَرْ)
أو ايـــويطهَ والدُّخـــان وفُــصَّلَـــتْ
وآياتهن اللاء فـــيـــهنْ فُـــصــلَتْ

(16) الصقر والبقر : الكذب الصريح ،لسان العرب(صقر) . .

(17) برى : خلق .

أو الكهْف والشُّورى ونونٍ وزُلزِلَتْ
(أوإيتو بإحدى الآيِ والآيُ أُنزلَتْ
عَلَيْه ، فَهلْ من بَعْدِ ذلك مفتَخَر)
هُناكَ ثناءُ للمجيدين شرْعةٌ
وما لهُمْ إلا بمرْعاهُ نُجْحَةٌ
وقد غمَرتْهمْ من طواميه جُرعَةٌ
(أبَعْدَ ثناء الله مدْحٌ ورفْعَةٌ
وفخْرٌ وتفْضيلٌ لخَلْق منَ البَشَرْ)
نبيٌ حبَا اللهُ البَرايا بظلّه
بتمزيقِ شملِ الملْحدينَ وفلّه[18]
فقامَ بعبء الحقّ فرداً وكُلّه
(فأظْهَرهُ قَهْراً على الدّينِ كُلّه[19]
برَغْم على أهْل النّفَاق ومنْ كفَرْ)
وولاهُ أمْرَيْ ماَ استبانَ وما اكتَمَنْ
وأمّنَهُ إذ لا يُحاكيه مُؤْتَمَنْ
علَى ما حَوَى ظرفَا الأماكنِ والزّمَنْ
(وأرسلَهُ للخَلْقِ قاطبةً ومَنْ
سواهُ على جيلٍ منَ الأمَم اقتَصرْ)
بالأرْضِ طَهُوراً ، بلْ بهاَ مسْجداً يَمُنْ
علَيْه وقَسْمَ النّفْلِ حلاً له يسُنْ
ومغْرِباهُ لم تسْمَعْ جوامعَهُ أذُنْ
(وناصرُهُ بالرُّعْبِ شهْراً ومَنْ يكُنْ
لهُ ناصراً قد عزّ واعتزّ وافْتَخَرْ)

---

(18) فله : كسره .

(19) في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» سورة الصف ، الآية 8 .

بهـاتي الخـلالِ الخـمسِ خُصٌ وفُـخَّمَ
ومـا منْ فـخَـار عنْ مُناداهُ رُخَّـمَ
وفـانا بعُـمْـر في رضَى اللّه نُظِّـمَ
(به اقْـسَمَ المولَى فـقَـالَ مُـعظِّـمَـا
لعمرُكَ إن تفْخَرْ فحُق لك الفخرْ)
ألا حـبّـذَا نُورٌ هدَى كُلَّ عـالم
ومـا وصْـفُـهُ يُدْرَى بكيْف ولا كَـم
ولا عَـوْض يُسْتـقْـصَى بفكْر ولا فَم
(رسُـول لعَـمْـري سِـرُّ طيِّـنةِ آدَمِ
ونُقْطَةُ سرُّ الكوْنِ الآتي ومن غبَرْ)
نفَـتْ ظُلَمَ الأهْواء شـمْسُ ظهُـورِه
فنارَ سـبيلُ الرُشْـد بعْـد دثُورِهِ
ومـنْظَرُهُ الوضّـاحُ منذُ سُـفُـوره
(بصـائرُ أهْلِ الجـحْـد كُـفَّتْ بنُـورهِ
وعيْنُ يقينِ الحقّ إنسانُ من نَظَرْ)
أقـرّتْ به آمـاقُ سَـعْـد رفـاقُـهـمْ
فـشَقّ حَشايا المُشفقين اشْتيـاقُهـمْ.[20]
وهانَ لشَقِّ الصّـدْر منه انشـقَـاقُـهُمْ
(وشَقّ على أهْل الشّـقاق شـقَـاقُـهُـمْ.[21]
متَى عايَنُوا شقَّيْن شُقّ لهُ القَمَرْ)[22]
وآبُوا لأوْبِ الشـمسِ للْغَـدْرِ والإبـا
فـغَـادَرَهُمْ أيْدي سَـبَـا السّـيْفُ والسَّـبَـا

---

(20) آماق : عون .

(21) شق الصدر : معجزة شق بطنه ﷺ وغسل قلبه ، أنظر السيرة النبوية ، ج 1 ، ص 175 .

(22) نفس المرجع .

وأعْـمُـوا لِمـا تُخبي العَكنْبـاةُ من خِـبَـا

(وقـد خَرسُـوا منْ نُطْق وخَشيَـة الظُّبَـا[23]

ووقْع الظُّبَا فيهمْ وصارمة الذَّكَرْ)[24]

وصــمُّـوا ومُـصْـغي الجنِّ عنْهُ تفـحُّصَ

متَى لم يجدْ في الجَوِّ للسـمْع مفْحَصَـا

وصـدَّقـهُ إذْ لائحُ الصِّدْق حـصْحَـصَـا

(سقَتْ يدُهُ جيْشـاً بهـا سبَّحَ الحـصَـا[25]

وقدْ جاءَهُ يخْتالُ في مَشْيه الشجَرْ)[26]

ومــــا شــــاهُ ظلُّ المُزْنِ جَـلَّ قــــدْرُهُ

وعنْ جــــوْهَرٍ منهُ نفَى الظِّلُّ بدْرُهُ[27]

يُدَامُ لـهُ نظْمُ الجُـــمَـــانِ ونشْــرُهُ

(إذا مـــا مــشَى فِي الصَّـــخْـــرِ أثَّر إثرُهُ

وإنْ سارَ في حِقْفِ اللّوَى خَفيَ الأثَرْ)

أضَـــاءَ سنَاهُ الخَـــافـــقَـــيْنِ تألُّـــقَـــا

وَأنْقَـــدَ لمَّا انْقَـــادَ يُبْـــدي تملُّـــقَـــا

---

(23) العنكباة : العنكبوت بلغة اليمن : وفي البيت إشارة إلى معجزة نسج العنكبوت بيتها على باب غار ثور لتضليل قريش وصرفها عن طلب الرسول ﷺ . أنظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ص 603 .

(24) الظُّبا : رأس الرمح .

ـ الصارم الذكر : السيف القاطع .

(25) تسبيح الحصا : معجزة تسبيح الحصا في يده ﷺ . أنظر أعلام النبوة ، ص 81 ، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي .

(26) في هذا الشطر إشارة إلى معجزة اختيال الشجر له ﷺ

(27) في هذا البيت إشارة إلى تظليل السحاب له ﷺ .

سُـــراقـــةُ مِنْ خـــسْـف دهَاهُ تعـــوُّقـا
(وحنَّ لهُ جِـــذْعُ النخـــيلِ تشـوُّقـــا[28]
فلله جذعٌ حَنَّ للشَّوْق واذَّكَرْ)
وأذْهَلَ كِـــسْـرَى بانْصِـــداعِ أنيـــقـــه
وهالَ أبا جَـــهْلٍ بعُنْفِ فَنيـــقـــه[29]
ومنْ فـــيـــه يمحُـــو البَـرْقَ ظلْمُ بـريـقــه
(وقـــدْ عـــذُبَ الماءُ الأجَـاجُ بـسريـقـــه[30]
كما رِيءَ في الظَّلْمَاءِ منْ نُورِه الإبَرْ)
بِه الله منْ بعْـــد الضَّـــلالَة أرْشَدَا
وأجْـرَى بكَفَّـيْـــه المقَـاديرَ مَـــرشَـــدَا
فـــمـــا شـــاءَ منْ مَنْعٍ يكونُ ومنْ جــدَى
ولو شـاءَ قلْبَ الصخْر يُقلبُ عسْجَدَا[31]
ولوْ شاءَ منهُ اللينَ يُقلبُ كالوَبَرْ)
ولوْ شـــاء أنْ أرْسَى زائد المَوْج ناقـــصـــاً
وحـــوَّلَ أطْوَادَ الرَّواسـي روَاقـــصَـــــا
ولوْ شـــاء أنَّ الغـــوْرَ يُقْلبُ قـــالـــصـــا
(أوَ أنَّ الحـــصَى تبْـراً من الأرْضِ خـالـصـاً
وخالصَ تبْرِ العَيْنِ يُقْلَبُ كالمَدَرْ)
ولـوْ شـــــاء رَجَّ الأرْضِ يـوْمـــــاً لـرُجَّـت
ولَـم تُـرْجَ فُـلْـكٌ لـوْ أرادَ بِـلُـجَّـــــــــةِ

---

(28) في هذا البيت إشارة إلى معجزة حنين جدع النخل إليه ﷺ ، أنظر : أعلام النبوة ، ص 116 وسنن الترمذي ، ج5 ص 204 .

(29) أنيقه : إيوانه . فنيقه : فحله المكرم

(30) ظلم : صفاء اللون ، شدة البرق ، لسان العرب (ظلم) .

(31) جدى : عطاء .

ولا فلَكٌ يجْري لتدْوير حجَّة
(أتى صفرٌ لوْ شاء في عشْر حجَّة
ولوْ شاء كانَ العيدُ في العشْر من صفرْ)
ولو كلَّم العظْمَ الرَّميمَ تكلَّمَ
ولوْ شاءَ كان اليوْمُ ليْلا لأظلَمَ
أو الليلُ يوماً عن ضياء تبسَّمَ
(أو الأرضُ كانت كالسَّماء أو السَّما
هيَ الأرْضُ لا زُهرٌ هُناك ولا قمَرْ)
ولوْ شاءَ أعْلَى الوَحْلَ في الثَّلجِ جَالَهُ
وبيْنَ الرِّهَان النُّونَ أجْلَى مجَالَهُ
وجمَّ الإضا جَمْرَ الغضَا لاستحالَهُ
(ونجْم الثَّرى نجْمَ السَّماء أحالَهُ
وزُهْر السَّما عادتْ هي النجْم والزَّهَرْ)[32]
إمام لإيجاد العَوالم غُرَّةٌ
وفي الخَتم لاحَتْ للْهُدى منهُ درَّةٌ
ولوْلاهُ ما امتازَتْ فجار وبرَّةٌ
(ولوْ شاء لم تُخْلَقْ منَ الكوْنِ ذَرَّةٌ
فمنْ شاءَ فلْيُومنْ ومنْ شابه كفَرْ)[33]
أليْسَ تعالَى جَلَّه الأذْنَ أسْبَلا
عليْه ، ولم يُنشئ سوَى روحه بلَى
وفضَّل إذْ سمَّاهُ أحْمَدَ أفْعلا
(فإنْ تفْهَم المعنَى سلِمْتَ وما علَى

---

(32) عادت : كانت في المعسول .

(33) في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى : «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر» سورة الكهف الآية ٢ .

مُصَحِّح مَعناهُ الغبَاوَةُ في البقَرْ)
يميناً ومنْ يُقْسِمْ بمُعْطاهُ أقسَما
لقدْ عزَّ ما في الأرضِ أُعْطِيَ والسَّمَا
وما زالَ في أمْرِ العطَاء مُحكَّمَا
(فقدْ قال سلْ تُعْطَهْ مُفضَّلُهُ كما
أتى في الحديث القُدْسِ عَنْهُ وفي الأثَرْ)[34]
وما سادَ إلا منْهُ كلُّ مُسوَّدْ
وراحتُهُ مُلقى بهَا كُلُّ مُفْوَدِ
ودانَتْ لهُ الأعناقُ في كُل مشْهَد
(فيا رائماً في الكونِ شبهَ مُحمَّدِ
فبطنُ يد الانْسان هلْ يُنبتُ الشَّعَرْ)
أما والذّي منْهُ البريّةَ أنعشَا
بنُور هُدًى ، والغيُّ ألْبَسَهَا العَشَا
فلمْ يغْشُ عنْهُ غيْرُ أعْمى وأغْمَشَا
(لأحلم من أغْضَى وأفضَلُ منْ مَشَى
وأكْرَمُ من أعْطَى واسْمَحُ منْ غَفَرْ)
فيا سعْدَ منْ أمْسَى منَ الناسِ وفْدهُ
يُوافيه ما أوْفَى وأوْفَرَ رفْدَهُ
فلا مالَ إلا للنّوالِ أعدَّهُ
(فسيَّان ألْفٌ من جَواهِرَ عنْدهُ
وجوْهَرُ فرْدِ الأرضِ والبَدْرُ والبُدَرْ)
تَوَلّى شُؤون الكائنات فأقْسَطَا
على أيِّما حالٍ تلطَّفَ أوسَطا

(34) الحديث : حديث في المسؤول ، وفي البيت إشارة إلى الحديث القدسي : «سلْ تعطه ، وقُل يُسمع» .
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، ج 2 ، ط 2 ، 1943 (سأل) .

فـــمـــا أطلَق الكفَّـــيْنِ منهُ وأبْسَطَا

(عَطاءً بلا منٍّ ولا سـأمِ العَطا

ويُطلقُ وجْهاً للعُفاة إن اعتذَرْ)[35]

بسَيْبٍ وسيْفٍ ثَمْرَةَ السُّوددِ اجتنَى

وأسَّسَ أرْكانَ الدِّيانة وابْتَنَى

فيا حُسْنَ ما أقْنَى من المجْدِ واقْتَنَى

(فكَمْ منْ فقيرٍ من غنائمهِ اغْتنى

وكمْ من غنيٍّ من كتائبِه افتقَرْ)

فما زالَ يعْلُو بالغُزَاة نحيبُهُ

وضاقَ عليْه في الفضاء رحيبُه

وخَيَّبَهُ طاغُوتُهُ وصَليبُهُ

(فللَّه بدْرٌ كمْ حَواهُ قليبُهُ[36]

وكمْ أسرُوا فيه وجرُّوا إلى سقَرْ)[37]

وعن مَصْرعٍ ما زاغَ حاشاهُ جَفْنُهُ

فلا قرْنَ إلا ثمّ أصْماهُ قرْنُه

وأرْداهُمْ شُؤْم النُّفوسِ ويُمْنُهُ

(فأيْنَ أبُو جهْلٍ وعُتْبَةُ وابنُهُ؟

وشيْبةُ والعاتي أُميَّةُ الأشَرْ)[38]

وأيْن سراةُ المُنتدى ونَديُّهمْ؟

وأيْن أثاثُ المتْرفِينَ ورِئْيُهمْ؟

وأيْنَ أذَى المسْتَهزئينَ وغيُّهُم؟

(وأيْنَ الصَّناديدُ الطُّغاةُ وبغْيُهمْ؟

---

(35) إن اعتذر : إذا اعتذر ، في المعسول .

(36) قليبه : البئر التي رمى فيها قتلى بدر من الكفار .

(37) وجروا إلى سقر : وكم أودعوا سقر ، في المعسول

(38) الأشر : البطر المتكبر ، لسان العرب (أشر)

وطُغْيَانُهُمْ والسِّحْرُ والهُزْءُ والبَطَرْ؟)[39]
وأين عنادُ المُعتدين وحِزْبُهُمْ
ومُتلثمو البيضِ المواضِي وضرْبُهُمْ؟
وأحْزابُهُمْ في التُّرهات وصَخْبُهُمْ
(تفرَّقَ بالهِنْديِّ والسُّمْرِ حزبُهُمْ
وبالمَشرفَيات اللّدان شَذَرْ مذَرْ)[40]
لَوَى خيلَهُ نَحْوَ اليهود ورجْلَهُ
فألْزَمَهُمْ رُعبَ الصغَار وخبلَهُ[41]
قُريْظَةَ أفْنَى والنضيرَ أذلَّهُ
(وخيْبَرُ لم تُخصِ العبَارةُ قبْلَهُ
زُهَاهَا فصَارتْ عبْرَةً لَمن اعْتَبَرْ)
وفي أُحُد والخنْدَق اعْتزَّ قَدرُهُ
ولَم يُغْنِ تحْزيبُ العَدُوِّ وغدْرُهُ
ويومَ حُنيْنٍ للْعِدَى كيْفَ قَهْرُهُ
(ولَم أنْسَ يوم الفَتح لله درُّهُ
فهَلْ لَهُمْ من بعْده الهُزْءُ والسُّخْرَ؟)
تعرَّوْا عزَاءَ الجَهْلِ لو لمْ يُهِنْهُمُ
ومَا أغنَت العُزَّى ولا اللاَّتُ عنْهمُ
ولا عِزَّةُ السُّمْرِ اللّواتي لدُنْهُمُ
(فكَمْ منْهُمُ أخْزَى وأخْجَلَ منْهمُ
وكمْ منهُمُ أجلَى وكمْ منهُمُ هدَرْ)

---

(39) البطر : التكبر وكفران النعمة ، لسان العرب (بطر)

(40) اللدان : صفة للدروع .

شذر مذر : تفرقت في كل وجه

(41) خبل : فساد لسان العرب (خبل) .

وكمْ قُتِلَتْ قومٌ تُحاولُ قتلَهُ
وأخرَى تُواري بالحديقةِ خَتْلَهُ
لتنقُضَ ما الجبَّارُ أبرَمَ فَتْلَهُ
(وكمْ سلِمَتْ من بعْدِ أن أسْلمَتْ لهُ
وسلْمَتْ أقوامٌ سمَتْ واختفَتْ أُخَرْ)
فعَاد الوغَى من كان مُوقدَ جَمرهَا
فمَا فيه أزوى مِنْ قَنَاهَا وسُمْرهَا
وأمسَى بيمنَاهُ الدَّرُورِ بغَمْرهَا
(زمَام المعَالِي وهْو مَالكُ أمْرهَا
ودُرَّةُ أعْلاهَا واستبْرَقَ الحِبَرْ)[42]
ثَنَتْ نخْوةً عن خاطبيهَا لهُ الرَّسَنْ
فَحينَئذ حُقَّ الثَّنَاءُ لهَا الحسَنْ
أبُو عُذْرِهَا مَنْ لمْ يَلِدْ مِثْلهُ زَمَنْ
(وعاقدُها جبريلُ صَاحِبُهُ ومَنْ
سمَا فوْقَ أمْلاكِ المُهيْمنِ واشتَهرْ)
فكَمْ توَقَتْ مَنْ طَابَ فرْعاً ومحْتداً
فكُفَتْ أكُفُّ التَّوْقِ عنهَا والاجْتدَى
وقيْدَتْ إلى منْ ليْسَ إلا بِه اقْتدا
(وشاهدُهَا ختْمُ الرِّسالة وابْتدَا
ذَكا نورهِ من قبْلِ أن تُخلَقَ الصُّوَرْ)
ولمَّا أتمَّ العقْدَ وإليْه مقْعدَا
شهيدَيْهِ والأفْراحُ أوْفَتْهُ مَوعدا

(42) استبرق : حرير غليظ

الحبر : بالكسر ج حبرة ، وهو ضرب من برود اليمن .

درة : ذروة ، في المعسول .

وفـوّضَ شـأن المَهـر للبـعَل مُـسْـعِـدا
(بماضي سُـيوفِ الهنْدِ في مـفْرقِ العِـدا
بسُنّته السّمْحَا بشِرْعَتِه مَهَـرْ)
فـتــاهَتْ علَى أترابِهَــا واسْــتَـطالَت
وزُفّت إلى حـيْثُ الـسُّـعُـودُ تـوَالـتِ
فـأرخَى عليْـهـا سـتْـر كُلّ جـلالَة
(وأنتَجَ منـهــا مـحـوَ كُلّ ضـلالَةِ
إلىَ أن أنارَ الدِّينَ بالحقّ وانتشَرْ)
لهُ عنَتِ الأبْصــارُ لَمّا بِهَــا اعــتَـنَى
وأحـــرَزَ منهــا كُلّ قطْف ومُـجْــتَـنَى
وهدّ بناءَ الشــركِ لَمّا بهَــا ابــتَنى
(فـأيْنَ القَـيـاصيـرُ العُلوجُ ومَـا اقـتنـى
هِرقْل وكسْرى الفرْسِ مُلْكاً وما ادخَرْ)
فـبـشَّــرَهَا باليُـمنِ تغْـريدُ طَـيْـرِهِ
وهنّأَهَا نادي الفــخــار بخـيْــره
مَـتى الكُلُّ عنْهَـا كلّ تذْءابُ سـيْـره
(ويا رائمــاً منْهــا اقـتطافـاً بغـيْــره
هُبلتَ ، لهُ الأبْنا ، وللعاهِرِ الحجَرْ)[43]
فـجُـدْ رسُـول الله منْكَ بنفْـحَـة
تقـيني خَطَايا قُلّدَتْهُنّ صـفْـحَـتِي
فـقـد كنتَ روْحَ الدّار الأخْـرَى ورَوْحَـة
(فلَوْ كـان خلْقُ الله أغْـصــانَ دوْحَـةِ
لكُنتَ لها نوْراً ، وكنْتَ لهَا ثَمَرْ)

(43) للعاهر الحجر : في هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف كما يروى عن عائشة (ض) ، «الولد للفراش وللعاهر الحجر» .

ولوْ كـان بيـتـاً كُنتَ عـرْشـاً مُـتـرْصـاً
وكُنتَ الحُلى والحـدُ لو كـان مُـخـرُصـاَ
ولوْ كـانَ وفـداً كنْتَ مـتىً ومَلْحَـصـاً
(ولوْ كان نجماً كنْتَ شـمْسـاً أو الحصَى[44]
لكُنتَ هُوَ الياقوتَ والتّبرَ والدُرَرْ)
ولَوْ كَـانَ سَـمْطا كُنْتَ دُرّةَ نَظمـه
ولَوْ كَـان قَـوْسـاً كُنْتَ ريشـاً لِسَـهْـمِـه
ولوْ كـانَ قلْبـاً كُنتَ نُقْطةَ علْمِـه
(ولوْ كـانَ جـسـمـاً كُنتَ روُحـاً لجِـسْـمِـه
ورأساً لكُنتَ السّمعَ والنُّطْقَ والبَصرْ)
فَـيَـا حَـبَّـذَا أمـاَ منْ جـمَـال وبَهْـجَـة
لطه ومـا يُمليـه من صـدْق لهْـجَـة
مُـحـيُّـاهُ شـمْسٌ في غـيـاهب دَجـة
(ومنْطقُـهُ فـصْلٌ بأبْلغ حُـجَّـة
ولا نزْرَ في ذاك البلاغ ولا هذَرْ)
فـيـا فـوْزَ من يحـسُـو سُـلافَـةَ وعْظـه
بمسْـمَـعـه يُصْـغي إليـه ولحـظه
مَـعَـانيـه منْ داء الضّـلال وكَنظـه
شـفَـاءٌ ، فـمـا أحْلى عُـذوبَةَ لَفْظـه[45]
ومعْسولهُ ، فالشّهْدُ منْها بلا إبَرْ)
به نالَ للرُّشـد الحـيـارَى توصّـلاً
بما منْ نظام الدُّرّ أبـهَـى تفَـصّـلا

(44) ملحصا : ملجئاً

(45) كنظه : الكنظ ، الكرب الشديد .

وأخلَى من إيبَـــاءِ الحــــبيب تَــدلُّلاَ
(واشْــهَى منَ الرَّاحِ العُــقَــار تعَلُّلاَ[46]
والأوْبَةِ بعْدَ الغُنْمِ مِنْ وَحشَةِ السَّفَرْ)
ومـنْ نـضْـــرَةِ الأزْهارِ في عـــيْـن رامقٍ
ومنْ صُــورةِ المحْــبُــوبِ في ذهْنِ وامقٍ[47]
ومنْ نفْــحَـــةِ الكافُــور في أنفِ ناشِــقِ
(ومنْ نغْــمَــةِ المعــشُـوقِ في أذْنِ عـاشِقِ
وخلْسَةِ مُشْتاقٍ لمَنْ شاقَهُ النَّظَرْ)
ألا طَالمَا اشْــتــقْنَا لطَيْـــبــة غــيْــبَــةً
فـــإنْ لهـــا منْهُ وقـــاراً وهيْـــبَـــةً
ولمْ يُخْشَ يوْمــاً زوْرُ طيـبــةَ خـيْـبَــةً
(هَنيــئـــاً ، ويا طُوبى لَمنْ زار طيْـبَـــةً
ولم تثْنِهِ عنْهَا الملامَةُ والزُّوَرْ)
لـيــشــربَ لا تشــريبَ أن ثار حُــبُّــنَا
وأتعبَ في تطْلابِهَـــا الخُــوصَ خـبُّـنَا[48]
ولم يُســـتطبْ إلا لطيْـــبَـــةَ هبُّـنَا
(فطيْــبَــة طيبُ الطِّيبِ ، طيـبَــةُ طبُّنَا
ومُرهَمُنَا ترْيَاقُنَا إثْمَدُ البَصرْ)
فــجـــرِّدْ إليْـــهـــا كُلَّ عـــزْمٍ وهــمَّـــةِ
وحُثَّ المطَايا مُـــرْسَـــلاتِ الأزمَّـــةِ
فلم تنِ مـــهْـــمَـــا نَحــوَهَا العــيسُ زُمَّت
(بهَـا راحَــةُ المَهْــمُــومِ منْ كُلِّ غُــمَّــةِ

(46) العقار : الخمر .

(47) وامق : محب .

(48) الخوص : النوق القوية .

ـ خبنا : الخب ضرب من العدْو .

وراحُ ارْتياحِ النَّفْسِ من كُرْبَةِ الكَدَرْ)

وكمْ من عُيُونَ امْتَنْتُهُن وجِرَةِ

متى حلَّ منهَا المصطفى خَيْرَ حُجْرَةِ

تحلَّتْ بهِ أبهَى وشاحٍ وعُجْرَةِ

(مقراً لهُ اختيرَتْ وداراً لِهجْرةِ[49]

فأكْرِمْ بهَا داراً وأكْرِمْ بهَا مقرْ)

بقاعٌ بأرواحِ المحبِّينَ جاجَأتْ

فلمَّا اسْتبَانَتْهَا الجُسومُ تشَأْتَأتْ[50]

ودَانتْ لهَا هامَاتُهَا وتطأطَأتْ

(هُنالكَ خَضْراءُ القِبابِ تلألأتْ

بها رَفْرفُ الأنْوارِ لألاؤهُ ازْدَهَرْ)

وذَا مسْجدُ الهَادِي محلُّ التذاذهِ

بتوضيحِ منْهاجِ الهُدَى واتخاذهِ

وتيكَ مغَانِي نَشْرِهِ ونفاذهِ

(وذاكَ قُبَاءُ والبقيعُ وهاذهِ

قبابُ أهاليهِ الجهابذَةُ الغُرَرْ)

فكمْ مدْمَعٍ من خشْيَةِ الله ساكِبِ

هُناكَ ، وكَمْ ماشٍ إليْهَا وراكِبِ

وكابٍ لديْهَا لازدحامِ المنَاكِبِ

(فليْتَ مَطَايَا الوَهْمِ كانَتْ مرَاكِبي[51]

إليْها أوِ الأرْواحُ تخْدي أوِ الفكَرْ)[52]

---

(49) عجرة : ثوب يلف على الرأس ، لسان العرب (عجر) .

(50) تشأشأت : من شأشأ الشيء عن موضعه ، أزاله .

(51) كاب : الذي إذا أعيا قام فلم يتحرك من الإعياء ، لسان العرب (كبا) .

(52) تخدي : تسرع في المشي .

فلم انْتَـــجعْ إلا فـــيُـــوضَ سَـــحَــــابهـَـا
ولُبِّي مـــــرْهُونٌ بأيْدي صــــــحَــــــابِهـــا
فـــيَــا لائمــاً نفْـــسي لطُولِ انتــــحَـــابهـــا
(إذا مـــا حططْنا الرَّحْلَ بيْنَ رِحَـــابِهَـــا
وداخَلنا ذُهْلٌ الملاقاة والحيَرْ)
ومـــــسَّتْ على مـــا ضَـــاعَ منَّا ندَامَــةٌ
وخــامَــرتِ الأوْصـــالُ منهَـــا مُــدامَــةٌ
ولاحتْ لمِيــــقَـــات الوِصــــالِ عـــلامَــةٌ
(فــــــلا لىَ ، لا لي لا عَليْ مـــــسلامَـــةٌ
فحَالةُ مرء فاقد اللُّبِّ تُغتَفرْ)
وأرحَلُ مــــفْــــتُــــونٌ المرَافقِ اصـحـــرًا
إذا الرَّكبُ منْهـا صـوْبَ مكَّةَ أسْــحَــرا
لأحْظَى بحجِّ البـيْـتِ فـيـهـا وأنــحَــرا
(أعَـــفِّـــرُ خَــدِّي في حِـــراءِ ومنْ حَـرَا
أطُوفُ ببَيْتِ الله في الحجِّ والعُمَرْ)
وبيْنَ الصَّـفَــا أسْـعَى لتَـصْـفُــوَ قـربَتي
ومَـــرْوَةُ سَـبْــعًـــا كيْ أفَـــرِّجَ كُـربَتي
وأســـرعُ بيْنَ العُـــدوَتيْنِ بشُـــعْـــبَـــةِ
(وأضْـــرَعُ في أخْـــذي لأســـتـــارِ كــعْــبَـــةِ
وأدعُوا مُجاباً في الحطيم لدَى السَّحرْ)
فــــلا تفْــــرقي يا نفْسُ مِمَّا جنَيْــتـــه
وقَـــدْ لُذْتِ بالمأْوَى الحَـــرام وريْشـــه[53]
ألَذُّ بِريَّا وصْله وكُــــمَـــــيْـــــتـــــه
(وأركَعُ في مِــحْــراب مــسْـجــدِ بيْـتِــه

(53) ريشه : اسم منهل من المناهل التي بين المسجدين ، لسان العرب (ريش)

وأكْرَعُ في سلْسَالِ زمْزَمهِ تيْرْ)[54]

واشْــــرَعُ في تلك المَناسك مُـــذْعناً
لأقْــضـيـهـاَ حَــقًــا به كُنتُ مُـمْـعـنَا
وإن عُــجْتُ للتـخـصـيبِ لا آلُ مُـدمنَا
(أمَــرِّغُ خــدِّي في المُحــصَّبِ من منىَ
وأهدي ، وبعْدَ الهَدْي أحْلِقُ للشَّعَرْ)

وأركَـنُ لـلـرُّكـنِ الـذي بمـعـــاذه
لُمـــستـلم إيّاهُ أشْـــهَى لـــذاذه
وأصْــدَعُ بالتكبـيــر مُــهْـمَـا أحـاذه
(ومـنْ بـيْـنِ مــــــا هـاذه وذاك وهـاذه
أقبِّلُ في كُلِّ المناسك للحَجَرْ)

واجْــمَعُ في جَــمْعٍ وأبكِرُ مُــشْـرفـاً
على مـشْـعَـرٍ لا أبْتَـغي عنْهُ مـصْـرِفـا
وأدْعُـوا إلى الإسـفَـار عنّـيَ مُـوقـفـاً
(وفي عَــرَفَــاتِ الحجِّ لَمْ آنَـسَ مَــوقِــفَــا
فكمْ عزٍّ منْ باكٍ وأجْرى من العبَرْ)

وأرْتاحُ للبطْحــاءِ أحْــيَى بتُــربهَــا
وبالحَــصَــبـاتِ السـبْع أرْمي بقُـربهَـا
ثلاثَ جِــمــارٍ ثمَّ أغْــرَى بحُــبِّــهَـا
(منازلُ منهَــا ، بعْـشـه ليْـتي بـهــا
أزورُ على ترْتيبِهَا أقْتَفي الأثرْ)

مـنـازلُ لا أرضـى ســـــوَاهُـن مـنْـزلا
على خـيْـرِ مـبْـعـوثٍ بهـا الوَحْيُ أنزلا

(54) تير : ج ، تارة ، حيناً بعد حين ، لسان العرب (تير) .

وسنْ بهَـــا الحجُ المُرتَّبَ مـوئلاً
وليْسَ على ترتيب مـا بعـثتْ إلـى
تراتيبه شعْراً قرائحُ من شعر)
أحـاطَ الورى من مُـوبِقـاتِ الفَـوائل
وكلْـمَتْ علـى تاليـهمُ والأوائـلِ
طوامِي بحَـار المدْح منْهُ السـوائلِ
(فـفي مَـدْحـه قُسَ وسـحْبَـانُ وائلِ
سيَّانِ هما أو باقلٌ وأبُو حَذَرْ)
فكمْ غَـاصَتِ المُداحُ في زُفَـر الـثنا
ومـا منْهُمُ منْ عنْ فـرائدِهِ انْثَنَى
وأبْدَوْا يواقـيتَ القَـوافي فـمـا وفَى
(مَـنـالُهُمُ للعَـجْـز والعَيٍّ والوَنـى
وهَل يُدرِكُ الغوّاصُ ما اضْمَرَ الزُّفرْ)[55]
فـمـا البـحْـرُ إلا من نَدَاه كـرشَـحـة
ومـا الشْـمسُ إلا منْ سنَاهُ كلَمْـحَـة
ومـا المِسْكُ إلا مِنْ شـذَاهُ كنَفْـحَـة
(ومـا مـدحٌ يومـاً بأبَلَغ مـدْحـة
تطَاوَلَ إلا عنْ مَدائحه قصَرْ)
خليليَّ مَـدْحُ المصطفَى بفَـسِـيحـه
مـتَـيـهُ بَليغ المُحْـتَكى وفـصِـيحِـه
فـلا تحْـسـبـاني أدْعي ذَرْعَ فـيحـه
(أُقـرُّ بأنّي عـاجـزٌ عن مَـديـحِـه[56]
ومنْ سامَهُ حَصْراً فقدْ ربحَ الحَسَرْ)

---

(55) الزفر : البحر .

(56) عاجز : قاصر ، في المعسول

فـسـيـحَـا مـعِي في روْضِـهِ واسـرحَـابه
ولا تَبْـرَحـا مـا اسـطعـمـتـا برِحَـابِهِ
فـمنْ لي بكُنْه المُسـتَـقى بسـحَـابِه
(ومنْ لي بمُسْـتَـوف ثَناءَ صِـحَـابِهِ
نُجُوم الدّياجي صفْوَة البَدْو والحَضَرْ)
وُلاةً هُدَاةٌ مـا اسـتُـمـيلُوا بزُخْـرُف
ولا مـشـتكي للّذين إلا بهِمْ شُـسفِـي
ومـا منْهُمُ إلا وبالمُصطَفى اصْطفى
(وباعُـوا نُفُـوسـاً بعْـدَ أن بايَعُـوهُ في
رضى الله ، لابيْعَ احتكارٍ ولا غَرَرْ)
فـمن كـأبي بكْرٍ إمـام طـريقـه
خليـفَتِـه سـخْمِ المُحـيَّا حليـقِـه[57]
مُـرافـقِـهِ في المنزلين ، صـديقـه
(أرونِي ، أرونِي كـالعـتيق رفـيـقـه[58]
وإلاّ أرونِي مثْلَ سيِّدنَا عُمَرْ)
أرونِي كـالفـارُوق ، مُـبْـهِج دهـْرِه
بمنْهَـاجِـهِ الجَـاري على مَـتْنِ ظهْـرِه
ومُـرْدِي العِـدَى عنْهُ بسُلطَان قـهْـره
(وإلا أرونِي مـثْلَ عُـثْـمـانَ صِـهْـرِه
ومثْلَ أبي السِّبْطيْنِ حيْدَرَةِ الزَّفَرْ)[59]

---

(57) سخم : السخم ، السواد ، لسان العرب (سخم)

(58) العتيق : اسم أبي بكرالصديق (ض) ، سمي بذلك لأن الله تبارك وتعالى اعتقه من النار .

(59) حيدرة : اسم علي بن أبي طالب .

ـ الزفر : البحر .

فـــذلكَ ذو النُورَيْنِ من فـــازَ في الألَى
تَحَلوْ بما للـــسَّبْقِ بالخَــيْــــر منْ حُلَى
وذاكَ عليٌّ هلْ مُـــــســـــام عُــــلاهُ لا
هُوَ المهــجــرُ الأســمَى ومنْتَـخَبُ العُلى
وفتّاحُ أشْكال إذا حارتِ المِرَرْ)[60]
وحــيْثُ الْتظَى جــمْــرُ الوَغَى وتسعَّــرا
وكــادَتْ لهَـــا الأكــبـــادُ أن تتــفطَّراَ
وضـــاقَ على الأقــران مُــتــسعُ الذرَى
(تصـــيـــرُ هبـــاءً عندَهُ أســـدُ الشَّـــرَى
وما تلْبثُ المِرْآةُ أنْ لاقَتِ الصَخرْ)
هُمُ الخُلفـــاءُ الرَّاشــدُون هل امــتَــسرَوْا
حـــشَــــاهُمْ ، أرُوني هلْ تَرونَ ولنْ ترَوْا
شَــبــيـــه اولاء الرَّاشــدين ومــا اقــتَنَوْا
وطلحَـــةُ أو شـــبْـــه الزُّبيْـــر وســـعْـــد أوْ
سعيد ومنْ حَاكَى ابْنَ عوْف وما ادَّخَرَ)
تــه التّـــســـعـــةُ السَّاداتُ بشَّــرهَا النبي
فطُوبَى ، فكم أجْـــر تلقَّـــوْهُ مـــجْنبِ[61]
فــمنْ يبْغِ شــبْــهَ التّــسـعَــة الدَّهْرَ يــذْهــب
(وشـــبْـــه أمينِ الأمـــة المرتَضى أبي
عُبيْدةَ ختم المسْك للسادة النُّضُرْ)
هُمْ عـــشْـــرةٌ ، غُـــرٌ ، سَـــرَاةٌ ، أعــزَّةٌ
تُـلابـسُـــــــهُمْ عـنـدَ المَـكـارم هـــــزةٌ

---

(60) المرر : ج ، مرة ، الرأي وأصالة العقل .

(61) مجنب : كثير ، لسان العرب (جنب) .

فــهَلْ عــزُّهُم بالله تَحكيــه عــزَّةٌ
وهلْ أسَــدُ الله الغَــضَنفَــرُ حــمْــزَةُ
له منْ يضاهي من ربيعةَ أو مُضَرْ)[62]

فـتى المجْـد ، عمُّ المصطفى عـضْبُ ضَــرْبه
إذا زلَّت الأقــدامُ ، مــقْــدامُ حَــربِه
فــهلْ يُشْـبــهُ العَمُّ الشــهـيـدُ بجنْبـه
(أو الأنْجَبُ الأسْــمى أبُو الفـضْلِ مَنْ به
أبُو حفْص يستسقِي فينْسَكبُ المَطَرْ)[63]

كِــلا عَـــمَّي الهَــادي به الدِّين أيدًا
وصينَ به حــصْنُ اليــقينِ وشُـــيِّــدا
فـــمـا الفـضْلُ إلا حــيثُ هذان قـيِّـدا
(أو الحسنانِ الهـاشـمـيـان سـيِّــدًا
شباب جنان الخُلد نادرتا السَّمَرْ)

من الفَــخْــرِ حــلاَّ كُلَّ وهْد وعــدْوَة
بأشْــرَفِ بيْت ضَــمَّــهُ صَــدرُ نــدْوة
فلُذْ بهـــمَـــا في كُلِّ مَسًى وغُـــدوَة
(فكمْ المجتـبَـا من قُــدوة بعْــد قُــدْوة
وكَمْ منْ نجيب فاقَ منهُمْ وقَدْ مَهَرْ)

ســمــاةُ على عُــجْم السُّــمُــوَّ وعُــرْبه
بقُـــــرْبِ البـنـيُّ المعنَويَّ وقـــــربه
فكم منهُمْ حـــام حـــمَـــاهُ بــذبِّه
(وكـمْ منْـهُـمُ فـي الـكَوْن قـطْـبٌ بـربِّـه
تصرَّفَ أو غوْثٌ تصرَّف أو ظهَرْ)

(62) يضاهي : مضاه ، في المعسول .

(63) يستسقي : استسقى ، في المعسول .

فنعمَ بنو الزّهراءِ منْ نصٌ أنّهمْ
بَنُوا صُلبه الماحي ، ويا نِعْمَ مَنْ هُمُ
صحابتُهُ المرضيٌ في الله عنْهَمُ
(ومنْ هاجَرُوا الأوطانَ والإلفَ منهُمُ
ولم يثْنِهِمْ خوفٌ ، ولم يثنهمْ حذَرْ)
نضَوْا في رضَا الله الحُسامَ المهنّدا
وذا دُوا عن الدِّين المريدَ المفنّدا[64]
أساةُ النُّهَى إن للهُدى مسٌهُنٌ دا
(عيونُ العُلى تيجانُهَا أبحُرُ النّدى
ليوُثُ الوَغَى نورُ الظلام إذا احتضرْ
تناويرُ زهْرِ الكوْنِ أعلامُ بيده
سوادُ مشاقيه تقاصيرُ جيده
مُقيمُوا سبيلِ الحقّ ، مُحْيُوا وئيده
فذاكَ فتى النّادي وبيتُ قصيده
وخنْصَرُهُ الأسْمى المُطاعُ كما أمرْ) .
وذاكَ له خمْرُ الشُّهودِ مُخامرُ
وذَلكَ بالمَعْروفِ قَاضٍ وآمِرُ
وهذا عن الفحْشاءِ ناهٍ وزاجرُ
(وذا عنْ تَليدِ المالِ منْهُمْ مُهَاجِرُ)
وطَارِفه البيضِ والكوم والحِيرْ)[65]
فما اصْطَحَبُوا غيْرَ القَنا السّمْهَريّة
وغير صَمَاصيمِ الظُّبَا المُضَريّة

---

(64) المريد : الشيطان .

(65) الحير : الكثير من المال والأهل .

فكمْ رفَضوا منْ روْضَةٍ خُضْرِيَةٍ
(وكم غادَرُوا من غادَةٍ قمريَّةٍ
تُباهي ضِياءَ الزِّبرقَانِ إذا بدَرْ)[66]
هُمُ السَّابقُونَ الأوَّلُونَ فما قصَا
مداهُمْ يُدانيه مُبارٍ وإنْ قصَا
فمنهُمْ توارَى البَطْلُ والحقُّ حصْحَصَا
(مآثِرُهُمْ لا تنْقضِي أوَ للْحَصَى
عَديدٌ وموجُ البَحْرِ عدٌّ إذا زَخَرْ؟)
ونعْمَ الحماةُ الموثِرُونَ تَحمُّلا
أولي الهجرَةِ الفضْلَى عليهم تفضُّلا
مُعادُوا عِدَى المُختَارِ مُرْداً وأكْهُلاَ
(وأنصارُهُ أكْرم بأنصارهِ الأُلَى
بهِمْ عزَّ دينُ الله واعْتَزَّ وانتشرْ)[67]
فللهِ ما أعْلَى وأبهَى شُموسَهُمْ
واشهَرَ في نادِي الأشَاوسِ شُوسَهُمْ.[68]
وأقْصَرَ عن داعي المزايا جُلُوسَهُمْ
(لقدْ بذَلوا أمْوالَهُمْ ونفُوسَهُمْ
وآوَوْا رسُولَ الله في العُسْرِ واليُسْرْ)
قفاةُ النبيِّ المقتَفى وجُنودُهُ
إذا نُشِرَتْ أعلامُهُ وبُنُودُهُ
فسَادوا بمَنْ ما في الورَى منْ يسُودُهُ
(أولَئكَ أبطالُ الوَغَى وأسُودُهُ

(66) الزبرقان : البدر .

(67) واعتز : وامتد ، في المعسول

(68) شوسهم : رفعتهم ، لسان العرب (شوس)

إذا اصْفرّتِ الأمادُ وانتفَخَ السّحَرْ)
يشوقُهمْ كالشّوق للظّلْم في اللّما
لُمُوحُ المواضي إذْ دُجَى النّقْع أظْلَمَا
وعَادَ خطيبُ القوم للهَول أبْكَمَا
(وهَزُّ الرِّماح السُّمْرِ يُطْرِبُهُمْ كما
يَطيرُونَ عقبانًا إلى رنّة الوَتَر)
بتفضيل جمع الصُّحْبَة انْعقَدْ
منَ الأمّة الإجماعُ حتْماً ليُعْتَقَدْ
فجمْعٌ يُوازي منهُم الفرْدَ مُفْتَقَدْ
وفَرْد جميع الصَّحْبِ جمْعٌ وعنْهُ قدْ
تقاصَرَ أهْلُ المجد في الطُّلِ والقصَرْ)
هنيئاً لمنْ أرْوى حَشاهُ وقَلْبَهُ
هوَاهُمْ كما يرْوى الخدَلّجُ قُلبَهُ
ومنْ لهُمُ في الله أخْلَصَ حُبَّهُ
(فيا خاتِمَ الرُّسْلِ الكرام وصَحْبه
أضَفْتُ لكُمْ نَفْسي وإنّي علَى خَطَرْ)
فما أنا إلا خَديمُكُمْ ولَن
أزالَ ، وإن غُيّرتُ في السِّرّ والعَلَنْ
مُضافاً إلى مغربي ضميركُمُ الزَّمَنْ
(فلا تجعلُوا بينَ المُضاف وبينَ منْ
يُضاف له فضلاً ولوْ زلّ أوْ عثَرْ)
ليذْهب تنكير المُضاف مُعَرّفا
بمنْ كان منْ كُلّ المعارف اعْرفَا
وكُونُوا عَلَيْه من أخي وأعْطَفَا
(وحاشَاكُم أن تجعلوهُ ولَوْ هَفَا
كغالبِ ما يأتي لِلَولا منَ الخبَرْ)

ولي فلْيَكُنْ منْ مُـوجِبِ الخَـفْضِ مـانِعُ
لأنْ بكُمْ في مُـبْـتَـدا الفَـضْلِ رافِـعُ
ولايكُ عنْ إتْبـاعِ وصْـفيَ قـاطِـعُ
(ومنْ شَـرَفِ المتـبـوعِ يشْـرُفُ تَابعُ
ومنْ جالسَهُ العطارُ طيّبَهُ العطرْ)
ويا سـائرَ الأصْـحَـابِ درْعي وشلّتي
ومنْ لم ينُو عنْ هِجْـرتَيْـهِمْ لأكْـةِ(69)
ومنْ نصَـرُوا رغْمَ العُـداةِ المدكْـةِ
(ويا أهْلَ بدْرٍ والبـقـيـعِ ومـكّةِ
ومنْ بايَعُوا طَهَ بمُفْرَدَةِ الشّجرْ)
ويا مَـعْـشَـرَ الأمـلاكِ أعْـوانَ حـزْبِهِ
ومنْ بكُمْ يُحْـمَى السـمَـاءُ بشُـهْـبِـهِ
ومنْ خـصّـهُ منكُمْ تعـالى بـقُـربِهِ
(فـإنّا توسَّلْنَا بكـمْ للذي بـهِ
توسُّلُنا لله في نيلِنَا الوطَرْ)
وسـيلتِنَا العظْمى ، حظيـرَةِ سـعْـدِنا
مـشـفّـعِنَا المحـمـودِ ، مُنجِـزِ وعْـدِنا
مُـؤَمّلنا المبـرُورِ مـصْـبـاحِ رُشْـدِنا
(مُـحـمَّـدِنا المُخـتـارِ ، كَـعْـبةِ قـصْـدِنا
مُفْضي اللُبَاناتِ المَلاذِ من الغيرْ)
ألا يا شـفـيعُ المذْنبينَ تكـفَّـلا
يـا منْ لـهُ تـعْـنو الـوُجُـوهُ تـذلُّلا
ويا مُـوسِعَ العـافي جـدىً وتذلُّلا
(أناشِـدُكَ اللـه الكـريمَ تفَـضُّـلا

---

(69) أكة : شدة ، لسان العرب (أكك) .

فمُنْ علينا بالمُرادِ وبالظَّفر)

ومنكَ أقِمْ بالقِسْطِ في الفضْلِ وزْنَنَا
وأَذهِبْ وأَبْدِلْ بالمسَرَّاتِ حُزْنَنَا
ووَالِ وواصِلْ بالسَّعادة يُمنَنَا
(وكُنْ حِصنَنَا من كُلِّ خَوْفٍ ، وأمْنَنَا
ومعْقِلَنا ، أنتَ المؤمَّلُ والوَزَرْ)

وأَمِّن واحْمِ واحْفَظْ وانْصُرْ وعَمِّرْنْ
وحُط كلَّنا ، وامْحُ الخطايَا وكَفِّرَنْ
وفينَا ينَابيعَ الهِدايةِ فجِّرَنْ
(وفُلَّ ، وشَتِّتْ ، صُدَّ واهْزِمْ ودَمِّرَنْ
أعادِيَنَا ، لا تُبْقِ منهمْ ولا تذَرْ)

وقلِّلْ سرَاياهُمْ ، وأضْرِمْ شذَاهُمْ
وكثِّرْ سبَايَاهُمْ ، وأَخْمِد جذَاهُمْ
ولا تُنْقِذ منَّا مُقْلةً بقَذَاهُمُ
(وصُنْ بنا عنْ ضُرِّهم وأذاهُمُ
فلا بُوسَ نَلْقى مِنْ عِدَانَا ولا ضرَرْ)

وإنِّي لك الَّلهُمَّ مَبْسوطَةٌ يدَي
ومُسْتَشْفعٌ باسْمِ الجَلالِ المحمَّدِ
وأسْمائِكَ الحُسْنى لتَقْضيَ مقْصَدي
(وأَنْشُدُكَ الَّلهُمَّ بالنُّور أحْمدِ
فأجْرِ وحرِّكْ بالمُرادِ لنا القَدَرْ)

ونوِّرْ بذا النُّور المنيرِ سرَاجَنَا
بَصَائرَنا واجْلو انْطِمَاسَ انبِلاجِنَا
وفينا غداً شفِّعْهُ قبْلَ انزعاجنَا
(ومُر لي إلهي بالقضاء لحَاجِنا
بلا مُهْلةٍ كالبَرْقِ والَّلمْحِ للبَصَرْ)

وأظهِرْ به فضلاً على الكَوْنِ فضلَنا
وشمْلَ العدى بدِّدْ ، بجَمْعك شمْلَنا
فإنا حَطَطْنا عنْد بابكَ رحلَنا
وإنَّا غُلبْنَا غالبٌ فانْتَصِرْ لنا
أيَا غالب الغُلاب يَا خيْرَ من نصَرْ)
وأحْيِ عَلَيِ وفْقِ الهُدَى كُلَّ شِرْعَة
بنا وبنا أيَا أمتْ كلَّ بدْعَة
وَمَزِّقْ بِنَا الأَعْدَاءَ فِي كُلِّ بُقْعَة
(وَعَنْ بَيْضَة الإسْلام فَرِّجْ بِسُرعَة
ونسْبتَنا واكْشفْ عنِ الأمَّةِ الضَّرَرْ)
وتَدْيَ الأيادي كُنْ عليَّ مُدرَّها
ونُعْمَاكَ شُكراً أوْلني مُستَمِرَّها
أيا واهبَ الآلاءِ لي ومُقرِّها
(أدِمْ نضرة الدنْيا عليَّ وبِرَّهَا
وخيْراتها والعِزَّ والنَّصْرَ والبُشَرْ)
وهبْ ليَ فتْحاً بالسَّعادة مؤْذناً
وجزماً به أحْيى بوَعْدكَ مُوقِناً
ونصْبَ صراطٍ بالهُدى منكَ مُعلنَا
(وخَفْضاً لعيْشِ العُمرِ في مُنتهى الغِنى
بأحْكام رفْعِ القدْرِ لا أدَواتِ جَرْ)
وروِّحْ بكَ اللَّهمَّ رُوحي والبَدنْ
ولا تطْبني عنكَ البطالَةُ والدَّدَنْ[70]
وعنِّي تحمَّلْ ما تحمَّلْتُ من مُؤَنْ
(وأسْألُكَ الإسعادَ والحظَّ لي ، وأنْ

(70) الددن : اللهو واللعب ، لسان العرب (ددا) .

تُديمُ عليَّ السَّعْدَ والحفْظَ والفجَرْ)[71]

وأرجـوكَ أنْ أحْظى بيُـسـر مـشـفَّع
بعُـمْـر طويل في رضـاكَ مُـقطَّع
وتقْطَعَ إلا فـيكَ بـالْفَـضْلِ مطْمَـعي
(وتُثْـبِـتَني عنْدَ النُّزوع وكُنْ مـعِي
وعنْد مَمَاتي والتَّوَجُّه للحُفَرْ)

وتبْث يقـيني ، ثمَّ لا ألْقَ دَهشَـةً
وزدْني سُـروراً باللُّقـاءِ وبَشْـةً
ولا أخْش من أجنَاد بطْشكَ بَطْشَـةً
(ولا أرَى في قَبْري مَضـيقاً ووَحْشَـةً
وفي الحشْر لا ألْقَى وما بعْدَهُ ضجَرْ)

إلى أنْ أرَى لي مَقْعَد الصِّدْق مَقْعَدًا
معَ المتَّـقينَ الغُـرِّ عنْدَكَ مُسـعَدًا
بقُـربِي إمـام المُرسلينَ مُـحمَّـدا
(وتُنْزِلَني أعلى الجِنانِ مُـخـلَّدًا
وأكَدُ حاجَاتي إلى وجهك النظر)

وحُقّ نجـاحي مُـذْ إلى بارئ الورَى
تشـفَّـعْتُ بالمخْـتـار أكْـمَلِ مَـن رَى
وبالصَّـحْبِ في إتمام قَـصْـدي مُـيسَّـراً
وصلى على النور المقَـدَّسْ من سَـرى
به ليْلةَ الإسرَا على مُنْتَهى السِّدَرْ)

وشـرَّفَ مِـعْـراجَ السَّـمـاءِ ببـدْرِه
وأودَعَ سِـرَّ الكـائـنـاتِ بِصَـدْرِه

---

(71) الفجر : محركا ، الكرم ، العطاء ، المال الكثير ، نفس المصدر .

وصـــيَّـــرَ مَـــجْلَى الذّاتِ مـــرْآة دُرِّه
(وكَلَّمَـــهُ فـــرْداً مُـــشـــرِّفُ قـــدْرِه
وما زاغَ مِنْهُ أو طَغَى ثَمَّة البصَرْ)
ولا زالَ مُـــسْـــمِي أفْـــضَلِيَّـــتِـــه على
سُـــمـــاة العُلَى فـــهْـــوَ المحـــيطُ بما عـــلاَ
يُعـــوِّذُهُ مـــا اعـــتَـــادتِ الغَـــزْلَةُ الفَـــلا
(صـلاةَ سـمَتْ فـضـلاً على غـيْـرِهَا فـلا
يُحيطهُ وهْمٌ لا ولا ألْسُنُ الفكرْ)
وعظَّمَ تعظيـــمـــاً تخـــرُّ لهُ القُنَـــنْ
وكـــرَّمَ تكريماً تُضـــاعَـــفُـــهُ المِـــنَنْ
مكَانَتَـــهُ مـــا رنَّحَتْ شـــمْـــأَلٌ فنَـــنْ
(وسلَّمَ تـسْليـمـاً عليـهِ يجِـلُّ عَنْ[72]
مُسَاوَمة الإحصاء والعَدِّ والقدَرْ)
والآل الأُلَى مـــا عـنْ هُداهُ تبـــرَّمُ
وأمْـــرُهُمْ في مـــسْلَكِ الصِّـدْقِ مُـــبْـــرمُ
ومَـنْ هُـوَ بـالـدِّيـنِ الحَـنِـيـــفِـيِّ مُـكْرمُ
(سَـجِـيس اللَّيـالي مـا تشَـوَّقَ مُـغْـرمُ
وما غرَّدَت ورْقَاءُ في مُورِقِ الشجَرْ)

والحمد لله الذي أكرمنا بمنه وفضله بحج بيته المحرم ، وزيارة قبر نبيه ﷺ المعظم ، حتى أنشدنا هذا التخميس بالحرم النبوي وغيره من المدائح النبوية كقصيدتنا الدالية المتقدم ذكرها في أوائل هذه الرحلة وكقصائدنا الثمانية والعشرين المسماة «مطالع الأنوار في مدائح المختار» التي ذكرنا صفتها في أوائل الرحلة ، وأثبتنا منهن ثلاثا فيها هناك .

(72) شمأل : الريح التي تهب من ناحية القطب .
فنن : غصن .

وقد أكثرنا بحمد الله أيامنا بالمدينة المنورة من إنشاء أمداحه ﷺ ، تقربا واستجلابا لبركته وشفاعته ﷺ ، لما ورد في بعض الآثار من أنَّ من مدحه ﷺ ، ولو ببيت واحد ، كان شفيعا فيه يوم القيامة ، وسواءٌ في ذلك أنشأ البيت أو أنشده ، كما نظمه بعض الأجلة فقال :

[الرجز]

و مادِحُ النبي ببيْتٍ كانَا
له شفيعاً في القيام جانَا
وفي الشفاعة اسْتواءٌ من حَكَى
ومُنشئ البيْت السجلماسي حكى

ومن أحسن ما أنشد في المدائح النبوية تلك الأيام ، بذلك البلد الحرام ، قصيدة الأستاذ الشيخ مربيه ربه التّائية ، وقصيدة صنوه الشيخ محمد الإمام الهمزية ، فلكتا القصيدتين لا تجارى في مجالها ، ولا تُحاكى في منوالها ، لم يكن لهما شبيه في الإجادة وحسن الصناعة ، وتمام البلاغة وكمال البراعة وكيف لا والشيخان الفريدان هما اللذان نظما فرائدهما وزفّا إليه صلى الله عليه خرائدهما :

[الطويل]

فهلْ ينْبتُ الخطيَ إلا وشَيجهُ
وتغْرَسُ إلا في منابِتِهَا النخْلُ(73)

وقد اقتضى النظر إثباتهما في هذه الرحلة لإقرار عين الناظر ، وتنشيف أذن السّامع ، بما اشتملتا عليه من المحاسن والبدائع .

(73) وشيجه : من الوشيج ، وهو شجر الرماح .

فأما مديحية الشيخ مربيه ربه التائية فهي(74) :

[البسيط]

أثارُ ربْع أثارتْ عند ذكـــــــرتــــــه
مَكامنَ الشُوْق فــاشــتـدت بزَورتــه

حـيَّـاه جـودُ الحـيَـا بديمَةٍ سـحَـسرا
أرْوَتْـهُ لا زال يـرويـه بـديمَـتـــــــه(75)

هبَّت عليـه الصَّـبَـا تنصبُ منْ صـبـب
لو لا الصَّـبـا مـا صـبـا صبّ لِصَـبْـوتـهِ

فــأومضَ البــرقُ وهْناً فــوق كلْكــه
طوراً يمينا وأحـــيـــانا بيـــســـرتِـه

بتْـنـا عـلـى أنُـس مـنـهُ وبـات عـلـــى
أرجـــائه بين يُـســـراهُ ويُمنتـــه

وأصـــبحَ المزنُ ينهـــمي بهَـــجـهَـجـه
وزمــزمَ الرّعــدُ فــيــه طول ليـــلتــه(76)

مـــا البــرقُ للرّبع إلا كـــان مـــرحَـــمَـةً
يرْثيــه في ظَبْيــه منْ بعْــد فـــرقَـتــه

(74) توجدنسخة خطية لهذه القصيدة بخط الشاعر بخزانة ولده المرحوم علي ، وقد زودني بها مشكوراً ابنه النعمة ماء العينين ، أنظر هذه القصيدة أيضا في : قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين للشيخ مربيه ربه ، و 288 .

(75) الحيا : المطر

ـ ديمة : مطر ليس فيه رعْد ولا برق ،لسان العرب

(76) هجهجه : شدته .

ظَبيٌ أغنٌ مــصـــادُه الأســـودُ وقــد
أوْ ثقــتُــه بفــؤادي خــوفَ نفْــرتِه
غــصنٌ ســقَــايتُــه عــيْني ومنْبـتـــه
قلبي ، عــجــبْتُ لَمشْــقَــاه ومــنْبـتـه
نشــوانٌ يعــثُــر في مــرْط الشــبــاب ولــمْ
يرْحم مــشُــوقــاً ولم يقلْ لعَــثْــرتـه[77]
تحــمَّلَ الربُعِ من فــقــدانه أســفـــاً
مــا قــدْ تحــمَّلْتُ شــوقــاً عند رُؤيـتـه
لهــيــبُ وجنتــــه بين الضلوع ، ومــنْ
دمــعي أخـــافُ على لَهــيبِ وجنـتـه
آنست نارَ الهــوى حــتى أنستُ بــهـــا
والزّنْدُ لـم يشكُ من نيـــران قــدْحَــتـه
يا وَجــدُ شـــأنَكَ والحــجَــا ودَع ومــقــاً
مـــا غـــيـــرُ من زلْ مـــأخُـــودُ بزلَّـتـه
مـــا لاحَ برق ســـوى نُور النّبيِّ ومَـــا
ذيالِك الوجْـــدُ إلا منْ مـــحـــبـــتـه
أرى حَــيــاتي مَــمَــاتي في مــحــبّــتـه
يا ليــتني كنْتُ منْ أرباب حَـــضْـــرتـه
أسكنتُـــه في جناني وهْو جُنّـــتُـه
سُـــقْـــيَـــا نعــيم جنا قلبي وجَنّـــتـه
ســـقـــاهُ راحُ الهـــوى صـــرفـــاً وعلّلَـــه
فلم يزلْ صـــاحـــيـــاً في حـــال سَكْرتـه
أصْـلُ المكـون نُـورُهُ ومـــبـــدأهُ
والمنتـــهـــون تناهوْا دون بدْأتـــه

---

(77) مرط : ثوب من أو صوف و خز أو غيره ، لسان العرب (مرط)

مـنَ المـلائـك إلا أنّـه بـشَـــــــرٌ
هـو الـنـبـيُّ وآدمٌ بـطـــــينـتـــــه[78]
مـحـجّـةُ الله ، وهْو عينُ حُـجّـتـه
وحُـجَّـة الله تجْـري في مـحـجّـتـه
صـدْرُ المناصب فـضْلٌ في قـضـيَّـتـه
غـزْرُ المواهب عـدْلٌ في رعـيـتـه
وقـدرُ همَّـتـه بقـدْر منْـصـبـه
لأن منْـصـبـه كُفءٌ لهـمّـتـه
تعنو الوجُـوه لوجـهـه ووجْـهـتـه
تهْـدي أسنَّتُـه الاعْـدا لسُنـتّـه
خطُّ اسـتـواءِ المعـالي شُمُّ أجـبُلهـا
يشْـفي صـدورَ العـوالي بَطْشُ حِـدتّه
أحـاطَ بالدّهر علمـا لم يزل عـجـبـاً
يقلّبُ الدّهر فـيـه جَـفْنَ حـيْـرته
ودّ الكواكبُ أنّهـا مـواكـبُـه
أو بيـضُـه وخُطاها دون خَطْـوته
ينْهَلُ جـوداً وينهَلُ الغـمـامُ فـذا
تطـبُّعٌ وهْو طبْعٌ في خليـقـتـه
تـودُّ هـالـةُ بـدْر الـتَّـمّ نـاديَـه
ودَارةُ الشّـمس من ضـرّات حـبْـوته
لو كـان للخـضْـرم الطّامي سـمـاحـتُـه
لم يخـزن الدرّ عن غَـوّاص دُرته
محـا نحـوس العِـدا ميْـمُـون طائـره
وطائرُ النصـر يشْـدو فـوْقَ دوْحـتـه

(78) من الملائك : هو الملائك ، في الأوراق المخطوطة بخط الشاعر .

والقهرُ والنصرُ والتأييدُ عُدتُه
وهلْ يغالبُ معتدٌّ بعُدّته
والغيثُ والليثُ والأقمارُ في شرف
في كفّه ولقائه ورُؤْيته
واليُمنُ والخيرُ والسّرا بيمْنته
والبأس والفتكُ والضرّا بيسْرته
والنّصر والقَهْرُ يجريَان صُحْبَتَهُ
فَمنْ مَكاتِبه أوْ مِنْ كَتيبَتِه
والنفع والدّفع غايتان بحُرهمَا
يستَنُّ بيْن صلاته وصوْلته
والحزم والعزم والتمكين أهْبَتُه
فلم تَقُمْ أُهْبَةٌ يَوْماً لأُهْبَتِه
والصبر والشُكْرُ والجِهَادُ حِرْفَتُهُ
يجْري المُنى المَنايا طبْقَ حرفته
تغلو مهَابتُه رائيه منْ بُعُد
وإن دَنا كان رِفْقاً في محبُّته
يغدو الجَبَانُ غضنفراً بعزْمته
من قادهُ أسَدٌ يسطُو بسطْوته
لو يرْتمي منه يومَ حرْبه شررٌ
في اليمّ أصبحَ نيراناً بلفْحته
أو صافحَ الصخرة الصمّاءَ إصبعُه
في السّلم أمسَتْ حريرا من مبرته
صغيرةُ الدّر لوْ من خلقه مُزجَت
بالبحْر لا عذَوذبتْ عُروقُ ملْحَته
هو الحَيِيُّ وما للأسْد وثْبتُهُ
إنّ الهزبر حييٌّ قبلَ وثْبَتِه

أمـــدٌ دولتَــــه ، أبادَ عـــاديــه
مـــديدُ أمـــداده ســـريعُ صـــولتِــه
مـــا فــاته ســـوددٌ والمجـدُ مُـقـتـصـر
عليـــه والعـــزُّ يجْــري في أعـــنّتِـــه
لوْلاهُ مـــا رحـــمَتْ أمٌ بُنيَّـــتَـــهـــا
واللهُ أرحمُ وهْو عـــيْنُ رحْـــمـــتـــه
مــــا ارتاحَ قطُّ لراحــــةٍ وراحـــتُـــه
مـــا بيْن غـــدْوته لُقَى وروْحـــتـــه
رُوحُ أراويحنَا ســـيفُ مـــســـامــعنَا
ممَنْ يفُــوحُ الشــذا من طيبِ قــصّــتــه[79]
كم شــاهدُوا من عــجــيب يشْــهــدون بــه
فــي حـــمْلـه وبُروزِه ونشْـــــأتــه
فــمــا اعْــتَــرى أمَّــه مــغْصٌ ولا وحـــمٌ
وأوْلدتْــه نَقــيـــاً بعْـــد تســعــتــه
وسُـــرٌ مـــخْـــتَـــتناً لله مُـــخْـــتَـــتَنٌ
من غــيْـــر مـــوسى تولّى قطعَ سُـــرته
والأرضُ قـــدْ أشـــرقَتْ نُوراً بمولـــده
وليْلة القـــدْر لمْ تُعـــدل بلَيْلَتِـــه
يا حـــبّـــذا ليلةَ الاثْنين آخـــرُهـــا
والحـــمْلُ في رجَبٍ بليْلِ جـمْـعـتـه
وشبَّ شــهْـراً شــبـابَ العَــام إنّ لـــهُ
رزْقـــاً من الله يجـــري غـــيـــر درته
أمـــستْ حليـمَــةُ ملئـاً ثدْيُهـا غـــدقٌ
ولم يكُن فــيـــه درٌّ قـــبل رضْــعـــتـــه

---

(79) من طيب : من نشر ، في الأوراق المخطوطة بخط الشاعر

عن كتْمه ضاقَ صدْر الغيب كيف لهُ
أن يكتم البدْر في أثناء طَلعته
مسْراهُ فرداً إلى منْ لا شريكَ لهُ
يقضي بغير شريك في قضيته
فمفخرُ العالَم العُلوي بمطلَعه
ومفخَرُ العالم السُّفْلي بطلعتِه
أمست تُباهجُ أرضنَا السَّماءُ به
حتَّى تَراجَعَ فلْتَهْناً برَجْعته
قد ارْتَقَى مُرتَقىً لم يرقَهُ ملكٌ
ولم يَحُمْ من رسولٍ حوْلَ حوْمتهِ
ما ثمَّ إلا رسولُ الله مُنْفرداً
ومفرجُ الروح ثمَّ عند سَدْرته
لما توحشَ أزْجى الله صوتَ أبي
بكرٍ فكان به إيناسُ وحْشته
أوحى إليه الَّذي أوحاه وافتُرضتْ
خمسون خفَّفها أثناء عوْدته
كَستْ سراياهُ وجهَ الأرض مفْخرةً
والعُلوُ تَاهَ عُلواً عند سِرْيَتِهِ
فجَلَّ مرتبةً عمن يُشاكلُه
وليْسَ إلا العليُّ فوقَ رُتبته
خيرُ النبيئينَ منْ بفضله نطقتْ
كتْبُ النبيئين دهْراً قبل بعْثته
إن كان آدم صفْوةً ونوحُ دعا
حتَّى طغا الماءُ إيجاباً لدعْوته
وغرَّقَ الله منْ في الأرض قاطبةً
ولم يُنجِّ سوى منْ في سَفينته

أو كـــان في الدِّين إبراهيمُ مُـــتَّـــبـــعًـــا
واخـــتـصَّ منه بِبَـــيْـــتِـــه وخُلّتـــه
أو كـــانَ مـــوسى نجـيًّـــا مُـــخلصـــاً ولـــهُ
خـــوارقُ والعـــصَـــا قـــامتْ بحُـــجَّـــتـــه
أو كـــانَ عـــيـــسَى بإذنِ الله يَبْـــعَـــثُـــهـــمْ
مـــوتى ويُدعى بِرُوحـــه وكلْمـــتـــه
فـــإنْ طَهَ حـــبـــيبُ اللهِ يَبْـــعَـــثُـــهـــمْ
مَـــوْتى ويُدْعى برُحـــه وكلْمـــتِـــه
وأولُ الخـلـقِ خـلـقـــاً وهْـو أوَّلُـهـــم
بعـــثـــاً وأولُ جَـــائـر بأمـــتـــه
وفي يديْه لواءُ الحـــمـــد يومـــئـــذْ
والخلقُ يـهـــمـــسُ كُـــلا تحتَ ظلتـــه
وهْو الشـــفـــيعُ الخطيبُ في مـــراكـــزهمْ
مـــا فـــاهَ ذلقٌ ولمْ يفُـــهْ بخُـــطبـتـــه[80]
فـــذالك اليـــومُ يومُـــه وكَـــوثـــره
يجْـــري المصـــمّمُ شـــهـــراً في مـــســـيرته
بحـــافـــتـــيـــه قـــبـــابُ الدر لامـــعـــةٌ
والمسكُ طينتُـــه أكـــرمْ بطـــينتـــه
تَبـــارك اللهُ مـــا أحلى مَـــواردهُ
وَليسَ يظمـــأُ صـــاد بعْـــد شُـــربتـــه
لولاهُ مـــا خلقَ الدنيـــا وخلْقَـــهـــا
ليـــعـــرفن أهلُهـــا علْيَـــا مـــزيتـــه

(80) ذلق : فصيح .

وكُلُّ مُعْجِزَةٍ للرُسُلِ أُوتِيَهَا
أَوْجَا بِأَبْلَغَ مِنْهَا في نُبُوتِهِ
وكلُهم مستمدٌ من زواخره
بقدْر أمداده وقدْر مدَّته
لولاهُ آدمُ لم تُغفرْ خطيئتُهُ
ونوحُ لم ينجُ من طوفان دعْوته
والنارُ لمْ تكُ برْداً للخليلِ ولمْ
يُفدَ الذبيحُ ألا فاعْجَبْ لفديته
والمفْتدَى هوَ اسماعيلُ إنَّ لهُ
عنْدي أسانيدَ صحَّتْ منْ أدلته
وما تفلقَ بحرٌ للكليم وما
أُميتَ فرعونُ في أعماقِ لُجَتَه
لهُ الأراضي انْزوَت من كُلِّ ناحيةٍ
حتى أرته أقاصي مُلكِ أمتهِ
وسبَّحتْ في أكفِّه الحَصَا وحصَى
جَيشاً فأعماهُمُ كل بحِصَّتِه
والشمسُ رُدت لهُ مِنْ بَعْدِ ما غُربت
وأخبِست لقريش بعْد سَرْيته
والماء بينَ الأصابع الشَّريفَةِ في
شتى مواطنِ مشهودٌ بكَثْرته
والمزْنُ هلَّ بنصره وظلَّله
وهكذا أبداً يسعى لخِدْمته
كم مُمرع صيِّب أهدى لحَضْرته
طوْراً يعمُّ وطَوْراً حدٌّ بُغْيته
لو ينزع السهمُ من قوسِ الكواكبْ لم
يكُن له في أبيِّ وقْعُ رَمْيَتِهِ

أمسَى به الكفرُ مهْدومَ البنَا وغَدا
دينُ الشرائع منسوخاً بشرعته
لوْ كانَ شاهدَ شدادٌ جلالتَهُ
لعفَّرَ الوجْهَ تعظيماً لحُرمته
أما وسطْوته بمنْ طغوْا وأبَوْا
إلا الضلالَ وحِزْبُهمْ بسَطوته
لُمستقيمُ صراط الله مندرجٌ
في مصحفٍ سنته وفي أسنَّته
تَضَعْضُعُ الكفرِ واتخفاظُ ذرْوَته
يَجْري إلى البعثِ منْ أيَّام بعْثَته
قد بَادرتْه ببدْرٍ كلُّ بادرَة
جدَّتْ بوادرهُ ورأسَ حيَّته
واغْتالهُ هرمٌ أفْنى شبيبَته
والدين أول يوْم من شبيبته
واجتُثَّ في أحُدٍ وحادَ محْتدُه
ولم يزلْ تندب الصرْعَى ببُغْيته
وحزبُهُ انْهدَّ في الأحْزاب مَوقفُه
وهالَ أحزابَه أهْوالُ وقْعته
ويوم خيبرَ لم يتْركْ لهُ خبراً
ويوْمُ مؤتَة كانَ يوْمَ موْتته
والصلحُ والفتحُ كانا توأمين على
إزْهاقهِ وذهابِ رُوح غيْرته
وحانَ يومَ حُنينٍ حَيْنُه وجَرى
على محبته تضْحيفُ محنَته
واذكرْ أسودَ المهاجرين منْ هجروا
أوطانهم في رضى المولى وخشيته

فـمـا أمـالهُم الغُـصنُ المـالُ ولا اللَّـ
خْظ الحـاكي سـهـامـهم بطـعْنته

ولا انْثنَوا لثنايا شـادن كـحـل
حـاشَـا ولا التـفـتُوا لحُـسنِ لَفْـتـتـه

كـأنّما الخَـالُ مـسكٌ في مُـورِّده
كـأنما سنَةٌ تجْـري بمُقْلَتـه

كـلا ولا جنحـوا يوَم الوداع لمـنْ
بينَ الجـوانح شَـبّت نارُ فـتْنـتَـه

مـن كـلٌ ممْتـلـئ الإزار نـاظـرُهُ
يفْـدي نواظِرَهُ المرضى بصـحّـتـه

فـرُّوا إلى الله كـلٌ عنْ حـلائـلـه
عنْ والديه وصـحـبـه وإخـوته

مـا صـدهم عنْ رسـولِ الله مـا وجَـدوا
بلْ زادهم في التـزامـه وصُحـبـتـه

أولئك الأولونَ السَّـابقـون عـلـى
جـرْد اليـقين إلى تصـديق دعـوتِه

واذكـرْ مـواطن للأنصـار شـاهدة
بأنهُـم نـصـرُوه حقٌ نُـصـرتِه

تبـوءوا الدّار والايمانَ ، حـبُّـهمُ
لمنْ يهـاجـر فـيـهمْ عنْ عـشـيـرته

سـمّـاهُمُ الله أنصـاراً وبشّـرهُـم
بالمصطفـى أنهم همْ دارُ هـجْـرته

والموثرونَ لو اشـتـدّتْ خَـصـاصـتـهم
والقـائمـونَ بعـزّه ومـنْعـتـه

فكمْ أعـزُّوا ذليـلاً بعـد ذلّـتـه
وكمْ أذلوا عـزيزاً بعْـد عـزّته

هُمُ الصَّحابةُ من فازوا بصُحبتِهمْ
لِخَيْرِ مُصْطَحِبٍ سَادُوا بِصُحبَتِهِ
فبايعوهُ عَلَى ما اللهُ قالَ لَهُ
واللهُ جلَّ تولّى عقدَ بيعتِه
كلٌّ نحا نحوَهُ وسنَّ سُنتَهُ
يرعى رعيَّتَه يحمي لحومتِهِ
من كلِّ من شابَ في الأهوالِ مَفرقُه
لم يلْهُ إلا بسيْفِه وصهْوته
تكبو الجيادُ ولا تكبُو عزائمهُ
ينبُو الحسامُ اليماني دونَ نجْدته
يَجُرُّ أذيالَهُ في كلِّ مُعترك
شاكي السلاح مُناهُ في منيَّته
إذا تخلَّل درعاً خلْتَهُ أسداً
يَصولُ أو خلْت ثُعباناً بحلَّته
لله كم صبَّحوا منْ جحْفلٍ لجبٍ
تعثُّر النجْمُ في منسوجِ هَبْوته
ومعقلٍ عقلوا سَبْياً عَقائلَهُ
أمسَى قِفاراً يُعَزَّى في أَعِزَّتِه
سَلِ العراقينِ هلْ للفُرس باقيةٌ
وهلْ بقاءٌ لكسرى بعْد كَسْرته
وسَل عن الرُّوم شامهمْ وقيصرهُمْ
عنْ نَصْره قصَّرتْ ألطافُ حيلته
يا مهبطَ الوحي معدنَ العُلوم ويَا
من يعْلمُ السِّر يا أسْرارَ حِكمتهِ
يا مَنْ مُحَيّاهُ مُخْضَلٌ الحيَاءِ به
يَكادُ يقطُرُ ماءً من أسْرارَ حِكْمته

يا ضِـــئْـــضِـئَ المجْـــد شُـــؤْبوبَ المكارمْ يا
من في الغيـوبِ حضـورُه كـفـيـبتـه[81]
يا مـالي العـيْن والأســمـاعِ منْــقـبـةً
وبهْـــجـــةً وكـــمَـــالاً عند ذكـــرتـه
يَا مَنْ إذَا الغَـيْثُ غَـاضَ فَـاضَ مُـزْبَدُهُ
وغَـرَّقَ الجَـدْبُ في أَنْهَـارِ ضِـفَّـتِـهِ
يا منْ تعــاظَمَ هيْـبـةً ومـــوْهبـةً
والناسُ بينَ رجـائه وخَـشْـيَـتـه
يَا مَنْ أَبَاحَ حُـصُـونَ الشِّـرك بَارقُـهُ
حَـتَّى مَـحَـا بَسَنَاهُ لَيلَ ظُلْمَـتِـهِ
يا أوجـهَ الخلْق وجْـهـاً عند خـالقـه
ومن تخـرُّ الوجـوهُ نحـوَ قـبلـتـه
فَـهبْ شـفـاعـتك العظمى لمُعـتـرف
بما اجـتـناهُ وبالغْ في مـبـرَّته
يـا رب هـبْ لـي بـه عـظـيمَ مـنزلـة
هذا عُـبـيـدٌ شكا منْ عُـظم زَلَّتـه
يَارَبِّ واجْـعَـلْ رِضَـاكَ حُلَّتِي أَبَداً
والشُّكرَ سِـمْنِي بحَلْيِـه وحِـلْيَـتِـه
في ذمـة الله مَن أولى الأمـور لـهُ
وهْوَ الذي لا يضـيعُ منْ بذمـتـه
أنعِشْ أغِـثْني أرِشْ يا ملْجَـاي أمَلي
منْ لا يُبـالي بذنب عـفْـو رأفـتـه[82]

(81) ضئضئ المجد : أصله .

(82) أرش : أصلح حالي .

اســتـغـفـرُ الله يا ذا المنِّ مَـغـفـرةً
للعَـبْـد بالتـاءِ تمحُـو حـاء حَـوبَتِـه[83]
عـبـدٌ أطاعَ الهَـوى والفـجْـرُ مُـخـتلطٌ
بـلَـيْـلـهِ وأطـاعَ غـيٌّ شـرَّتـهِ
إنـي ومـنْ لـي وكُـلُّ مـنْ تـعـلـقَ بـي
في سُـور مـأمنه وأمنِ حـوْطـتِـه
أصلحْ بنا الدينَ والدنيـا وأمَّـةَ مـنْ
به تشـفَّع يجْلو غـيْنَ غُـمـتـه[84]
يـا رب أصـلـح لـنـا الـداريْـن إن لـنـا
تمسُّكاً بالنبيِّ الهَـادِي وعُـرْوته
إذا تـسـامَت لشُكره قـرائحنَـا
تُملي شـمـائلَهُ ضُـروبُ نعـمـتـه
كـأنما اللؤْلـؤُ المكنُـونُ يُنْثَـر أوْ
مَـخْـتُـومُ مـسْك يُفَضُ عنْدَ مـدْحـتـه
لوْ حـاولَ الشُّـعـرا نظمَ الكواكبِ في
سـمْط الثناء لأعـيَـوْا دونَ جُـملتـه
وليْـسَ يحـتـاجُ مَـدحـاً بعـدَ خـالقـه
إذْ غـيـرهُ لا يؤدِّي نَـشْـرَ طـيْـبتـه
فـاقـرأْ ليـاسينَ والضُّـحى ومـثْلهُـمـا
إن كنت جـاهلَ قـدْره ورتْبَـتـه
يـا ربِّ صلِّ صـلاةً لا نظيـر لهـا
عليْـه مـا ارتاحَ مُـرتاحٌ لرَحْـمـتـه
سلم سـلامـاً عليْـه لا يكافـئُـه
بينَ النبـيـئينَ إلا قـدْرُ رفـعـتـه

---

(83) حوبته : شدة وسوء حاله .

(84) غين : غشاء .

وأما مديحة الشيخ محمد الإمام الهمزية فها هي(1)

[البسيط]

مَا كُنْتَ مُنْذُ زَمَنٍ تَرْجُوهُ هَذَا هُوَ
هَذَا شَفِيعُ الْوَرَى بُشْرَاكَ هَذَا هُوَ(2)

هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ
وَإِنْ تَشَأْ وَصْفَهُ تُنْبِيكَ أَسْمَاؤُهُ

هَذَا النَّبِيُّ سِرَاجُ الْكَوْنِ جَوْهَرُهُ
وَمَنْ تَدُورُ بِهِ لِلْكَوْنِ أَرْحَاؤُهُ

وَذَا خَلِيفَتُهُ الصِّدِّيقُ صَاحِبُهُ
مَنْ لَا تُرَى فِي جَمِيعِ الصَّحْبِ أَكْفَاؤُهُ

فَرِيدَةُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ الْمَنَاقِبِ بَلْ
يَتِيمَةُ الْعِقْدِ عِقْدِ الدِّينِ عَصْمَاؤُهُ(3)

وَذَاكَ عُمَرُ الْفَارُوقُ تَلْوُهُمَا
مَنْ لَا تَزِيغُ عَنِ التَّوْفِيقِ آرَاؤُهُ

مُوَطِّدُ الدِّينِ وَالْمُرْسِي قَوَاعِدَهُ
حَتَّى اسْتَقَامَتْ بِكَفِّ الْعَدْلِ عَوْجَاؤُهُ

وَذَاكَ مِنْبَرُهُ الْأَسْمَى وَمَسْجِدُهُ
وَحَيْثُ أَزْوَاجُهُ كَانَتْ وَأَبْنَاؤُهُ

حَيْثُ النُّبُوَّةُ تَبْدُو مِنْ مَنَازِلِهِ
وَحَيْثُ تُتْلَى مِنَ التَّنْزِيلِ أَنْبَاؤُهُ

---

(1) أنظر القصيدة في: صاحب البلاد الربيطة ص 84-85-86.

(2) هذا البيت مأخوذ من مطلع قصيدة الشاعر الشنقيطي عبد الله بن سيدي محمود المتوفى سنة 1255هـ، في نفس الموضوع، الوسيط، ص 361-363.

(3) عصماؤه: قلادته.

وما البقيعُ ألا أحبِبْ به بلداً
تُقضى بهِ لأخِ الحوجاءِ حوجاتُه(4)

وما النقيعُ وما وادي العقيقِ وما
معسولُ أمواهِهِ الجاري وحصباتُه(5)

حيثُ الأحبّةُ تزهو في جوانبِهِ
وحيثُ يجري إلى ساحاتِهِ ماتُه

وحيثُ تلتفُّ بالأيكِ الغصونُ به
وحيثُ تمتدُّ تحتَ الدوحِ أفياتُه(6)

ولترمِ طرفَكَ نحوَ السفحِ من أُحُدٍ
تلمحْ على الفورِ لمحَ الطرفِ أقداتُه

وفي مدينتهِ الغراءِ موطنُه
دارُ السرورِ لمن وافى ونعماتُه

وفي حدائقِها تهتزُّ باسقةً
حُسناً كما هزّتِ النشوانَ صهباتُه(7)

محلُّ هجرتِهِ مأوى لعترتِهِ
أنوارُ شمسِ الهُدى فيها وأضواتُه

مقرُّ من هاجروا لله أو نصروا
الصحابةُ وهمْ حقاً أحبّاتُه

---

(4) البقيع : مقبرة المدينة بوسطها المسطح ـ

ـ الحوجاء : الحاجة ..

(5) وادي العقيق : واد قريب المدينة كثير العشب والماء ، النقيع : موضع قريب المدينة ، كان الرسول ﷺ حماه للخيل ..

(6) الأيك : الشجر الكثيف الملتف مفرده : أيكة

(7) الصهباء : الخمر ..

وهُـمْ هُـمُ جُـنـدُهُ فـي كُـلِّ نـائـبَـــة
وهـمْ هـمُ النُجُـمُ الإسـلامِ لالاؤهُ[8]

وهمُ عـيـونُ الهُـدى تيـجـانُ هامـتـه
سـوادُ مُـقلتـه بلْ هُمْ سـويْداؤهُ

يا حـبـذا بلدٌ كـان الحـبـيبُ بـه
تُمـحَى به عَنْ أخ الحـوْجَـاء حـوْجـاؤهُ

فـاستـفْـرغ الجُـهـدَ في نيلِ الوُصـول لهُ
إصـبـاحُـهُ نحـوهُ دأباً وإمـسـاؤهُ

واسـتـعـمل الذِّهنَ في صـوغ المديح لهُ
يكونُ إنشـادُهُ فـيـه وإنـشـاؤه

قـالوا ألمْ ترَ أحـزابَ العـدَى حـشـرتْ
من دُونه فكسَتْ للجـوِّ ظلـمـاؤهُ

فـقلتُ هلْ يرْعَـوي قلْبُ المحبِّ وَهَلْ
تُثْنى عن الفَلك الدَّوَّارِ جـوْزاؤهُ[9]

كـيف اصطبـاري وهذا الرُّكبُ مـرتَحلٌ
تهْـفـوا بذكـر حـبيبِ الله آنـداؤهُ[10]

من كُلِّ حـرَّان قـد ذابتْ حُـشـاشـتُـهُ
من حـرِّمـا اتَّقـدتْ بالشـوْق أحـشـاؤهُ

إن سُـدَّتِ الطُرْق عنْ مـغناهُ أو مُنعتْ
فـاستـغـجَـمَتْ عن دقـيق الفكـرِ آراؤهُ

فَـانْصَبْ منَ العَـزْمِ جِـسْـراً للْعُـبُـورِ لَهُ
لِتَنْزَوِي مِنْ سَـحـيقِ الرَّبعِ أرْجَـاؤهُ

---

(8) لألاء السراج : ضوؤه .

(9) ارعوى ارعواء من الشيء : كف عنه فهو مرعو .

(10) الاصطبار : الصبر .

ولا تردُّكَ أعداءٌ لهُ عرضَتْ
فلنْ تردَّ عن المحبوبِ أعداؤُهُ
ما حُكمُ ذي الشّوقِ كلا حُكمُ مسألة
بلْ ما اقتضتْ منْ دواعي الوصْلِ أهواؤُهُ
وإنّ للهِ ألطافاً مشاهدُها
تجْري بريحٍ من التّوفيقِ أنواؤُهُ
فاقطعْ بماضي سُيوفِ العزمِ منْصلتاً
حرفَ المُضارعِ إن يُعجبْكَ إمضاؤُهُ[11]
لاتنتظرْ بابتِرامِ الأمرِ أهْبتَهُ
فقبلَ تشحيذِ حدِّ السيفِ إنضاؤُهُ[12]
ولا تكنْ مثلَ من كانتْ عزيمتُهُ
كما تلوّنُ فوقَ الغُصنِ حرْباؤُهُ
إنّ الفتى من متى يهممْ بناحيةٍ
كادتْ تُسابقُ همَّ القلبِ أعضاؤُهُ
لاتطبي قلْبَهُ بيضاءُ غانيةٌ
ريُّ الخلاخلِ غرثى الكشْحِ هيفاؤُهُ[13]
لعساءُ تفتَرُّ عن درٍّ متى برزتْ
تندكُّ من طودِ عقْلِ المرْءِ صمّاؤُهُ[14]

---

(11) المنصلت : من السيوف : الصقيل الماضي ، النافذ .

(12) إنضاء السيف : او انتضاؤُهُ ، من انتضى السيف : أستله من غمده .

(13) غرثى الكشح : دقيقة الخصر

- هيفاء : رقيقة الخصر

- ريّ الخلاخل : طيبة الرائحة

(14) لعساء : من لعس لعسا : كان في شفته لعس أي سواد مستحسن .

- تفتر :تتفتح

لم يدرِ ذو العذْل ما يخفي الشوقُ وما
تضمّنَتْ من أليم الوجْد أحشاؤهُ
هَمٌّ تقلقلَ في صدْري أُجَمجِمُه
واليومَ قد غلب الصدورَ إخفاؤهُ(15)
لم تُجْدِ سوف سوى تسْويفِ صاحبِها
حتّى تفُوتَ من المقصودِ آناؤهُ
أرى من العجْزِ كوْنَ الصبِّ في طَرَفٍ
من البساطِ وفي الثاني أحبّاؤهُ
لا يُؤيسنّكَ ضعفٌ عن وصولكَهُ
قد تسْبقُ الأُسْدَ عنْدَ العوْدِ عرْجاؤهُ(16)
قلْبي بتلكَ المغاني هائمٌ كلفٌ
إنْ هامَ قلْبُ فتىً تيّمتْه حسناؤهُ
واهاً لصبٍّ بأقْصى الغربِ يُنعشُهُ
رجاؤهُ ويذيبُ القلبَ إرجاؤهُ
ما الشامُ قصْدي وما تُبديه غوْطتُهُ
ولا العراقُ وما تخْفيه زوراؤهُ(17)
كلاّ ولا اليمنُ الزاهي برقّتِه
وما وشَتْ من لطيف الصنْع صنْعاؤهُ
كلاّ ولا أرَبي ما شادَ تُبّعُهُ
ولا الذي نمّقتْ من بعْدُ أذْواؤهُ

---

(15) تقلقل: تحرك، وردت في صاحب المعجم الوسيط تخلخل، وكلاهما صحيح.
- جمجم شيئاً في صدره: أخفاه ولم يبده.
(16) لا يؤيسنك: كذا في الأصل، إلا أن الوزن لا يستقيم بها.
(17) الغوطة: موضع بالشام كثير الماء والشجر: غوطة دمشق.
- الزوراء: دجلة بغداد وكذا مدينة بغداد.

ولا اشتياقي إلى نجدٍ وأربُعِه

ولا عقائلَ ضمّتهنّ خيلاؤه

ولا بعصرَ وما تُبدي عجائبُها

من كلِّ ما حيّرَ الأذهانَ أنباؤه

كلا ولا القصدُ ما يُجنى من أزهرِها

منْ يانعِ العلمِ إذ تُمليهِ قرّاؤه

فللحجا حاجزٌ عندَ الحجازِ لهُ

عن شوقِ أرضٍ سوى ما ضمّ أرجاؤه

كانت لقلبيَ أهواءٌ مفرّقةٌ

فاستُجمعتْ في الحجازِ اليومَ أهواؤه

فلا لُبانةَ لي إلا بساحتِه

ففي المدينةِ لُبْناهُ وأسماؤه

وحبّذا البلدُ السامي بمجمعِه

وبيتُه والذي ضمّتهُ بطحاؤه

وَحَبّذا مأزِماهُ والصّفا ومنى

حَيثُ الصّفا ومُنى قلبي ورَغباؤه

فتلكَ أوّلُ أرضٍ شمّ تُربتَها الهـ

ـادي وأوّلُ ما مسّتهُ أعضاؤه

وكانَ مَسرحُ عَينيهِ مَطارحَها

وكانتْ أبناؤهُ فيها وآباؤه

لطفاً بمغتربٍ في أرضِ غربتِه

لم تخلُ غربتُهُ فيها أوداؤه

إن شامَ برقاً بأكنافِ الحمى برقتْ

أشواقُهُ وهمتْ للسحقِ أنواؤه(118)

---

(118) شامَ البرقَ: نظر إليه أين يتجه وأين يمطر.

وإن رأى خبراً تهتجْ لواعجُهُ
كأنما اشتعلتْ بالنَّار أحشاؤُهُ
أو لامهُ لائمٌ فيمَا يُحاولُهُ
كأنَّما كان عندَ اللَّوم إغراؤُهُ
يا نعمَةُ بلداً طوبَى لساكنه
تشدُ وعلى فنِّ الإسعاد ورْقاؤُهُ
به ينالُ جميعَ السُّؤْلِ قاصدُهُ
وتنجلي عن حجا المَغْمُوم غمْاؤُهُ[19]
ويشتفي من عُضالِ الداء أجمَعه
من كُلِّ ما عَجَزتْ عنهُ أطبَّاؤُهُ
ويستنيرُ به ديجورُ باطنه
نُوراً وتفعَمُ بالخيْراتِ أوداؤُهُ[20]
دَيْنٌ عليَّ إذا ما جئتُ تربتَهُ
تمريغُ وجْهي بها شُكراً وإغضاؤُهُ
وألثُمُ التُّربَ تشريفاً لحَضْرته
لتشْتفي من رسيس الشَّوقِ أدواؤُهُ[21]
أقولُ بُشرايَ ذا مَغْنى المُشفَّع في
كلْتا الحياتيْن يا بُشرايَ هذاؤُهُ
هُناكَ ألقي عصَا التَّسْيارِ مبتهجاً
وتستريحُ إذاً للعَزْم أنضاؤُهُ
فيصبحُ الصَّدْر مشروحاً بحَضْرته
مؤيَّداً محَتِ الضرَّاءَ سرَّاؤُهُ

---

(19) قاصده : طالبه ، في ، صاحب الجأش الربيط .

(20) الديجور : الظلام .

(21) رسيس الشوق : أوله ، بقيته وأثره .

أقــولُ إن يَدْعُني شــوْقٌ إلى وطـني
مــا كنتَ مــذْ زمن تَرْجُــوهُ هَــداؤهُ
تلكَ العَــزِيمَةُ والرَّحْــمَــان يَعْلَمُـهَــا
العــزْم منّي وَمِنْ مَــوْلايَ إمــضــاؤهُ
أنتَ المؤمَّلُ في تبليغ عــبْــدكَ مَــا
إليــه وجــهــتَــهُ تُلفَى وإيــــمــاؤهُ
(واجـمعْ لشَملي مع الأحــبـاب قـاطبــةً
جـمْعَ الســلامــة يا منْ جلّتْ أســمـاؤهُ[22])
فَــوَفّــقَنّي لما يُرضــيكَ من عَــملِ
وفي المقــال أيا منْ جلّت أســمــاؤهُ[23]
ثمّ الصــلاةُ على المُخْــتــار مــا طَلَعَتْ
شَــمْسٌ ومَــا انْبَلَجَتْ للصّــبحِ أضْــواؤهُ

نزولنا عند ابن الشيخ محمد الخضر بالمدينة المنورة وإحسانه إلينا هو ومن هناك من الشناجطة جزوا خيرا

ولم يزل نزولنا أيامنا بالمدينة المنورة عند الشيخ محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد الخضر ابن مايابي الجكني وبالغ في إكرامنا ، والإحسان إلينا ، جُزي خيراً . ومن إحسانه أنه دائما يهيىء عند كل وقت من أوقات الصلاة عربية ، يركبها الشيخ

(22) هذا البيت ساقط من الرحلة مثبت في قصيدة بخط الشاعر توجد بخزانة الشيخ المصطفى ماء العينين بأكادير .

(23) ورد هذا البيت بصيغة أخرى ، كما سبقه بيت أخر سقط من هذه القصيدة هو :

واجمع لشملي مع الأحباب قاطبةً ... جمع السلامة يا من جلّت أسماؤه

ووفقني لما يُرضيك من عمل ... ففي رضاك مُنى قلبي ورغباؤه

انظر : صاحب الجاش الربيط أيضا .

مريبيه ربه ومن شاء من خاصته معه إلى المسجد النبوي ذهاباً وإياباً ، ويتولى القيام بالشؤون التي تنوبنا بنفسه ، ويباشر خدمتنا بيده ، من تناول الطعام والشراب وإصلاح الفراش والملابس ، إلى غير ذلك من إكرامه لنا ، جُزِي خيراً . وكان من هناك من الشناجطة يأتون دائماً لزيارتنا كسائر أهل المدينة المنورة . وكلٌّ من أتانا يباشر بالإحسان زيادة في الاعتناء بنا مع كمال التواضع ، والانبساط ، وكذلك ابن عمه محمد فاضل ابن الشيخ محمد تقي الله ابن مايابي ، فقد كان يكثر التردد علينا ، ويظهر السرور والفرح بمقدمنا ، ويبالغ في إكرامنا ، وكذلك جميع الشناجطة الذين هناك لم يقصروا في إكرامنا وقلما يفارقون الشيخ مريبيه ربه لطلب الإفادة منه ، وأخذ الأوراد عنهُ ، والاستمداد به ، ولا سيما الجكنيون ، فهم أكثر من هناك ، وأظهروا لنا من المحبة والمودة والقرابة ما لا يوصف ، كمَنْ ذكر من أهل مايابي ، ومثل ابن عمهما محمد محمود بن الشيخ ، والسيد محمد عبد الله بن آد ، والشيخ عمر ، وكذلك محمد بن سيد من قبيلة يلرتيل[24] وهو من تلامذة شيخنا الشيخ ماء العينين ، وكذلك محمد نور التركزي ، وهو رجل ذائق ، واصل ، عارف ، ديِّنٌ ، من موالد الشيخ أحمد بن الشمس ، مريد شيخنا الشيخ ماء العينين ، فقلما يفارقنا ، وكذلك الشيخ موسى الفوتاوي ، من موالد الشيخ أحمد بن الشمس أيضاً ، إلى غير ذلك عن لم تحضرني أسماؤهم ، ولم أتفرغ لكتبها ، لقلة مدة إقامتنا في المدينة المنورة ، وللاشتغال فيها بحمد الله بما هو آكد عندي من ذلك .

فائدة فيما أتى به شيخنا الشيخ ماء العينين في رحلته في مقدار ما بين قبره ﷺ ومنازله وأبواب سور المدينة المنورة وأسماء الجميع

فائدة ، قال شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه في رحلته في مقدار ما بين منبره

(24) يلرتيل : تجمع قبلي موريتاني يضم القبائل التالية : أهل العمر بن أبوبك ، أهل محمد بن بيه ، أهل الطالب جبريل ، أهل أعيلاس ، أهل العلي بتالة ، توجن الله ، وغيرها ، أنظر بشأنها : حياة موريتانيا الجغرافيا ، ص ، 53 .

ﷺ وقبره الشريف ، وفي عدد أبواب حرمه ﷺ ، ومناراته وأبواب سور المدينة ، وأسماء الجميع ، ما نصه : فائدة . قدمت ما بين منبره ﷺ ، وقبره الشريف الذي ورد في الحديث ، وهو قوله ﷺ : «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»(25) . وقد أفتى كثير من العلماء بأن من دخله وحلف من امرأته أنه دخل الجنة حياً ، لا تطلق عليه ، فوجدته قدر خمسين قدما ، لأني قدمت من المنبر إلى الشباك الموالية ، فوجدته أربعين قدماً بقدمي ، وما بين الشباكين قدرته بعشرة ، وبعد ذلك قيل لي إنه كذلك والله تعالى أعلم .

فائدة في عدد أبواب حرم النبي ﷺ ومناراته وأبواب سور المدينة المنورة التي تدخل إليها وتخرج منها ، وأسماء الجميع ، أما أبواب المسجد فأولها من جهة المغرب باب السلام ، ويتلوه باب الرحمة ، ويتلوه الباب الجديد ، المعروف بباب عبد المجيد ، ويتلوه باب جبريل ، ويتلوه باب النساء ، فهي خمسة ، وأما المنارات ، فمنارة باب السلام ، ويقال لها الرئيسي ، ومنارة باب الرحمة ومنارة عبد المجيد ، وقد وجدتها تصنع مع بقية المسجد ، وذلك لأن عبد المجيد بنى الحرم النبوي كله ، وجدده إلا موضع الروضة الشريفة ، تركوه لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على بناء مثل بنائه ، وقد وجده ، أي الحرم ثمانية صفوف ، وزاده بأربعة ، فصار إثنى عشر صفا ، وهذه المنارة أكبر منارة رأيتها إلا منارة واحدة في مراكش تسمّى الكتبية ، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله ، ويتلو منارة عبد المجيد ، منارة تسمّى السليمانية ، نسبة إلى السلطان سليم ، فهي أربعة ، وأما أبواب سور المدينة فأولها من جهة المغرب العنبري ، وهو الذي يدخل منه الحجاج غالباً حين مجيئهم من مكة المشرفة ، ويتلوه يميناً باب قباء ، ويتلوه باب العالي ، ويتلوه باب الجمعة ، ويتلوه الباب الجديد ، وهو الذي جعله أيضاً عبد المجيد ، ويتلوه باب السلام ، ويتلوه باب الكوم ، فهي سبعة ، وأما الباب المعروف بالمصري ، فإنه لا يُخرج من المدينة كلا ، وإنما هو مخرج للمناخة ، وتلك معدودة من المدينة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، انتهى كلام شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه ، وهو في غاية الضبط والإتقان ، ولذلك اكتفينا به جزاه الله عنا برضاه الأكبر وأكرمنا بجاهه وجاه نبينا محمد ﷺ ، برضى الله والنظر إلى وجهه الأعظم .

---

(25) مختصر المقاصد الحسنة ، الحديث رقم 876 ، والحديث بصيغة أخرى – قبري : بيتي .

ذكر مدة إقامتنا بالمدينة المنورة وفضيلة من صلى في المسجد النبوي أربعين صلاة على صاحبه الصلاة والتسليم

وكانت مدة إقامتنا بالمدينة المنورة ، ثمانية أيام ، حتى تفضل الله علينا بأن صلينا في مسجده ﷺ أربعين صلاة مكتوبة ، ففي الحديث عنه ﷺ ، أنه قال : «من صلى في مسجدي أربعين صلاة ، كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق» ، وحدثني الأستاذ الشيخ مربيه ربه ، أن بعض العلماء ، لا يشترط كون تلك الصلوات من الفرائض ، بل حصل عنده الفضيلة بأربعين صلاة في مسجده ﷺ ، ولو من النوافل ، نحمده تعالى على ما أنعم به علينا من فضله ، نرجوه تعالى أن يتقبل منا ، وأن لا يكلنا إلى أقوالنا ولا إلى أعمالنا ، وأن يتولانا بمحض فضله وكرمه ، ثم لما صلينا صلاة الصبح بالحرم النبوي يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة تقدمنا إلى محل مواجهته صلى الله عليه وسلم لزيارة الوداع ، على الحالة التي لا يعلمها إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فدعونا الله بما المرجو منه تعالى إجابته بذلك المقام ، ونحمده تعالى حيث أنعم علينا بالقيام عند مواجهته الشريفة عليه الصلاة والسلام .

[الخفيف]

ورجعنا وللقلوب التفاتا
تٌ إليه وللجسوم انثناءُ
وسمحنا بما نُحب وقد يسـ
ـمح عنْد الضرورة البخلاءُ

خروجنا من المدينة المنورة على ساكنها السلام وأبيات لجامع الرحلة أنشأها وقتئذ

فخرجنا من المسجد النبوي قرب طلوع الشمس من يومنا ، وخرجنا من المدينة المنورة بعد طلوعها ، فلما نهضت بنا السيارة ، التفتُ إلى ذلك المنظر البهيج ، مستنشقاً طيب ذلك الأريج ، باهتاً في تلك الجلالات الباهرة ، والأنوار الساطعة

الزاهرة ، والمشاهد الكريمة الشريفة العظيمة ، فجرت على لساني هذه الأبيات ، لا جَعَلَهُ الله آخر عهدي بتلك الحضرات العليات ، وأعادني إليها مراراً ، وأماتني على حسن الختام بجوار نبيه عليه الصلاة والسلام ، والأبيات هي :

[البسيط]

متى الرجوعُ لمن قلبي بهمْ نزَلا
فلا وربِّك لا أبغي بهمْ بدلا
أستودعُ الله منْ أوْدعتهُمْ خلَدي
فلم أطقْ حيرةً قولاً ولا عملا
إني لأغبطُ قلبي حيث عندَهُمُ
ثوى وأرْثى لجسمي أنه ارتَحلا

نزلنا بجدة وركوبنا منها إلى السويس

قافلين، وبيتان لجامع الرحلة أنشأهما وقتئذ

ثم سرنا يومنا ، فبتنا ليلة الأحد في محلة قريبة من رابغ ، وجئنا رابغاً بعد أن أدلجنا وقت صلاة الصبح ، فنزلنا عنده إلى وقت الضحى ، فركبنا ودخلنا جدة وقت القيلولة ، فوجدنا الباخرة قد دخلها من كان فيها من الحجاج ، وهي تنتظرنا ، فنزلنا بجدة ، فلما صلينا الظهر ، ركبنا زورقا إلى الباخرة ، فدخلناها عشية يوم الأحد التاسع والعشرين من ذي الحجة ، فاحتفل أهلها لدخولنا احتفالا عظيما ، فلما كان قبل الغروب بقليل من اليوم المذكور ، أقلعت الباخرة بنا قاصدة السويس ، راجعة مع اثرها لجهة المغرب ، فنظرت إلى جهة الحرم الشريف ، وقلت :

[الرجز]

لا تجعل اللّهم ذا من كرمكْ
آخرَ عهدنا بأرض حرَمكْ
وأينما كُنا فجُد بنعَمك
ربِّ علينا واحْمنا منْ نِقمك

مرسى الباخرة بنا الافتتاح عام 1358 بجبل الطور

فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء ، وهو أول يوم من المحرم فاتح 1358 ، عرفنا الله خيره وخير ما بعده ، ووقانا شريهما ، رست بنا الباخرة عند جبل الطور ، فظلت هنالك يومئذ حتى دنت الشمس من مغربها .

مرسى الباخرة بنا في السويس وطلوع العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن مايابي إلينا فيها هو ومن معه وما جرى بيننا وبينهم

أقلعت بنا الباخرة ، فرست صبيحة يوم الأربعاء بنا في السويس في محطها الذي رست بنا فيه ، ونحن ذاهبون إلى الحج ، فلما ارتفع النهار ، طلع علينا ونحن في الباخرة الأستاذ العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن الشيخ سيد عبد الله بن مايابي الجكني ، ومعه الأديب المجيد السيد محمد بن اليمانى المتقدم ذكرهما ، ففرح بهما الشيخ مربيه ربه وسائر الوفد ، ورفع الشيخ مجلسهما ، ومعهما الأديب الشيخ المختار بن أحمد محمود الجكني ، القاطن بمصر وقته ، وأتحف الشيخ محمد حبيب الله سيادة الشيخ مربيه ربه وأقربائه بشيء من الكتب ، منها ما هو من مؤلفاته ، ومنها ما هو من غيرها ، وتحدثنا معه قدر ساعتين وكتب لي إجازة في مؤلفاته وجميع مروياته ، وأتحفنا أيضاً بشيء من الزاد معتبر ، وأنشدنا قطعة لنفسه ، أنشأها في مدح سيادة الشيخ مربيه ربه ، وتهنئته بالحج ، كتبها بخطه ، وهذا نص ما كتبه ..

قطعة امتدح بها الشيخ محمد حبيب الله سيادة الشيخ مربيه ربه

هذه قطعة قليلة ساقها الاشتياق مع الاستعجال واشتغال البال بالمرض وهي :

[الوافر]

مُـــربّيه الإله إليـــه شـــوقي
تَزايد بالغـــداةِ وبالعـــشيّ

مـتى حجَّ البـرُّ الفـخم كُـنَّا
كـمَنْ بالحجِّ أحـرمَ للعـليِّ
ومنْ فـرْطِ اشـتياقي كـاد جسـمي
يطـيـرُ إلى الأبيِّ ابنِ الأبـيِّ
ولو أنّي مـلأتُ الطِّرسَ مدْحـا
لهـذا الشـهْم ذي المجـد السَّـني[216]
لما أدّيتُ مـا في القلبِ عنّـا
أكنُّ لـهُ إلى يـوم التّلاقـيِّ
فـتىً رامَ المكارمَ في صِـباهُ
ولم يبـرحْ يُسارعُ في الرُّقـيِّ
ولمّا لم أقـابلكمْ لعـذرٍ
حـمىً عنْ رؤي وجـهكم البَـهيِّ
فـبالبيْتِ الحـرامِ لكمْ أُهنّي
وفـتْحٍ في مُـواجـهـةِ النّبـيِّ
صَـلاةُ الله دائمـةً عـليـه
تعمُّ الآل بالعـرْفِ الزّكـيِّ

أنشدها طالب دعواتكم النافعة ، خادم السنة ، محمد حبيب الله الشنجيطي إقليماً ، الجكني نسباً المدني مهاجراً ، انتهى من خطه .

قصيدة للشيخ المختار الجكني امتدح بها أيضا سيادة الشيخ مربيه ربه

وكذلك أنشأ ابن عمه ، الشيخ المختار بن أحمد محمود المذكور قصيدة في مدح سيادة الشيخ مربيه ربه ، أتى بها معه ، وأنشدها ابن عمه الشيخ محمد حبيب الله

(216) الطرس : الصحيفة .

في المجلس نيابة عنه في الإنشاد بين يدي الشيخ أعزه الله مطلعها :

[البسيط]

قد أشرقَ الشّرقُ بالأنْوار إذ سَطعا
تنويرُ طلْعة شمس الغربِ مُذْ طلعا
وازدانَ واتسعتْ أرْجاؤه وعَلتْ
وحقٌ للشَرقِ لَمّا ضاء واتسعاَ
فقد أتاهُ إمامٌ ما أتى بلداً
من سائر الأرض إلا أزدانَ وارتفعا
نجْل الحُلاحل ما العينين منْ شهدتْ
أفعالهُ والسجايا أنه بَرعا[27]
رَبّاه دون مربٌ فحوَى الـ
أدابَ والخُلُق المحمود والوَرعا
لهُ يَدانِ يدٌ على العَدُوَ ردًى
تغتالُهُمْ ويدٌ تُغْني من انْتجعَا

إلى أن قال :

حُلاحِل نفَعَ الله الأنامَ به
كما بآبائه من قبله نفعاَ
من معشرٍ علمُوا بالفضلِ واتسمُوا
مستمسكين بما الهادي لهُمْ شرعا
الفضلُ شنْشنةٌ فيهم وعادتهمْ
وفيه أصْغَرُهم أباءَهُ تبعاَ[28]

---

(27) الحلاحل : السيد في عشيرته ، الشجاع الركين في مجلسه .

(28) شنشنة : خليقة وطبيعة وسجية .

لمْ يأت منهم فتى يوْماً إلى أفق
إلا تَسَرْبَلَ فضْل الفُقِ وادّرعَا
هذا وكمْ ذي غنيٍّ من سيْب راحهِمُ
استغْنى ، وكمْ ذي صفىً في صفوهِمْ كرَعَا
لا زالَ فضلهُمُ يعْلو الأنام ولا
زالَ الأنَامُ بِمَا حَازُوه منْتَفِعَا
بجاه جدِّهمْ طهَ ومنْ معه
صلَّى عَلَيْهِ العلى مَا نُورُه سَطَعَا

ثم ودعوا وانصرفوا من ساعتهم ، بما اقتضاهُ الحال جزاهم الله خيراً

بيتان لجامع الرحلة يخاطب بهما المركب لما أعجبه سيره وآخران يخاطب بهما البحر لما هاج

فلما صلينا المغرب ليلة الخميس الثالثة من المحرم ، أقلعت الباخرة بنا من مدينة السويس قاصدة بورسعيد ، فرست بنا عنده ، بعد طلوع شمس يوم الخميس ، فلمّا كان بعد ظهره ، أقلعت بنا متوجهة طرابلس ، ولبثنا بينها وبين بورسعيد ثلاثة أيام ، وفي بعض هذه الأيام طلعتُ أنا والشيخ محمد الإمام وجلسنا على سطح مركبنا المسمى «ماركيس دي كُومْيَاسْ» ، فإذا به سائرا سيراً رفيقاً لينا ، مع غاية إسراعه ، وحسن هيئته ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، فقلت ارتجالا :

[الخفيف]

تِهْ جمالاً لا مسَّكَ الدّهر باسُ
وابتهجْ ماركيسُ دي كُومياسُ
لَكَ بادٍ على البواخر فضْلٌ
فهْيَ جسْمٌ وأنتَ فيه الرّاسُ

فلما كان يوم قدومنا على طرابلس اضطرب البحر اضطرابًا شديدًا، وعلت أمواجه، وتكاثرت حتى دخل الموج إلى الباخرة، وكنتُ أنا والشيخ محمد الإمام وبعض الإخوان والفقيه بجانبيها، ننظر اضطراب البحر، فجرى على لساني هذان البيتان، مخاطبًا بهما البحر:

[الخفيف]

لا تَروعْ بكَثرةِ الأمواجِ
أيُّها البحرُ أنفسَ الحجّاجِ
إنَّهمْ في نهجِ العبادةِ فاخـ
ـشَ اللهَ في أهلِ تلك المِنهاجِ

مقدمنا على مدينة طرابلس، ومسيرنا منها

فبفضل الله ورحمته، هدأ البحر وسكنت أمواجه، فرست بنا الباخرة عند طرابلس وقت الظهر يوم الأحد السادس من المحرم الحرام، فلبثنا عند مدينتها أربع ليال، واجتمعنا ببعض أعيانها وعلمائها ممن تقدم ذكره، ومن غير ذلك، ثم أقلعت الباخرة بنا منها قبالة يوم الخميس، وهو يوم عاشوراء، متوجهة بحول الله، مليلية، فسبتة فلبثنا بين طرابلس ومليلية ثلاث ليال.

مليلية

ولما حان وقت وصولنا إليها، علونا سطح الباخرة، أنا والشيخ محمد الإمام وبعض وفدنا مترقبين رؤية مدينة مليلية، فاستبطأنا رؤيتها، فأنشدنا الشيخ محمد الإمام ارتجالًا هذا البيت:

[الطويل]

ألَمْ يأنِ أن تَبدُو ديارُ مليليَةْ
لِتَبرُدَ منْ داءِ الفِراقِ غليليَةْ

والسحارتي قلت :

ولم تكُ لي في دورها من لُبانةٍ
ولكنَّها نحو الحبيب سبيليَة

وصولنا المدينة مليلية وابتهاج أهلها بمقدمنا

فوصلناها وقتَ الظهر يوم الأحد الثالث عشر من المحرم الحرام، وكان يوم وصولنا لها كيوم العيد، لما أظهرهُ أهلها من الاحتفال والفرح والمسرة والابتهاج وإظهار الزينة والانبساط التام في الخاص من أقوامهم والعام .. لما دنت الباخرة من المدينة، اجتمع كثير من الناس على مينائها، حتى امتلأت، ووقف كثيرٌ بساحل البحر وكثيرٌ فوق سطوح الدور وجاءت السيارات من كل جهة، واصطفت بإزاء الميناء، والناس صفوفٌ حولها، ونصبوا كثيراً من الرايات والأعلام، ووقفوا ينتظرون وصول الباخرة إلى الميناء رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ والأدعية، مع ضرب الدفوف وسائر آلات الطرب والأفراح، وإظهار التماس البركات والدعوات الصالحات من الحجاج، وكذلك الباخرة نصب ضباطها أعلام الفرح والاستبشار في جميع جوانبها، ووقف أهلها بحافاتها، منتظرين وصولها إلى الميناء، وكلٌّ من الفريقين يشير إلى الآخر بالسلام والترحيب والتهنئة، ووقف أعيان الدولة وضباطها بإزاء الميناء بعساكرهم في زيٍّ عجيب وتنظيم غريب. وما زال الكل في تزايد الأفراح والحبور والانبساط والانشراح والسرور إلى أن رست الباخرة بإزاء الميناء، فأقبل الفريقان بعضهم على بعض بالتهاني وإفشاء السلام، وحمد الله وشكره على السلامة والاجتماع، فطلع علينا بالباخرة أعيان البلدة من أهل المخزن وغيرهم، كالجنرال محمد أمزيان(29) الريفي وأبيه، والباشا الحاج عبد القادر بن الحاج الطيب، نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الريفية، وغيرهم، فبدأوا بالسلام على سيادة الشيخ مربيه ربه، أعزه الله ووقره وجلسوا معنا، قدر ساعة، ثم انقلبوا ليسلموا على أعيان أهل الباخرة ..

(29) الجنرال محمد أمزيان : هو رجل الحرب المعروف، حارب إلى جانب فرانكو، فأسندت إليه إحدى العمالات بإسبانيا لما حصل المغرب على استقلاله، انضم إلى الجيش المغربي، تقلد عدة مناصب سامية وعدة ألقاب فخرية، آخرها الإنعام عليه برتبة مارشال ..

أبيات لجامع الرحلة لما فرح الناس بعضهم ببعض

ولما رأيت فرح الناس بعضهم ببعض، قلت هذه الأبيات تلك الساعة - أجاب اللهُ دعائي فيها وبغيرها، وحقق رجائي بفضله - وهي:

[الرجز]

ربِّ افْــــرِحَن بيَ وَفَـــرح النبـــي
بـيَ وأمــــــلاكَـكَ في مُـنقلبِـــــي
وفـــرِّحن بي ســـعـــداءَ الأمــّــةْ
فـــــرِّحنّي برضــــاكَ ثَمّـــــةْ
واجْـــعلْ صِــــراطي أبداً تُـقــاكَ
وخـــيْـــرَ أيامي إذا ألْـــقــــاكَ
مُـــجــاوراً أحـــمــدَ في دارِ السّـلامْ
عليْـــه أكْـــملُ الصــلاة والســـلامْ

ثم ودع الناس بعضهم بعضا، وتسامحوا واشتركوا في الدعاء، وأقبل الحجاج الريفيون ومن حولهم لتوديع سيادة الشيخ مربيه ربه ووفده، فودعونا، وودعوا من بقي من إخانهم المسلمين في الباخرة، ونزلوا راجعين لأهليهم بحمد الله، وكانوا ستمائة حاج، صحبنا الله وإياهم بالسلامة وتقبل منا ومنهم.

نزولنا بمدينة سبتة واحتفال أهلها لنا

ثم لما وصلنا المغرب ليلة الإثنين الرابعة عشر من الحرم، أقلعت الباخرة بنا قاصدة سبتة، فرست بنا عندها فجر تلك الليلة، فلما كان وقت الإسفار، أقبل علينا أهل مدينة سبتة باحتفال وأبهة عظيمة، من أهل المخزن وغيرهم، فنزلنا من ساعتنا، وسلمنا عليهم وودعنا أهل الباخرة، وشكرناهم على ما قابلونا به من جميل صُنعهم، وتلقى لنا بعض الأحبة من تطوان كأبناء القائد إدريس وغيرهم جُزُوا خيراً.

فلما فرغنا من السلام والتهنئة بالقدوم ، هيأ نائب الأمور المخزنية لسيادة الشيخ أعزه الله سيارة ، فركبها هو وحرمه ، وهيأ لسائر الوفد القطار ، فركبناه بعد طلوع الشمس بقليل ، ونزلنا وقت الضحى من يومنا بمدينة تطوان ، فتلقى لنا الترجمان «بنت» بالفرح والتهنئة والإكرام نيابة عن الدولة ، وباشر شؤوننا وحمل أمتعتنا ، حتى أنزلونا دار الضيافة في محل نولنا السابق مرورنا بتطوان ذهاباً ، ولم يقصروا في الإحسان والإكرام ، فلما كان بالغد يوم الثلاثاء ، وقت الضحى أتانا «كوما ندنتي» ورحب بنا ، وأظهر الفرح والاستبشار بقدمنا ، وقال إنه أتى نائبا في ذلك عن المقيم العام لاشتغاله يومئذ بكثير من الأمور المخزنية ، ثم قال لسيادة الشيخ أعزه الله ، تقيمون للاستراحة بالرحب والسهل إلى يوم الجمعة القابل تسافرون إن شاء الله في البحر لكناري ، ثم منها إلى أهلكم بطرفاية .

ثم لما كان وقت الظهر ، أتانا السيد مسعود بن محمد الشراد ، فندبنا بمحله ، وهيأ لنا سيارات ركبناها إليه ، فأحسن إلينا وأكرمنا غاية ، وأحضر من أطايب الطعام والشراب ما لا يوصف ، فرجعنا إلى محلنا .

مطلب في ذكر المجلس الذي عقده الخليفة لاستقلال الأوقاف، وإرساله للشيخ مربيه ربه أنه كان ينتظره به، واستدعائه لنا آل الشيخ ماء العينين خصوصا من وفدنا

وفي عشية يومنا أتانا قائد المشور السيد محمد المصطفى بن القائد إدريس ووزير الأحباس ، الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى من عند الخليفة مولانا الحسن بن المولى المهدي نائبين عنه في التهنئة لنا بالحج والقدوم بالسلامة ، وذكرا أنه يُقرؤنا السلام ، وقالا للشيخ أعزه الله ، إنه كان ينتظر قدومه من الحج رغبة في حضوره لمجلس افتتحه لأمر الأوقاف يهيئ فيه استقلال أحوالها ، ويريد أن يشهده الأعيان من أهل العلم والمراتب السنية والمناصب العلية ، وأنه ، أي الخليفة عازم على عقد المجلس بالغد يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم ، ويستقدم له سيادة الشيخ

أعزه الله وقرابته خصوصا دون سائر وفده ، فأمروا بالتهيؤ له ، وودعنا وانصرفنا ، فلما ارتفع النهار يوم الأربعاء ، أتانا وزير الأحباس المذكور ، وخليفته قائد المشور ، وهو أخو الولي ابن القائد إدريس يستدعيان الشيخ وقرابته للمجلس المذكور ، وبيدهما كتاب للشيخ أعزه الله من عند الخليفة يقتضي ذلك ، وكذلك أتيا لكل واحد من قرابته المدعويين بكتاب من عنده بذلك ، والجميع سبعة وهم :

1 - شيخنا الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين

2 - وأخوه الشيخ محمد الإمام بن شيخنا

3 - وابن أخيهما محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة

4 - وابن أخيهما سيدي بوي بن الشيخ حسن

5 - وابن أخيهما سيداتي بن الشيخ الولي

6 - وابن أختهما الشريف يحجب بن خطر بن سيد محمد

7 - وابن أختهما جامع الرحلة ابن عمهما ما العينين بن العتيق .

فدخلنا دار المخزن مع أول القادمين ، ووجدنا بها مجلسا أنيقاً رائقاً ، ومنظراً حسناً فائقاً معداً للجماعة ، فدخل العلماء والقضاة والأشراف وأعيان المخزن وكبراء الدولة ، فجلس الناس على مراتبهم ، ورتبوا على مناصبهم ، فلم تلبث إلا هنيئة حتى دخل المقيم العام ، وبعده بقليل دخل مولانا الخليفة ، فجلسا في صدر المجلس وفي مقابلتهما سيادة الشيخ مربيه ربه وأخوه الشيخ محمد الإمام ، وكان هذا الاحتفال من أعظم الاحتفالات ، له سكينة كبيرة ، ومهابة عظيمة ، وأبهة غريبة ، وجلالة مثيرة .

قصيدة لجامع الرحلة افتتح بها الكلام في المجلس يمدح بها الخليفة ويهنئه بحفلته بارتجاع الأوقاف إلى سنتها الأول

فأول من افتتح فيه الكلام ، سالكا أسلوب النظام على وفق ما يقتضيه المقام ، جامع الرحلة ما العينين بن العتيق في مدح مولانا الخليفة وتهنئته بموجب هذه الحفلة الجميلة ، والأبهة الجليلة ، من ارتجاع الأوقاف إلى السنن المشروع ، والسير فيها على نهج السلف الذي تباهى به الخلف فقال :

[الكامل]

يرتاحُ للحسنِ المجيدِ بصرفهِ
حسنَ القريضِ إلى محاسنِ وصفهِ
فالشعرُ حليٌ يستطابُ بصوغهِ
للطيبِ الأخلاقِ عاطرُ عرفهِ (30)
فاصرف إلى الحسنِ الخليقةِ وجههُ
من كفَّ أذى الزمانِ وصرفهِ
وأنامَ أجفانَ الرعيةِ في ظلا
لِ العدلِ آمنةً تيقظُ طرفهِ
عصماءُ عقدِ الملكِ بيتُ قصيدهِ
إنسانُ عينِ المجدِ ، ما رنُ أنفهِ (31)
ما حلَّ ساحةَ عرضهِ دنسٌ ومن
يحللْ بساحتهِ النوائبَ يكفهِ
فالليثُ يذهلُ في حماسةِ قلبهِ
والغيثُ يخجلُ من سماحةِ كفهِ
يلقاكَ في عزِّ المهابةِ والوقا
رِ تخلقه للنسى النسيمَ بلطفهِ
فيذمُّ نعتَ الأزهرينِ لنعتهِ
ويُشمُّ عطفَ الوالدينِ بعطفهِ
فطنٌ ينالُ برفقهِ متودداً
ما ليسَ يلقهُ الخميسُ بعطفهِ
ما تبغِ منْ نائي المطالبِ يُدنهِ
أو تشكُ من داءِ المطالبِ يتّقهِ

---

(30) عرفه : رائحته الطيبة .

(31) مارن الأنف : ما لان منها

أو ترْجُ من باهي المبـــــرَّة يُونـــــه
أو تخْش من دَاهي المعـــرَّة يكْفــه[32]

بلْ لا يريمُ على الحَسامــد عــاكــفــا
أنّى ترمْـــهُ معَ الحـــامــدِ تُلْـــفــه[33]

من ضـنـضئِ النَّسب الشـريف وفـرْعـه
وخــلاصــة الحـسـب الكريم وصــرفِـه[34]

يا بن الإمـــامِ المُرتضى المهـــدي قـدْ
شـيَّـدْتَ شـامخ فَـخْـرِه من خلــفــه

مـــا سنَّ من أثرٍ جَــمِــيلَ في العُلـــى
أو سنه أسْــلافـــه لمْ تـــعْـــفــه

جــدَّدْت مــفــخـرةَ الجُــدود وزدْتـهـا
حــرصــا على تلْد الفــخــار وطرفـــه

لكَ درٌّ في المهـدِ الحـجَـا فـرَضـعتَ مَـا
لمْ يرتضــعــه خليــفــةٌ منْ خَــلفـه[35]

وإذا رحـــيقُ المكْرمـــاتِ أُديرَ فـــي
أندائهـــا ، كنْتَ الجـديرَ برشــــفَـــه

قـطفـتْ يـداكَ الغـضَّ مـن زهـراتهــــا
إذ عـــــزَّ كَلُّ يـدٍ تـنـاولُ قـــطـفـــه

تـرعَـى نـواظرُك الرعـــيـــةَ رعْـيَ مــنْ
فِي عـــدْله عـــدم النـنظيــر وثـقْـفـه

(32) المعرة : الفقر .

(33) لا يريم : لا يبرح

(34) ضنضئ : أصل ، معدن

(35) الهدى : الحجا ، من ورقة خاصة .

لله مـــجلسُكَ المبـــارك واقــفــاً
للشـعب في أقْـصَى مَـصَالح وَقْـفِـه
صــفْـبـتَــهُ من كلِّ شـائبــةٍ ومَـا
أوقــفتَ غـيْـرَ المصطفينَ بصـفِّـه
وسَنَنْتَـــه للوقف شُـــورَى رغـبـــةً
في سُنَّةِ السلفِ السَّنيِّ وعُـــرفِــه
فلْيَـهنكَ السَّـعْـدُ الذي يبـقى لــكَ
التـاريخ مدْحـتـهُ بصـفـحَةِ صُحْـفِـه
واقـــرَرْ وطِبْ نفــســاً وعـيْنا بـارْتقَـا
ء وليِّ عــهـدكَ في حـجــاهُ وظرفِـه
بكَ يأتسي ، ومن ائتــسى بكَ في المكَا
رِم تـهـــده النَّهجَ القـــويمَ ونُـعْــفِـه
تلكَ الســيـــادةُ لمْ تزلْ منْ والـــد
لإبنٍ وهذا الوصْف لمْ اســتــوفِــه

الأعيان الذين ألقوا خطبا في المجلس في مقتضى الحال

ثم قام الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى ، وألقى خطبة حسنة أجاد فيها وأفاد ، وأطال وأطنب فيما يقتضيه المقام في أحكام الأوقاف ، خصوصا في المغرب ، وبدء أمرها الإسلامي ، إلى أن ذكر ما تدعو إليه الحاجة بما يناسب الحال الواقع وبالغ في وصفه بأحسن عبارة ، لله دره .

ثم قام وزير العدالة سيديمحمد بن التهامي فلالي[36] ، وألقى خطبة فيما يناسب

(36) محمد أفيلال :كان وزيرا للعدل في الحكومة الخليفية ، عالم جليل وأديب بارع ، خلف عدة مؤلفات ومذكرات منها : تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس وكتاب الالمام بالشعر وأدواره ولمحة من تاريخه وأخباره وغيرهما . الحركة العلمية والثقافية بتطوان ج2 ص 563

الحال ، حسنة مختصرة .

ثم قام الوزير الصدر الأعظم سيدي أحمد الغنيمي ، وألقى خطبة وجيزة في مقتضى الحال ، جيدة .

ثم قام الفقيه العالم ، وألقى خطبة حسناء ، مؤذنة باعتناء دولة إسبانيا الجديدة بأمور المسلمين ، وبشدة التعاضد الواقع بينهم وبين الشعب المغربي ، ومساعدة رئيس الدولة الأعلى أماني الشعب المغربي .

ثم قام مولانا الخليفة ، وألقى خطبة فريدة في المعنى أيضا ، وشكر للدولة ما ساعدت به من الاستقلال أمر الأوقاف ، وأن ذلك يشعر بالموافقة على ما هو أعظم ، وأبدع فيها وأحسن ، مع الإيجاز الوافي بالمطلوب عما يقتضيه الحال والمقام في الموضوع ، لله أبوه ، لا فُضَّ فُوه .

قيام أهل المجلس إلى المأدبة التي أعدها لهم الخليفة بعد انقضاء المجلس

وهذه الخطب لعلنا نشرها في الجرائد عن الإتيان بنصوصها ، فتلقى أهل المجلس جميع ما ذكر بالاستحسان والقبول والفرح والتصفيق ، وسرّوا به غاية السرور ، ولبسوا حُلة الابتهاج والحبور ، ثم قام الجميع إلى دار حاجب الخليفة للمأدبة أعدها لهم مولانا الخليفة هنالك ، فدخلنا عند الحاجب ، فأحضر من ملاذ الطعام والشراب وآلات الطرب والأفراح ما حصل به للكل غاية الانبساط والانشراح ، فاشتركنا الدعاء مع الجماعة ، وتوادعنا ، ثم رجعنا صحبة سيادة الشيخ أعزه الله إلى محلنا في دار الضيافة .

وبالغد ، يوم الخميس السابع عشر من المحرم ، دعانا الباشا السيد محمد فاضل ابن القائد إدريس إلى داره ، فسرنا إليه مع سيادة الشيخ مربيه ربه ، في سائر وفده ، وبالغ في الإكرام والإجمال والإحسان والإجلال ، جُزي خيراً

زيارة بعض أعيان تطوان لسيادة الشيخ مربيه ربه

فلما رجعنا لمحلنا بدار الضيافة ، زارنا الشيخ المكي الناصري ، والفقيه السيد عمر

الطنجي إمام المسجد، وبانا تطوان السيد محمد بن محمد الشعاش، في بعض رؤساء البلد وكانت تلك عادة رؤساء البلد، فإنهم دائما يترددون لزيارة سيادة الشيخ أعزه الله أيامنا بتطوان.

تذكرة في كون الوالد العتيق والشيخ حسنّ توفيا في طريق الحج، وذكر فضيلة من توفي فيها

تذكرة، دخلت في هذه الأيام أنا وسيدي بُويَ بن الشيخ حسنّ على الشيخ مربيه ربه، فأدناه منه، وضمنا إليه، وأظهر لنا من الخصوصية ما لا يعبر عنه، ودعا لنا بما نرجوه منه تعالى إجابته، ثم قال أعزه الله، هنيئا لوالديكما، الشيخ حسنّ[37]، والعتيق بأن توفاهما الله في طريق الحج، لقوله ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عز وجل، رجلٌ خرج إلى مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازيا في سبيل الله، ورجل خرج حاجاً». ولقوله ﷺ أيضاً، «خمسة أنا أتكفل لهم بالجنة، الولد البار لوالديه، والمرأة المطيعة لزوجها، ومن مات في طريق مكة، ومن كان حسن الخُلقُ، ومن كان مؤذنا في مسجد من مساجد الله احتسابا». ثم قال أعزه الله: وأحمد الله أن حقّق لهما رجاءهما بصحبكما أنتما بعدهما، لأن الولد حسنةٌ من حسنات أبيه، إلى غير ذلك مما قابلنا به من فضله وإحسانه، جزاه الله عنا بأحسن جزائه.

قال جامع هذه الرحلة ماء العينين بن العتيق ما ذكره الشيخ أعزه الله من وفاة الوالدين الشيخ حسنّ والعتيق، في طريق الحج وقع لكل منهما بمدينة فاس بعد أن وصلها بقصد الحج.

(37) الشيخ حسنّ، هو الشيخ محمد الحسن الملقب الشيخ حسن، ولد سنة 1283هـ صدره والده الشيخ ماء العينين لتدريس وأدوار التربية والتدريس والنهوض بأمور الجهاد، لما توفي والده سنة 1910 رحل إلى فاس، فاستقر بزاويته هناك إلى أن توفي سنة 1333هـ 1914م.

- أنظر ترجمته في: سحر البيان، و 120-121.

مطلب تاريخ سفر الشيخ حسنٌ بنية الحج إلى فاس من عند أهله وأين تركهم

فأما الشيخ حسنٌ ، فقد سافر عن حضرته ، وكان بيتنا إذ ذاك فيها وفي بوادي درعة من مقابلة قرى طاطا عام 1333 ثلاثة وثلاثين ثلاثمائة وألف ، فودعنا ﷺ ، وسافر بنية الحج ، وأتى على طريق الجبل إلى مُراكشَ ، فأحسن إليه الجلاَّويون غاية وأكرموه حتى وصل رئيسهم الحاج التهامي[38] باشا مراكش في مراكش ، ففعل معه من الإجلال ما لا يوصف ، وتكفَّل له أن يتولى شؤون حجه هو ومن شاء معه ، وأن يبذل له ما يقوم بمؤن ذلك كله ، فسار بتلك الصفة على تلك العزيمة ، حتى وصل فاس ، فأراد الله أن صادف مجيئه له طروُّ الحرب الكبرى التي وقعت في ذلك التاريخ بين الأجانب ، فانسدت طريقُ الحج .

مطلب تاريخ وفاته ﷺ بفاس ومحل مدفنه

فتربص ﷺ بفاس نازلا في زاوية والده شيخنا ماء العينينِ ينتظر تيسير الطريق حتى مرض وتوفي ﷺ عاشر شوال عام 1334 ، ودفن بزاوية شيخنا الشيخ ماء العينين ، وقبره هناك مشهور يزار ، وتقضى عنده الحوائج ، ﷺ وأرضاه .

مطلب تاريخ سفر والدنا العتيق بنية الحج إلى فاس من عند أهله وأين تركهم

وأما الوالد العتيق ، فقد سافر عن أهله بحضرة شيخنا الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء عام 1309 تسعة وثلاثمائة وألف بقصد الحج ، وأنا إذ ذاك لا أعقل ، لأنه بعد فطامي بقليل ، فلما بلغ فاس ، صادف فيه السلطان مولاي الحسن ، فاعتنى به غاية وأكرمه ، وكان نزوله عند مريد شيخنا الشيخ ماء العينين ، قائد مشور السلطان ، وهو

(38) التهامي الكلاوي : من الباشوات الذين تواطؤوا مع المستعمر ، توفي سنة 1956 ، انظر حوله : معلمة المغرب ، 2 ، 618-621 .

القائد إدريس بن يعيش .

كتابه إلى السلطان المولى الحسن والقصيدة التي أودعها في مدحه واستدعائه إلى إسعافه بما قدم له من أمر الحج

وقد ظفرت بكتاب له رحمه الله بخط يده ، وكتبه للسلطان مولاي الحسن وأودعه قصيدة من إنشائه في مدحه ، يستدعي إسعافه بأمر الحج الذي قدم لأجله ، ونص كتابه ، ﷺ ها هو : «بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على النبي الكريم ، الحمد لله وحده ، الحمد لله الذي خلق بعض عبيده لحوائج الأنام ، وقوّى بهم في أقطار البلاد الإسلام ، وألهمهم الشكر على ذلك أحسن الإلهام ، فصرفوا في وجهه ما أسدى لهم من الإنعام ، والسلامان على من ختم به الرسل الكرام ، وعلى آله وأصحابه بدور الظلام ، ونصر الله مولانا وأيده ، ومد في جميع البلاد يده وأظهر به الحق وحققه ، وأزهق به الباطل ومزّقه ، وأطال حياته في التنعيم وحفظه من كل آفة إلى دخول النعيم ، ولا زالت شمس عدله مشرقة ، والعظماء من إجلاله مطرقة ، وبعد فإليه من الكاتب ، سلام أعلى من المشتري والكاتب ، سلام لا يخطر مثله على الأفهام ، ولا تخطهُ في المهارق الأقلام ، ورحمة وتحية ، كسيرته الزكية ، موجبه ، ليكن في كريم علمكم أني قدمت أنا وأخ لي إليكم ، نريد أن يتفضل الله علينا بالحج في هذا العام ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد علمنا أن الوقت ضاق ، لكن يعمى عن ذلك المشتاق ، وقد كنتم الوسيلة إلى ذلك ، والمعينين على كل ما نالك ، فتوكلنا على الملك القهارْ ، وألقينا لديكم عصا التسيار ، ولا سبب لنا إلى ما نؤمله إلا أن تفعل بنا ما أنت أهله ، والله يجزيك عنا وعن جميع المسلمين بأحسن ما تجازي به أمراء المومنين ، ثم إني أتوجه إليك بجدك ﷺ ، وأن تدعو الله لي بتيسير ما أبديتهُ وما هو مكتتم ، وأن تدعو لي بكمال العبودية ، ومشاهدة كمال الرُّبوبية ، وأن لا تخزجني أبداً من همتك ، وليكن في كريم علمك أنني من أهل وصيتك ، والسلام كما بدأ يعودْ ، ما عبد عابد للمعبود ، وقد جعلت هديتي شيئاً من الشعر ، سمحت به قريحتي ، وإنه في حقكم ليسيرْ ، لكن جُهد المقِّلِّ كثير ، والتزمتُ فيه

التوشيع (39)، الذي هو من أنواع البديع، وجعلتُ فيه شيئاً من الغزل، وليس ذلك من السفه ولا من الهزل، بل لقوله ﷺ: «لا تمدحوني بحصى الشعر»، وهو ما ليس فيه غزل، فقلت وعلى الله توكلت، وهو حسبي فيما توجهت:

[البسيط]

تشكّى لما تألّفك المعاليَ الطّربُ
وحرّكَ الطربات اللّهوُ واللعبُ
ألمّ أنت من حبّها وذكرها دنفُ
أودى بكَ القضيان الخُرّدُ والطّربُ
لم يُبقيا منه إلا أعظماً أو عصَبا
فدىً لها الباقيان العَظمُ والعصبُ
شطّ المزارُ بها، فهل يلتقي
يوماً لها المُلتقيان الوخدُ والخببُ (40)
كمْ دونها مهمهٍ قفرٍ قريتُ إلى
من زانَهُ شيمتان العلمُ والأدبُ (41)
وزانَهُ خصلتان جودٌ أو حسبُ
يا حبّذا الخصلتان الجودُ والحسبُ
أسميرُنا وأرى الأوصافَ توضحُه
ما يُوضحُ الواضحانِ الإسمُ واللقبُ

---

(39) التوشيع: هو من الوشيعة، وهي الطريقة في البرد، وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز، ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك الذي يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير لما ثناه، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي، ص 274، دار الرشيد للنشر 1980.

(40) شط: بعد.

- الوخد: سرعة الخطو في المشي

- الخبب: ضرب من العدو مثل الرمل، وقيل السرعة، لسان العرب (خبب)

(41) قريت: قطعت.

من هو ملجأ أهل الأرض يلجئها
إليه ألجأتها الخوف والرعب

فللضيف عطوف منتحي البيدا
كأنه الشفقات الأم والأب

وفي الحروب إذا نار الوغى اشتعلت
كأنه الحارقات الجمر واللهب

فالطرف الصيد من إجلاله وثنى
رقابها الشامتات القهر والغلب

وفي سما عدله شمس الهدى طلعت
فنارت الجهات الشرق والغرب

من استقام على طرق الهدى وبه
استقامت الفرقات العجم والعرب

يا خير من كان للحاجات أجمعها
يأوي له الواهبات الطلح والقرب[402]

هذا ومدحك سار السائرات به
الخيل والحمر والبغال والنجب

مديح صدق وإن الصدق متضح
لا يستوي البينات الحق والكذب[403]

فحق لي مدحكم وإن مدحت فما
مقصودي الفضات الورق والذهب

إذ كم تجود بيدين دون ما سبب
إذ يفقد السببات المدح والطلب

---

(402) القرب: التقريب

- الطلح: الإعياء والسقوط من السفر.

(403) البينات: الصفات

بل جـئت من بُعـد والخـوفُ في طُرقي
مـا صـدَّني المانعـان البُعـدُ والرَّهَـبُ
ومَـقـصَـدي أنتُمْ والحج يا سـبـبَـهْ
وحَـبَّـذا المَقْـصدَان الحجُ والسَّبَـبُ
صلّى الإلهُ على المختـار جـدِّك مَا
يقـضِي به المطْلبَـان الفـوزُ والأربُ

والكاتب عبيد ربه محمد الملقب بالعتيق بن محمد فاضل، حفيد شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين وابن أخته وابنُ عم مُحبيك شيخنا ماء العينين وأخيه شيخنا سعد أبيه، ومريدهما، والسلام. وإن عثرتم على خطإ أو سوء أدب، فاعفوا واصفحوا، والله يحب المحسنين، انتهى من خطه رحمه الله.

مطلب تاريخ وفاة الوالد رحمه الله بفاس ومحل مدفنه

فقابله السلطان مولاي الحسن بما لا مزيد عليه من الإكبار والإعظام، والمبرة والإكرام، ونفذَ له كل ما تدعو له الحاجة من مؤن الحج ولوازمه، فلما تهيأ للخروج إليه من فاس، أصابه مرض الجدري، فتوفي بسببه، رحمه الله، ودفن بزاوية الولي الشهير، الشيخ عبد القادر الجيلاني عام 1310 هـ. عشرة وثلاثمائة وألف. قال شيخنا الشيخ النعمة(44) بن شيخنا الشيخ ماء العينين في كتابه «الأبحر المعينية في

(44) الشيخ النعمة: هو محمد الغيث النعمة ولد عام 1300 هـ 1882م، من علماء الصحراء، وأدبائها البارزين.. بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين اشتغل بالتدريس بسوس، وظل بها إلى أن توفي سنة 1339 ـ 1920م. فدفن إلى جانب أخيه الشيخ أحمد الهيبة. خلف عدة أعمال أدبية وعلمية، منها كتاب الأبحر المعينية، ديوان في ما مدح به الشيخ ماء العينين، يقع في جزئين، الأول حققه د أحمد مفدي تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بفاس سنة 1976 وهو مرقون، والثاني، حققه المداح محمد المختار تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة بالرباط سنة 1995، وهو مرقون أيضا.

المدائح المعينية»[45] في آخر ترجمته للوالد المذكور ـ رحمه الله ـ ما نصه : «توفي عام عشرة بعد ثلاثمائة وألف بمدينة فاس ، قاصداً للحج ـ رحمه الله ـ ، وحضر جنازته السلطان مولاي الحسن وأعيان الدولة والقضاة والعلماء ، ودفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقبره معروف يُزار ، وقد زرناه مع شيخنا لما قدم على السلطان مولاي عبد العزيز بفاس عام عشرين بعد ثلاثمائة وألف»[46] .

مطلب تاريخ وفاة الوالد رحمه الله بفاس ومحل مدفنه

فقابله السلطان مولاي الحسن بما لا مزيد عليه من الإكبار والإعظام ، والمبرة والإكرام ، ونفذَ له كل ما تدعو له الحاجة من مؤن الحج ولوازمه ، فلما تهيأ للخروج إليه من فاس ، أصابه مرض الجدري ، فتوفي بسببه ، رحمه الله ، ودفن بزاوية الولي الشهير ، الشيخ عبد القادر الجيلاني عام 1310 هـ . عشرة وثلاثمائة وألف . قال شيخنا الشيخ النعمة[47] بن شيخنا الشيخ ماء العينين في كتابه «الأبحر المعينية في

---

(45) الأبحر المعينية ، ديوان في ما مدح به الشيخ ماء العينين ، يقع في جزئين ، الأول حققه د أحمد مفدي تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بفاس سنة 1976 وهو مرقون ، والثاني حققه المداح محمد المختار تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة سنة 1995 ، وهو مرقون أيضاً .

(46) الأبحر المعينية ج1 ص 533 ، تحقيق أحمد مفدي .

(47) الشيخ النعمة : هو محمد الغيث النعمة ولد عام 1300 هـ 1882م ، من علماء الصحراء ، وأدبائها البارزين . . بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين اشتغل بالتدريس بسوس ، وظل بها إلى أن توفي سنة 1339 ـ 1920م . فدفن إلى جانب أخيه الشيخ أحمد الهيبة . خلف عدة أعمال أدبية وعلمية ، منها كتاب الأبحر المعينية ، ديوان في ما مدح به الشيخ ماء العينين ، يقع ف جزئين ، الأول حققه د أحمد مفدي تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بفاس سنة 1976 وهو مرقون ، والثاني ، حققه المداح محمد المختار تحت إشرلف الدكتور محمد بنشريفة بالرباط سنة 1995 ، وهو مرقون أيضا .

المدائح المعينية»[48] في آخر ترجمته للوالد المذكور ـ رحمه الله ـ ما نصه : «توفي عام عشرة بعد ثلاثمائة وألف بمدينة فاس ، قاصداً للحج ـ ﷺ ـ ، وحضر جنازته السلطان مولاي الحسن وأعيان الدولة والقضاة والعلماء ، ودفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقبره معروف يُزار ، وقد زرناه مع شيخنا لما قدم على السلطان مولاي عبد العزيز بفاس عام عشرين بعد ثلاثمائة وألف»[49] .

مطلب ذكر السيد محمد بن جعفر الكتاني لوالدنا المرحوم بالله في تأليفه «سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»

وذكره أيضا العلامة الشريف ، السيد محمد بن جعفر الكتاني[50] في تأليفه المسمى سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» ، فقال فيه ما نصه «ومن أهل فاس الجديد ، الفقيه الشريف المنيف ، ذو الأدب الظاهر ، والنسك الباهر ، أبو عبد الله سيدي محمد ، المدعو العتيق بن محمد فاضل الشنجيطي ، الحوضي منشئاً ، المتوطن الساقية الحمراء ، كان رحمه الله ذا أدب وفقه ، ومشاركة في بعض العلوم ، صواماً ، قواماً ذاكراً ، خاشعاً ، أخذ العلم وغيره من الأدعية والأوراد عن شيخه وخاله ، الشيخ الشهير ، القدوة الكبير ، من ظهر في هذا

---

(48) الأبحر المعينية ، ديوان في ما مدح به الشيخ ماء العينين ، يقع في جزئين ، الأول حققه د أحمد مفدي تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بفاس سنة 1976 وهو مرقون ، والثاني حققه المداح محمد المختار تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة سنة 1995 ، وهو مرقون أيضاً .

(49) الأبحر المعينية ج1 ص 533 ، تحقيق أحمد مفدي .

(50) محمد بن جعفر الكتاني ، من علماء المغرب المتميزين ، هاجر إلى المشرق ، واستقر بالمدينة المنورة ، ثم انتقل إلى دمشق ، ثم عاد إلى فاس ، توفي سنة 1345 ، ودفن بروضة أسلافه خارج باب الفتح ، خلف عدة أعمال علمية منها : «سلوة الأنفاس» و «الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس» و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» وغيرها ، أنظر ترجمته في : معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ، ج 1 ص 77 .

الوقت ظهور شمس الظهيرة ، وانتشرت أياديه انتشار الكواكب المنيرة ، العلامة المشارك ، الذي لا يدركه في علومه وأهل عصره متدارك ، ذي التآليف الكثيرة ، والكرامات العديدة الكبيرة ، أبي عبد الله سيدي محمد مصطفى مء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين ، الشريف الحسني الإدريسي ، الشنجيطي - متع الله بوجوده وأفاض على البسيطة فيض مدده وجوده آمين ، وبه تربى وتأدب وتخلق وتهذب ، ثم إنه قدم لهذه الحضرة السعيدة دعاه إليها داعي المنون ، فأصيب بالجدري وتوفي به وذلك بفاس الجديد في عام عشرة وثلاثمائة وألف ، وكان له هناك جنازة عظيمة حفيلة ، حضرها أعيان الحضرة السلطانية ، فمن دونهم ، ودفن بالزاوية المنسوبة للشيخ الأكبر والغوث الأشهر ، سلطان الأولياء ، وقطب دائرة الأصفياء ، محيي الدين وتقي الدين أبي محمد سيدي عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى»(51)

تاريخ سفر صاحب الرحلة لزيارة قبري والده والشيخ حَسَنٌ بفاس

وقد كنت دائما معلق البال بزيارة قبره - ﷺ - فلم تساعدني الأيام ، لكثرة الموانع والعوائق الوقتية إلى عام 1356 هـ . ستة وخمسين بعد ثلاثمائة وألف ، سافرت من عند الأهل بنواحي طاطا بقصد زيارته وزيارة قبر شيخنا الشيخ حسنٌ ، فدخلت فاس أواخر ربيع النبوي من العام المذكور ، ولبثت فيه عشره أيام ، أتردد إلى زيارتهما - لله الحمد - كل ساعة ، نرجوه تعالى أن يجعلهما في أعلى الفراديس ، وأن يرزقهما رضاه الأكبر ، ويتقبل منهما ، وأن يتقبل منا ، ويغفر لنا ويصلح أحوالنا ومئالنا بجاههما ، وجاه جدهما رسول الله ﷺ ، والحمد لله على ما أولانا من فضله .

---

(51) سلوة الأنفاس ، ج . 3 ص 356 .

مطلب اجتماع جامع الرحلة بالسلطان سيدي محمد بن المولى يوسف ليلة عيد المولد الشريف بالرباط وذكر القصيدة التي أنشأها حينئذ في مدحه وتهنئته بالعيد النبوي

وفي ذهابي لزيارتهما - رضي الله عنهما - أدركني عيد المولد الشريف بالرباط في دار حاجب السلطان، مولانا سيدي محمد بن مولانا يوسف، وهو الفقيه الصوفي السيد محمد الحسن[52] بن القائد ادريس بنعيش، أخو قائد المشور بتطوان السيد محمد المصطفى ومحمد فاضل المتقدم ذكرهما، فلما صلينا المغرب في دار الحاجب المذكور ليلة المولد الشريف، استدعانا إلى دار المخزن للاجتماع بالسلطان فسرنا معه، فاجتمعنا بجلالة مولانا السلطان سيدي محمد في مسجده الخاص بدار المخزن، فاجتمع عنده تلك الليلة كثير من العلماء والأدباء والشعراء، حتى غص المسجد بهم، والسلطان جالس بينهم كأحدهم لم يتميز بعلامة من أبهة الملك عنهم، وباتوا مشتغلين في إنشاد المدائح النبوية، بالأنغام الحسنة والألحان المطربة، ومما ختموا منها قصيدتي البوصيري الميمية والهمزية الشهيرتين، وقصيدة كعب بن زهير ﵁ الشهيرة في مدحه ﷺ، فلما كان قبل طلوع الفجر بقليل، ختموا المجلس بقصائد من إنشاء بعض تلك الأجلة، في مديح مولانا السلطان، وتهنئته بعيد المولد

---

(52) محمد الحسن بنعيش: ولد بمكناس الزيتون في أول القرن الرابع عشر الهجري الموافق لسنة 1886م. درس القرآن مع إخوته على يد السيد بنشمسي، وأمهات الكتب على يد الفقيه المنوني، ثم انتقل إلى القرويين، فدرس على العلامة الفضيلي وبنسودة، وغيرهم، عين عونا لأبيه سنة 1904، وقام بالرحلة المشهورة إلى السمارة نيابة عن أبيه، ثم خليفة لأخيه المصطفى في عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ، ثم قائدا للمشور، بعد أن عين أخوه باشا على تطوان سنة 1910، وظل يمارس هذه المهمة طيلة عهد السلطان مولاي يوسف إلى أن عينه السلطان محمد الخامس حاجبا لجلالته يوم 18 نونبر 1927، ثم حاجبا لجلالة الملك الحسن الثاني، وبقي في منصبه إلى أن توفي بمدينة الرباط سنة 1965.

معلومات زودني بها مشكورا السيد علي بنعيش.

الشريف ، وما تفرق النادي ، حتى صلوا الصبح بمحضر من السلطان ، وكنت ممن أنشأ تلك الليلة في مدح مولانا السلطان ، وتهنئته بالعيد المولدي ، لا بأس بإيرادها هنا ، وهي[53] :

[الكامل]

بِشْـــرِ المُنى بكَ أشـــرقَتْ أعــلامُـــهـــا
يشْـــدو على فننَ السُّـــرور حَـــمـــامُـــهـــا
وحـظائـرُ الأفـــــراح مـنـكَ تـنـسـمـت
أرْواحُــهــا وتبـسَّـمت أكْـمـامُـهـا[54]
زانتْ إمــامــتُك الزمـــانَ وكـــيـفَ لا
تـزْدانُ أزْمـنـة وأنـتَ إمــــامـــــهـــا
لـم تـبـقَ من رُتب الكمـــالِ مَـــزيـــةٌ
إلا وانتَ مـــلاكُـــهـــا وقـــوامُـــهـــا
لـلـه درُّكَ يـا ابـن يوسـفَ من فـــتـــىً
يُرعى به للمكرُمـــات ذمـــامُـــهـــا[55]
أنـتَ المـلـيـكُ الـكـاملُ الـكَرم الـذي
نَجلتْك من غُـــرِّ الملوك كـــرامُـــهـــا
أجْــدادكَ الصـيـدُ الغطارفـةُ الأُلَـى
غَـبطتْ بهـا الغـربَ العـراقُ وشـامُـهـا
مـــوفـــورةٌ أعـــراضُـــهـــا مـــبـــذُولـــةٌ
أمـــوالُهـــا مـــوصـــولَةٌ أرحـــامُـــهـــا
وحـــمـــيـدَةٌ أخـــلاقُـــهـــا وســـديـــدَةٌ
آراؤُها وحـــديدةٌ أفـــهَـــامُـــهـــا

---

(53) أنظر هذه القصيدة في : باقة من شعر أقاليم الجنوب ، ص 46 .

(54) الأفراح : العرفان ، في باقة شعر من أقاليم الجنوب ، ص 46 .

(55) ابن يوسف :مجد ، في باقة شعر من أقاليم الجنوب .

فـــمـــحلُّ إيطَان السَّـمـــاحـــةِ راحُـــهـــا
ومـــحَلُّ تيـــجَـــانِ الخـــلافَـــةِ هامُـــهـــا
ترك العُلى لبنيـــه إســـمـــاعـــيلُهـــا
إرثاً وأورثهـــا بنيـــه هشـــامُـــهـــا
حـــتى جلَسْتَ على أريكة عـــرْشـــهـــا
مُلقى إليكَ عنَانُهـــا وزمـــامُـــهـــا
لَمْ تُحكَ في فـــخـــرِ الجـــدودِ ومَنْ يَرمْ
فـخـرَ النفـوس فَـمَـا سـواكَ عـصَامُـهَـا
تَحنُوا لمنبـــركَ الرؤوسُ مَـــهَـــابـــةً
إنَّ الأســـوَد مُـــهـــيـــبـــةٌ آجَـــامُـــهَـــا[56]
أســـهـــرتَ جـــفنكَ في تدابيـــرِ الأمُـــو
رِ فـــأصـــبـــحت بكَ مـــتـــقناً إبرامُـــهـــا
وكَـــفـــيت مـــا تشكُو الرعـــيـــةُ فـــانجلَتْ
لأواؤهَا بك وانتَـــفَـــتْ أسْـــقـــامُـــهَـــا
وتعلَّمتْ جـــهـــلاؤُها وتأدبـــت
أحـــلافُـــهَـــا وتيـــقَّظتْ نُوامُـــهـــا
عنيتْ بسَـــيْـــبك عن بعُـــولتِـــهـــا أيَـــا
مَـــاهَا وعنْ آبائهـــا أيتَـــامُـــهـــا
كـمْ منْ مـــدارسَ للعلوم نشـــرْتَهـــا
نشَـــرَتْ ثناءَك في الورى أقـــلامُـــهـــا
ومـــســـاجـــدِ شـــيَّـــدتهَـــا وعـــمَّـــرتهـــا
أضحى بفَـضلكَ حَـاكـمـا إحكامُـهـا
وكَمِ اعْـتـصـمْتَ بسُنة الهَـادي فـمـا
ترضَى سـوى مـا تقْـتـضي أحكامُـهَـا

---

(56) الرؤوس مهابة : الأكابر هيبة ، في : باقة شعر من أقاليم الجنوب .

وكمِ احْتـفلتَ بعيـد طلعَتـه فـعنْدك
لا تزالُ بهـــيـــجَـــةً أيَّامُـــهـــا
فـــاهْنأْ بهَـــا من ليلةٍ ســـرَتْ بشـــا
ئرُها بجـــدِّك واســـتنار ظَلامُــهـــا
هيَ ليلةُ القـــــدر الولاديُّ التـــي
عن البـــرية خــيـــرُها وســـلامُــهـــا
هلْ في اللَّيـــالي مـــايُوازي ليـــلةً
عن طلعـــة المختـــارِ زيعَ لثـــامُـــهـــا
من حُـــبِّـــه بالغَثُ في تعْظيـــمـــهـــا
أو ليْس من تعْظيـــمـــه إعظامُـــهـــا
أحــبِبْ بهـــا من مـــدْحـــة نبـــويـــة
باتَتْ تدارُ بمُنتـــدَاكَ مُـــدامُـــهـــا
مـــا أنتَ إلا البـــدْرُ في هالاتـــه
لَمَّا أحـــاطَ بجـــانبـــيْكَ ندامُـــهـــا
فلقَـــدْ رقـــيْتَ سَنامَ كَل مـــكانَة
في الفـــضْلِ عـــزُّ المرتقينَ سنَامُـــهـــا
ونشـرْتَ كلَّ يتـيـمـة للـمُـجـتـدي
فـبدَا بِمَـدْحِكَ للمُـجـيـد نظَامُــهَـا
ودَعَـتْ مَكَارمُك الوفـــدَ فَلم تـرمْ
تثْـرا إليْكَ فـيـسـتـفـادُ مـرامُـهـا
ووليُّ عـهـدكَ يقْـتـفـيكَ فنفـسُـه
عنْ رسْل مـجـدكَ يسـتـحـيلُ فِطامـهُـا
أنتمْ قـــديماً ســـادةٌ أبنـاؤكُـــم
مـــا إن تَزل عنْ إثركمْ أقـــدامُـــهـــا
مـــاذَا أعـــدِّدُ منْ خـــلالكم التـــي
لا يســـتطَاعُ كـمـــالُهـــا وتَمـــامـهَـــا

مطلب اجتماعنا تلك الليلة بالنقيب ابن زيدان، وذكر كتابه الذي بعث لنا قبل ذلك وصحبته الأجزاء المطبوعة من تأليف الإتحاف، وذكر جوابنا له والقصيدة التي قرظنا بها كتابه المذكور

واجتمعت في هذه الليلة بكثير من أجلة العلماء ، وأئمة الفضلاء ويلامع الأدباء ، وفيهم العلامة الأستاذ الفقيه المشارك الأديب ، النبيه ، الشريف ، نقيب العائلة السلطانية ، السيد عبد الرحمان بن زيدان(57) ، فقابلني بما لا يوصف من السرور والفرح بملاقاتي ، ولم يفارقني تلك الليلة ولا أيامنا بالرباط بعد ذلك ، حتى ركبنا في السيارة معا إلى داره بمكناس ، فبالغ في إكرامنا والإحسان علينا ، ولبثنا عنده أياما في أحسن حال ، نبيت ونظل في المذاكرة العلمية والأدبية ، نتعاطى عنده كؤوس الإفادة من جميع الفنون ، وكان من أغزر الأشراف علما وأدباً ، وأوسعهم اطلاعاً ، وأحلاهم مجلسا ، وأكرمهم نفسا ، وأقومهم نهجا ، فحمدنا الله على ما منّ به من اجتماعنا ، لأن كل واحد منا كان معلق البال بلقاء الآخر ، وقد كان بعث لي كتابا عام 1355 ، ومعه خمسة أجزاء ، تمّ طبعها من تاريخه المسمى «إتحاف أعلام الناس» ، ونص ما كتبه لي :

«الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، من عبد ربه خديم العلم والعلماء عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد الملك بن زيدان بن فخر الملوك وجد سلاطين المغرب الأقصى السلطان إسماعيل الأكبر ، دفين مكناسة الزيتون ، إلى حبه صاحب الفضيلة والنبل ، العلامة ابن العتيق ، أدام الله إجلاله وإكباره وسؤدده وفخاره ، وأمنه ورعاه ، وأمنه ورعاه وزاد في

---

(57) عبد الرحمان بن زيدان : ولد بمكناس سنة 1873 ، تلقى دراسته الأولى في مكناس وزرهون ثم ارتحل إلى المشرق ، تولى نقابة الإشراف بمكناس وزرهون ، توفي بمكناس سنة 1946 ، خلف عدة آثار أدبية منها : «إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس» و«الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة» و «العز والصولة في معالم نظام الدولة» ، وكثيرا من الأشعار ، أنظر ترجمته في : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ، ص 220 . أهم مصادر التاريخ والترجمة أحمد المكناسي ص 13 .

حسنه ومغناه ، وسلام على جنابه الأرفع ، ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، بإن رابطة العلم والأدب ، وصفاء الود المؤسس على تقوى من الله ورضوان ، تراث توارثه الأبناء عن الآباء ، حدا بي إلى مفاتحة جنابكم الملحوظ بعين الإكبار والإجلال بالمراسلة وإهدائكم ما تم طبعه من تاريخنا من إتحاف أعلام الناس ، وهو أجزاء خمسة ، راجيا أن لا يُنبذ وراءكم ظهريا ، وأن تعيروه حصة من وقتكم الثمين ، المعمور بما يقرب من الله زلفى اقتفاءً لآثار الأسلاف المتقين ، وتنبيهي على ما زاغ به القلم ، أو نبا عنه البصر ، وضمه من خطا وخطل ، شأن البشر ، وقد زرت في هذه الأيام الأخيرة القطر السوسي ، ولم يكن لي علم بمحل استقراركم ، حتى رجعت لتارودانت ، وراجت المذاكرة بيني وبين محب الطرفين الفقيه الأديب ، السيد محمد الشنجيطي البيضاوي[58] ، باشا تارودانت في العلماء والأدباء المعاصرين ، فأخبرني بأنكم العلم المفرد في هذا الزمان ، وشنف سمعي بما منحكم الله من الشمائل الشماء ، وميزكم به دون من عداكم من علو الكعب في الأدب الراقي والشعر الفائق الرائق ، والوقوع على بديع النكت العلمية والدقائق ، أسفي على عدم زيارتكم ، وتجديد المواثق والعهود وإحكام ربط صلة الوصل ، ولو بكتب سواد في بياض ، والله أرجو أن لا يحرمنا من اللقى على حالة رضى الله والرسول ، فنتملى من آدابكم الجم ، والسلام التام ، عائد على مقامكم الأسمى ، ورحمة الله وبركاته ، من كاتبه مجلٌّ قدركم ابن زيدان المذكور صدره ، في فاتح صفر الخير عام 1355 .

عنواني إن تنازلتم للجواب يكون هكذا :

نقيب العائلة السلطانية ، الشريف عبد الرحمان ابن زيادان بمكناس هـ .

انتهى من خطه ، جُزِيَ خيراً ، ووُقِيَ ضَيْراً ، فلما وصلني الكتاب أجبته بما نصه :

---

(58) محمد الشنجيطي البيضاوي : ولد بشنقيط ، سنة 1322هـ ، تلقى تعليمه الأول في شنجيط وحضر دروس علماء الرباط وفاس والمشرق ، اشتغل بالتعليم والقضاء والترجمة والصحافة ، فكان محررا في جريدة السعادة ، ثم باشا في تارودانت ، له أشعار كثيرة ومقالات نقدية هامة ، أنظر ترجمته في الشعر الوطني المغربي» ص ، 243 . ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنقيطي ، جمع وتقديم ، محمد الظريف .

«الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

إلى سيادة الأخ في الله، العلامة الشهير، الأستاذ الكامل الكبير، الفقيه المشارك، الأجل، العمدة، الجامع، الأفضل، واسطة عقد العلماء الأعيان، بحر يواقيت المعاني والبيان، أعجوبه الزمان، شمس العرفان، عظيم القدر والشأن، نقيب العائلة السلطانية، الشريف سيدي عبد الرحمان بن زيدان زاد الل احترامه وأدام إعظامه وإكرامه، وأبقى نجوم سعده طالعة، وثمار علمه يانعة. من أخيه وحبيبه ما العينين بن العتيق، دفين فاس الجديد، الإدريسي القلقمي، سلام يليق بمجادته العظمى، ومقامه الأسمى، ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا وقد وصلني كتابكم الأبهى بما تضمنه من خطابكم الأشهى، مصحوباً بالأجزاء الخمسة التي تم طبعها من تاريخ سيادتكم «اتحاف أعلام الناس»، فحل مني محل الإنسان من السواد والسويداء من الفؤاد، ومثلكم من بدأ بالفضل والامتنان ودعته آصرة الود الأدبي إلى مزيد الاعتناء والإحسان بعلو همتكم، وسمو رتبتكم أهل لما تفضلتم به من افتتاح المراسلة التي هي غاية المنية ونهاية البغية، ومن إتحافي بتاريخكم الإتحاف، السافر عن محاسن أسلافكم الأشراف، ومنذ وصل يدي، جعلته نصب عيني، ولم أغادر حاجزاً بينه وبيني، فألقيته بحراً زاخراً، وروضاً زاهراً، تقتني منه درر الآثار، وتُجتنى منه ثمر الأخبار، أخذ من فنون التاريخ أنفعها، ومن أساليب التأليف أبدعها، شفى الغليل في موضوعه المراد، ونمقه بلطائف الاستطراد، فضم الفوائد الجليلة، والمآثر الجميلة، والنكت العجيبة، والنتف المطربة، والآداب الرائقة، والأشعار الفائقة، ما يقرّ آماق الناظرين، ويشنف آذان السامعين، فلا مطعن فيه لحاسد، ولا مغمز فيه لنا قد، فأذن بفخامة قدركم العلي، وتبحركم في العلمين النقلي والعقلي. وقد تلقيته بأيدي القبول والسرور والاحتفال والحبور، راجيا منه تعالى أن يجعله عملا مبروراً وسعياً مشكوراً وأن يمتع المسلمين بدوام بقائكم وأن لا يحرمنا من الابتهاج بلقائكم، وقد سمحت القريحة بأبيات في تقريظه، ملتمسا من سيادتكم نظرها بعين الرضا والمسامحة، جعلنا الله وإياكم من الراضين المرضيين الهادين المهتدين المتمسكين بسنته عليه الصلاة والسلام، بالتمام، والسلام، كما بدأ يعود على جنابكم المحمود.

في 20 صفر الخير عام 1355. ما العينين بن العتيق المذكور».

والتقريظ المشار إليه هو :

[الطويل]

حبَا بعبير الآسِ نفْسي حَبيبُها
فأهْلاً بريح لا أني اسْتَطيبُهَا[59]

ولا عجبٌ أن كان للصَّدْر شارحاً
بآدابه صَدْرُ النوادي أديبُها

سراجُ الهدَى ، إكْليلُ مكناسةَ الذي
بهِ اشتهرتْ آثارُها وشُعُوبُها

منَ أرْبى على عبْد الحميد كتابةً
وأمَّا بناتُ الفكرِ فهْوَ حبيبُها[60]

لو اسْتاقَ أرْبابُ التواريخ نفْحَةً
سرت من عَبير الآسِ يَشفِي هُبُوبُها

لدان ابن قَاضيها وهَانَ عليْها
وغَار ابنُ عيساهَا وحَارَ خطيبُها

كسَا آلَ إسماعيل مُما يحُوكهُ
ملابس فخرٍ ليسَ يَبْلَى قشيبُها

معادنُ أشراف الخلائق مَنْ عنَتْ
لدولتهم مُرْدُ المُلوكِ وشيبُها

فَمَا أسْلَم الأعراضَ مُما يَشينُهَا
وما أخْلصَ ، الأعْراقَ مُما يَشوبُها

(59) لا أني : لا أزال .

(60) حبيبها : يعني أبا تمام .

مناقبُ أشراف تُباهي وتزدهي
بأن ابن زيدان الشريف نقيبُها
فمنْ بالمزايا منْك أولى وإن دعَتْ
فتَاها القَضايا منْ سِواك يُجيبُها؟
ومَن ذا لِدَاءِ الجهل غيرُكَ مُبْرئٌ
وهل يُبْرئ الأدواءَ إلا طبيبُهَا؟
وإتحافُكَ الأعْلامَ بالعِلم شاهدٌ
بأنك علاَّمُ الورَى وأريبُها
جُزيتَ على إهداء أجزائه التي
أبانَتْ لنا سِحْرَ البيانِ ضُروبُها
لخَمْستِها ترْتاح خمْسةُ راحَتي
ويوحشُني عَن مقلتَيَّ مغيبُها
لئنْ فاحَ منْ مكناس طيبٌ بأهلها
فقدْ زَانَ أضعافاً بطيبكَ طيبُها
إن تُعْجب الأحوالُ منْها فقد طَبى
بِوصفكَ إيَّاها العجيب عَجيبُها
ملأتَ بها الألْبابَ حتَّى كأنما
تَرى الناسُ منها ما تعيه قُلُوبها
وأطلعْتَها في الغرْب شَمساً لِشوقها
عيُونُ الأقاصي تستَهلُّ غُروبُها
فلا زِلتَ نورَ العصْرِ ما لاحَ نيِّرٌ
وما عاقبَتْ يوماً شَمَالاً جَنُوبُهَا

ولولا خوف الإطالة ، لذكرت طرفا مما جرى بيني وبين الشريف ابن زيدان المذكور ، وغيره ممن اجتمعت به من الأجلاء في سفري هذا لزيارة الوالد والشيخ حسن - رضي الله عنهما - أيامنا بفاس ومكناس وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش ، وغيرها من

المذاكرات العلمية والمحضرات الأدبية ، والمساجلات الشعرية ، والمفاكهات الودية ، والإفادات الدينية ، ونحو ذلك ، وقد أفردت لذلك سفراً مستقلا ، ذكرت فيه ما يشفي ويكفي ، فليراجعه من شاءه .

سفرنا من مدينة تطوان وتوادعنا نحن والشيخ محمد الإمام ومن معه فيها

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أمر رحلتنا الحجية ، وذلك أنا سافرنا من مدينة تطوان صبيحة يوم الجمعة الثامن عشر من المحرم ، بعد ما توادعنا نحن والشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، وابن أخته يحجب بن خطر ورفقاؤهم من بعمرانة بتطوان ، وافترقنا معهم هناك ، وتركناهم بنية الرجوع إلى مدينة إيفن ، بعضهم في الطيارة ، وبعضهم في السيارة ، على الهيئة التي قدموا بها في ذهابهم ، وبعدما توادعنا نحن وأعيان البلد من أهل المخزن وغيرهم ، فركبنا على السيارات بقصد مدينة سبتة ، وركب معنا بعض الأحبة لتشييعنا ، كالعبادلة بن الشيخ محمد الأغظف بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، ورفيقه أحمد بن سيد أحمد ابن عَبْدٌ ، الساكنين وقتهما بتطوان للتعلم ، وكأبناء القائد ادريس بنعيش ، ووزير الأحباس السيد محمد ابن عبد القادر بن موسى المتقدم ذكرهم ، والترجمان «بنيتْ» ، وغيرهم ، حتى وصلنا سبتة ، فركبنا السفينة قيلولة يوم الجمعة المذكور ، وودعنا المشيعون هناك ، ورجعوا .

وصولنا لمدينة اشبيلية وبعض صفة جامعها وواديها الكبير وركوبنا منها متوجهين كناري

ثم أقلعت بنا الباخرة ، فرست وقت الظهر بنا عند الخزيرات ، فنزلنا بها وركبنا من ساعتنا السيارات متوجهين مدينة إشبيلية ونزلنا دونها عشية ببعض المحطات ، حتى استرحنا وتغدينا ، فوصلناها وقت المغرب ، فتلقى لنا أهلها فرحين بقدمنا وأنزلونا منزلا حسناً رائقاً ، وأحسنوا ضيافتنا ، فلما كان من الغد ، يوم السبت التاسع

عشر من المحرم ، سرنا للتفسح في مدينة اشبيلية والاعتبار في بعض مثاثرها ، ورؤية بعض محاسنها ، فدخلنا الجامع الشهير بمسجد بني عباد ، فوجدناه في غاية الحسن والاتساع والإبداع وإحكام البناء وإتقان السواري ، على كثرتها ، وقد درتُ بسارية من سواريه لأقيس قدر عظمها ، فإذا هي سبع وعشرون خطوة لمن يمشي دائراً بها ، وجميع سواريه الكثيرة كذلك ، وفيه صومعة لا توصف حسناً واختراعاً وطولا ، ولم تتغير على تطاول العهد ومرور الأعصار ، إلى غير ذلك من تلك المآثر الحسنة ، كالوادي الكبير الذي حولها ، وهو وادي في غاية الحسن وصفاء الماء وعذوبته ، وبإزائه الرياض الزاهرة وسائر الأغراس والزروع الباهرة ، يسرح الطرف في ناضرها بكلتا الضفتين المعتدلتين في ميزان المحاسن اعتدال الكفتين ، وتسير فيه البواخر ، فركبنا عشية يومنا ، يوم السبت الباخرة ، فأقلعت بنا بعد صلاة المغرب قاصدة جزائر كناري ، سالكة بنا الوادي الكبير المذكور ، فلما مضت من الليل ، وصلت البحر المحيط ، فسارت بنا معه لوجهتنا إلى كناري بحمد الله وعونه ، فلبثنا بين إشبيلة وكناري ثلاثة أيام .

وصولنا إلى جزيرة كناري

ووصلنا كناري عشية يوم الثلاثاء ، الثاني والعشرين من المحرم ، ففرح بنا أهلها ، وأنزلونا في المحل الذي نزلنا فيه لما مررنا بها في ذهابنا ، ولم يقصروا في إكرامنا والإحسان علينا ، وهنأونا بالسلامة والحج والإياب بخير ، فبتنا بها ليلة الأربعاء والخميس مجتمعين .

ذكر ركوب الشيخ مربيه ربه من عندنا في كناري وأبيات خاطبني بها قبل ركوبه

فلما كانت صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من المحرم ، ركب سيادة الشيخ مربيه ربه ومعه أهله الطيارة لجهة الطرفاية ، ثم أقام سائر الوفد بعده بكناري ثلاثة أيام ، وقبل ركوب الشيخ مربيه ربه ـ أعزه الله ـ خاطب جامع الرحلة ما العينين بن

العتيق ـ غفر الله لهما ـ بهذه الأبيات الثلاثة على عادة كرمه وفضله أعزه الله وهي :
[الخفيف]

قسماً بالهوى ونُجلِ العيونِ
إن ماءَ العيون ماءُ العيون
كل صفو من خلّة يعتريه
غَيَرٌ غير صفو ماء العيون
ذاك ابنُ العتيق يا رب صُنْهُ
عن كُيود العِدى وسوء العيون

فجزاه الله عني بأحسن جزائه ، على ما يقابلني به دائما من إكمال الخصوصية وإخلاص المودة ، وشدة الاتحاد وإتمام الإيثار ، وإبداع الأسرار ، وإظهار الابرار ، ووضع أثواب المحافظة بيني وبينه ، حتى كأني لا فرق بيني وبينه مع الإحسان الكثير المتواصل ، والإكرام والتبجيل والإجلال بمحاسن الأقوال والأفعال ، وما ذلك إلا لما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق ، وحسن الشمائل ، وكرم النفس ، وجمال الطباع ، والتخلق بالأخلاق الرحمانية ، والتأدب بالآداب النبوية ، ولما زرعه الله بحمده له في باطنه من أمحاض النصيحة وأظهار المحبة وإعطاء الكلية من كل ما هو أهل له من كل ما لا يفي بشكره جناني ولا يعبر عن حقائقه لساني .

مخاطبات شعرية أدبية بين سيادة الشيخ مربيه ربه وجامع الرحلة ومنها ماهو للشيخ محمد الإمام

وكثيرا ما يخاطبني ـ أعزه الله ـ وتمم له مراده ، وأحاطه وكبت أعداءه وحساده ، بنحو ما خاطبني به في هذه الأبيات في نظمه ونثره ، لكمال اجماله ، ومزيد بره ، فمن ذلك أبيات ثلاثة راعى فيها الجناس التام ، في اسم الوالد ﷺ كما راعاه في اسمي أنا في ذه الأبيات الثلاثة المذكورة ، خاطبني بها قبل هذه ، لما قدمت على حضرته الشريفة وهي :

[الوافر]

عليكَ مـدَى الزمـان ابنَ العـتيـق
سـلامٌ عُلَّ بالراح العـتيـق[61]
تنمّ به المحـبَّـة كـالمرايـا
تُريكَ مَـحَـاسن الوجـه العـتيـق
وطيْـرُ البـشـر يشـدوا والتـحـايـا
تكرر مـرحـبـاً يا بن العـتيـق

فأجبته أعزه الله مراعيا في الجواب ما راعاه من الجناس :

[الوافر]

أمَن في الكونِ نبتَ عن العـتيـق
وبيتُك فيـه كـالبيت العـتيـق
وَمَن مِنْ قـدركَ الكَبـراءُ أمْـسَـوا
بمنزلة الهَـجين من العـتيـق[62]
نرَى أخـلاقكَ الحـسنى مـرايـا
حـديث المجـد والمجـد العـتيـق

وكتب لي مرة ، دام عزه وعلاه هذه الأبيات في كتاب يستقدمني لحضرته الشريفة ، وهي :

[البسيط]

يا خـيـرَ مَنْ منه أهْلُ العلم تنتـفـع

---

(61) عل : مزج وهو العل ، أي الشربة الثانية .

- الراح : الخمر

- العتيق : المعتق .

(62) الهجين : الذي به هجنة ، أي اختلاط بغيره ، وهو عكس العتيق .

وخـــيـــرَ من لـســبــيـل الحقّ يتّــبــعُ
مــاء العــيــون من العليــاءُ شــيــمــتــهُ
والمجــــــــدُ ديْـدنـه والـعـلـم والــورع
أقـــدمْ علينا وأهلا مـــرحـــبـــاً بكـــمُ
إنّ الـطيـــورَ على أشـكـالهـــا تـقـعُ(63)

وأنشدني يوما أعزه الله ، وقد كنْتُ أنشده بعض أشعاري ، هذين البيتين من ارتجاله :

[الوافر]

أمَـــا وبنات فكرك يا فـــصـــيـــح
لِبَـــا لآدابِ طبـــعُك يســتــريـــحُ
وفـــينَا أنتَ مـــحـــمـــودُ المزَايَـــا
وســـعـــيُكَ عندنا السّـعيُ الرّبيـحُ

فأجبته أعزه الله ارتجالا :

أمـــــا وخـــلالِك التـي تُـريـــحُ
ومـــا أنا عَـــوضُ دونكَ أسَـــتَـــريـحُ
لَـسَـــــعْيٌ لا تـؤم بـه ذمـــيـــمُ
ومَـــدحٌ لا تُـراد بـه قـــبـــيـــح

وقد لبثت أنا وأخوه الشيخ محمد الإمام مدة مقيمين عنده ، فلما هممنا بالسفر ، قال أعزه الله مخاطبا لنا :

[الوافر]

أكـــوْكَـــبي الهـــداية والإمـــامـــةْ
ومُـــؤتمِري أوامـــر الاســـتـــقـــامـــهُ

(63) الطيور على أشكالها تقع : مثل عربي معروف .

مـقـامَكمـا إلى يوم القـيـامـهْ
كـيـوم واحـد تلك الإقـامـهْ
وعنـدي لم يزد تلك الإقـامـهْ
سـوى الإنعـام في دار المقـامـهْ

فأجبته أنا غفَر الله لي بقولي :

[الوافر]

أمَنْ للأمـة المؤلى أقـامـهْ
إمـامـاً لم يقُم شـهمٌ مـقـامـهْ
شـهـودُكم الشـفـاء لنا ومـا إن
يفـارق من يفـاركم سـقـامـهْ
ويومٌ لا نـراكم فـيـه يحكـى
لـدينا طوله يوم القـيـامـهْ

وكذلك كنا مرة أخرى مقيمين عنده - أعزه الله - فلما همـمنا بالسفر ، خاطبنا بهذه الأبيات :

[الطويل]

رياضُ التـداني دانيـاتٌ قُطوفُـهـا
وجـوهُ الأمـاني شـامـخـاتٌ أنوفُـهـا
بليْـلاتِ أنسٍ بيْضَ الله وجـهَـهـا
تبـاهتْ بأنواع السُّـرورِ ظُروفُـهـا
ليـالٍ بإخـوانٍ قـضـيْنا حُـقـوقَـهـا
تسـامتْ مـبَـانيـهـا وَولت صُـروفُـهـا
فـيـا ليت يوم البـيْـن يوم قـدومكـمْ
رياض التـداني دَانيـاتٌ قُطوفُـهـا

فأجابه الشيخ محمد الإمام ، دام عزه بقوله :

[الطويل]

بيـوتُ المعـالِي عـاليـاتٌ سُـقـوفُـهـا
بكمْ كلُّهـا أنواعُـهـا وصـنُوفُـهـا
تقـدَّمْتَ في مـحـرابِ كلِّ فـضـيلـةٍ
وصلَّتْ بكُمْ أفـذاذُها وصـفُـوفُـهـا
ومنْ يرمَنك الوجـهَ يُبـصِـرْ بديهـةً
سطورَ المعـالي تسـتـبينُ حـروفُـهـا
ومنْ يسـتطِلْ يومـاً مُـقـامـا فـإنمـا
لديكَ الليـالي تسـتـقل أنوفُـهـا

وقال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق مجيباً له أعزه الله :

[الطويل]

لنعلكَ شُمُّ الصَّـيـدِ تعْنو أنوفُـهـا
ولمْ تسـتَـقمْ إلا ورَاكَ صـفُـوفُـهـا
وشمـسُ المنى لوْلاكَ مـا ابْيَضَّ وجْـهُـهَـا
ولا يُخْـشَى مـا دُمْتَ دُمتَ كُـسـوفُـهـا
ومن كـرم تُبـدي لوَفـدك مـنَّةً
علَيك ووُطْفُ الفـضلِ منْكَ وكُـوفُـهـا[64]
تفـارقُنا إن فـارقـتْك نفُـوسُـنـا
ولمْ يَطِبْ إلا فـي حِـمـاك عُكوفُـهـا

وكنت أنا والشيخ محمد الإمام معه في مجلس يوماً ، فأنشدنا أعزّه الله هذين

---

(64) وطف : وطفاء وهي الديمة التي طال مطرها أو قصُر ، لسان العرب ، (وطف)

ـ وكوفها : سيلانها ، نفس المصدر ، (وكف) .

البيتين :

[الكامل]

هـذَا هُـو الـنَّـادي الـذي تَـعـلُـو بـــه
جُلَســاؤُهُ ، لا ينتــهِي تَرحَــابُـــه
غـــابتْ عـــواذِلُهُ ، وفي أنسِ المنَـى
حَـضَــرَتْ علَى مَـا تَبْـغِي غُـيـاَبُـه

فقال جامع الرحلة - غفر الله له - ، مجيباً له أعزه الله :

[الكامل]

إن النَّديَّ بكَ اسْــتـنار شِـــهَـــابُـــه
وحَـــلا برؤيتِـــه إليْكَ خطابُـــه
فـــبِـفَـيْضِ سِـرِّكَ تغـتَـذي أرْواحُـه
وبنُورِ كَـشْـفِك تهـتَـدي ألبَـابُـه

فقال الشيخ محمد الإمام :

ياحــبَّـــذا ناد مَـــضَتْ أوقـــاتُـــه
طيـبـاً كــمــا قــدْ تشْـتَـهي أربابُـــه
أخـــــسنْ بـه لولاكُمُ لَـمْ يـحلُ مــا
مِنْ عَــصْــرِنَا مــعـدومــةٌ أضــرابُـه

فقال الشيخ مربيه ربه - أعزه الله - مخاطبا لهما :

[الكامل]

لا غــرْو إنْ أذكَى بَيَــانُكُمــا الحِـجَـى
وهْوَ الذي لا يُســتطاع عُــجـــابُـه
فـالبَـرقُ غـالبُ حَـاله لا سِـيـمَـا
بعْـد التـخَـافُقِ تسـتـهلُّ سَحـابُـه

فقال جامع الرحلة ـ غفر الله له ـ يخاطبه :

الفــضلُ تخــفقُ رايُه وقِــبــابُــه
بكُمُ ومنكُمْ تســتــهلُ سَــحــابُــه
ومَــجــامعُ المجْــد الصَّــحــيح بكفِّكُم
فَــالكُلُّ منكُمْ يُســتــفــادُ نصــابُــه

وقال الشيخ محمد الإمام يخاطبه أيضا :

بَحــر العُلوم بِجَــانِبــيْك عُــبــابــُه
ولِمَنْ أتى مَــوْضُــوعــةٌ أكْــوابُــهُ
مَــا أنْ تَزَال بفَــيْــضَكمْ وبِنَوْلِكُمْ
مملُوءَةٌ أسْــرارُهُ وعِــيَــابُــه(65)

وقال الشيخ مربيه ربه ـدام عزه ـ يخاطبني أيضاً وأخاه الشيخ محمد الإمام يوما :

[الطويل]

هُوَ البــحــرُ أنتمْ أهْلُه وحَــللْتُمُ
بذِرْوَتِه الدنيــا وعُــرْوته القُــصْــوَى
فــأَيْنَ مِــيَــاه الأرضِ منْ مــاءِ زَمْــزَم
وأيْنَ المَراسِيلُ العِتَاقُ منَ القَــصْــوَا(66)

فقال جامع الرحلة ـ غفر الله له ـ مجيبا له :

[الطويل]

إلَيْكم تناهَتْ صِــحّــةُ الفــهْم والعــزْوَى
ولا حُــسْــنَ إلا لأخْــلاقِكمْ يُــزْوى(67)

---

(65) عيابه : ج . عيبة ، وهو موضع السر ، لسان العرب (عيب)

(66) المراسيل : ج ، مرسال ، وهي الناقة السهلة السير ، نفس المصدر ،

ـ القصوا : الناقة المقطوعة الأذن ، قصو : وهو لقب ناقة الرسول ﷺ

(67) يزوي : يُجمع .

ولَو أن غـيـلانَ انْتـهَى لنَديّكُـم
لَمـا كَـان مَـشْـغُـوفـاً بَميٍّ ولا حُـزْوَى[68]

فقال الشيخ محمد الإمام مجيبا :

[الطويل]

أدامكَ ربّي في السُّرورِ كَمـا تَهْـوى
مُـعـافىً منَ الأَدْواء والشَّـرِّ والبَلْـوَى
بكَ ازْدانَ وجْـهُ الأرْضِ واخْـضلَّ نَبْـتُـهـا
وعَنْ أهْلِهـا انْزاحَ المَكارهُ والأسـوَا[69]

وقال جامع الرحلة يوماً ، وقد كان هو والشيخ محمد الإمام في نادي الأستاذ الشيخ مربيه ربه ، فباسطهما على وجه الإكرام :

[الطويل]

إذا لاحَ في النّادي الإمَـامُ ببِـشْـرِهِ
وفـاحَ شَـهِيُّ الطَّبع منْهُ بنَشْـرِ
يُرِ الذهْن منشـورَ البَـديع بطَيِّـه
ويسْـتـوضِحُ المَطْويَ منهُ بنَشْـرِهِ

فقال الشيخ محمد الإمام يخاطبه أيضاً ، أعزه الله :

أمَـا وفُـتـورِ الطَّرفِ منهَـا وسِـحْـرِه
ولعْس اللَّمَـا منْهـا ومَكنُـون دُرِّهِ

---

(68) غيلان : هو ذو الرمة غيلان بن عقبة الشاعر العربي المعروف

- مي : معشوقة ذي الرمة

- حُزوى : جبل من جبال الدهناء التي رددها ذو الرمة في شعره كثيراً

(69) أنظر هذه المساجلة في : مجموع يحجب ، و 177 .

لنِعْمَ زمَانٌ كُنتَ صَدرَ نَديِّه
ولَسنَا نُؤدّي الدّهرَ وَاجبَ شُكْرِه

فقال الشيخ مربيه ربه ، مخاطبا لهما :

[الطويل]

أمَا والذّي أغْرَى العَواذلَ بالّذي
أثَار هَوى الصَّبِّ المصونَ بصَدرِه
لنِعْمَ ونِعْمَ المنْتدى مُنتدَاكُما
ومَا قدّروا مِقدارَهُ حَقَّ قَدرِه

وكنا معه يوماً ـ أعزه الله ـ في بعض المجالس ، فبذل من المعروف ، وأوضح من العلم ، ما هو عادته أعزه الله ، فقال الشيخ محمد الإمام يخاطبه :

[الطويل]

إذَا جَعَل الأقوامُ مَعْروفَهمْ لَفْظَا
بلا عَمَلٍ قارنْت فِعْلكَ واللّفْظَا
وإنْ جَعَلُوا الدّعوى إلى العلْم سُلّماً
جَعَلْت صحيحَ النّقل والضبطِ والحفْظَا

فقال جامع الرحلة يخاطبه أيضاً :

[الطويل]

وإنْ يَزْعُمَوا بالجِدّ إدْراكَ رُتْبةٍ
يَروْكَ جَمَعْتَ الجِدَّ والجدَّ والحَظَّا[70]
وعَنْ وجْهكَ العَلْياءُ لَم تغْدُ عيْنُها
وإنْ هيَ للخطّابِ لمْ تلْتفِتْ لحْظا

---

(70) الجد : الحظ والرزق ، وفي البيت جناس تام .

فقال الشيخ مربيه ربه مخاطباً لهما :

[الطويل]

لعَمري لقَد أحرزْتُما رُتْبة العُلا
فَلم تَدَعَا منها لغَيْركما حَظَّا
على حَسَنِ الأخلاق طَبعاً جُبِلْتما
فعَيْنُ سُروري لا تَني بكما يقْظَى (71)

إلى غير ذلك مما جرى بيننا ـ بحمد الله ـ من نحو هذه المخاطبات ، في المراسلات والمحاضرات ، وهو أكثر من الإحصاء وأطول من الاستقصاء ، مع أن المخاطبات الشعرية قليلة ، بالنسبة إلى المخاطبات النثرية . ولولا خشية الإطالة ، لأتينا من ذلك بما يورق الأذهان ، ويشنف الآذان ، فلنقتصر على جوابه ـ أعزه الله ـ لرسالة بعثتها له في المحرم ، فاتح عام 1346 هـ ، تشتمل على أشعار ، ما كان منها لغيري عزوته لقائله ، وما لم أعزه فهو من إنشادي ، غفر الله لي :

رسالة أدبية من جامع الرحلة إلى الشيخ مربيه ربه وجواب رائق من الشيخ إليه

ونص ما كتبت له : بسم الله الرحمان الرحيم ، وعلى سيدنا محمد ، وعلى آله أفضل صلاة وتسليم :

[البسيط]

على جَبينكَ تاجُ العزِّ منظُورُ
وفي يَمينكَ سَيْفُ النَّصْر مشْهورُ
وتحتَ وطْأتكَ الأمْلاكُ خاضعَةٌ
وفَوْقَ رأسِكَ بنْدُ الفتْحِ منْشُورُ

(71) أنظر هذه المساجلة في مجموع بحجب ، و 174 .

وفقَ بُغْيَتكَ الأقدارُ جَارِيةٌ
والكَونُ في قَبْضَتَيْ كفيْكَ مَقْهُورُ
فَقرَّ عَيْناً وطِبْ نَفْساً فأنتَ بحَمْـ
ـدِ الله خيْرُ امرئٍ مَسْعَاهُ مشكَورُ

فنحمد من أجلسكم بأشرف محل ، وأودعكم أقاليد العقد والحل ، ومدّ بكم للأمة أطناب دينها ، وجدد بكم محاسن طبعها ودينها ، ونصب لكم معاريج المجد والصعود ، فرفعكم في دوحات الجد والسعود ، فتسنمتُمْ أسمَى ذروَة ، وتمسكتم بأقوى عروة ، سائرين بسيرة العمرين ، ظاهرين ظهور القمرين ، متقدمين في محاريب الإمامتين ، متلفعين بجلاليب الكرامتين ، متدفقين بعلوم الشريعتين ، متخلقين بوسوم الرفعتين ، فما أنتم في مقامكم الجليل إلا كما قال ابن الخليل :

[الكامل]

خيرُ البَرية أنتَ كلّهمُ
في يَومِكَ الغَادي وفي أمْسِ
وكَذاكَ مَا تنفَكُّ خَيرَهم
تُمسي وتُصبِحُ فوقَ ما تُمْسِ

ونشكره على فوائض فواضلكم الضافية ، وشمول شمائلكم الشاملة الشافية ، وإحيائكم قديم السننْ ، وإسدائكم عظيم المنن ، وتمهيدكم جُدَدَ الجادة والديانة ، وتشييدكم جُدَدَ الرعاية والصيانة ، فأنتم مجمع موارد الكرم ، والمورد الجامع الحرمْ و لعمري لأحرى من كل سرّي بقول البحتري :

[البسيط]

كأنّك السَّيفُ حَدّاهُ ورونَقُه
والغَيْثُ وابلُهُ الدّاني وريقُه
هلِ المكَارمُ إلا مَا تَجْمعُه
أوِ المَواهِبُ إلا ما تُفرِّقُه

لا جرم أن شرفكم طارفٌ وتالدْ ، وأن الناس الولد وأنتم الوالد ، تحرسونها وهي نائمة ، وتسرحونها وهي سائمة ، تلاحظون بجميل صنعكم قضاء أغراضها وتحافظون بصيانة عرضكم على أعراضها ، فأنتم قوامها وملاكُها ، وعليكم تدور على سبيل الحق الطرائق ، وقمتم بحق الخلق والخلائق ، فطرفُ الإسلام بكم قريرْ ، ولأنتمُ مع أهله كما قال جرير :

[الوافر]

يُرى للْمسلمِين عَليْه حقّا
كمِثْلِ الوَالِدِ الرّؤوفِ الرّحيمِ

فعلى جلالة سعادتكم الجليلة ، وفخامة سيادتكم العلية من التحيات والرحمات والبركات والنعمات ، ما يغني عن ضائع المسك تنسُّمه ويزري بلامع البرق تبسُّمه ، ويخجل الأكمام إذا تفتقَتْ ، ويذُم المدامَ وقد تعتَّقَتْ ، أبلغ في الأذان من سحر يوثرْ ، وأحسن في العيان من درٍّ يُنثر ، ومن التسليم والاحترام ، والتعظيك والإكرام ، مايستوفي من التحيات كل أسلوب ، ويستوفي غاية المناسب والمطلوب ، ويؤي عنا تلكم الحقوق الفرضية ، ويقوم مقامنا لدى الحضرة المرضية :

[الطويل]

سَلامٌ منَ الرّحمان يَجْري مَعينُه
بِنَظْم ثَمين الدُّرّ يُزرى ثَمينُه
يعُمُّ النَّديَّ المَوْلويَّ وينجلي
بمغزاهُ منْ صَفْو الوداد كَمينُه
ويستخلصُ المولَى الذي عَمّ يُمنُه
وبالنقْضِ والإبرام خصّتْ يَمينُه
إمامُ الأسَاتيذ المَرَبِّيه ربُّه
خَليفَتُه في أرضِه وأمينُهُ
فأنْت الذي لَولاكَ لَم تُمتَر العُلى
ولَمْ يُدْرَ منْ غثّ الفَخَارِ سَمينُهُ

مد الله لنا في أيام دولتكم ، وأمد بالتأييد أعلام صولتكم ، ولا برحت العصور لحبور أمركم مرتاحة ، والأمور لكم بما ترومون من الله متاحة ، ومدرار الأيادي بأكنافكم ينهمر ، ودمار الأعادي بأسيافكم يستمر ، هذا وإن من انحاز هذه الساعات من متعلقاتكم إلى هذه الساحات ، ما زالوا بحمد الله يُربون فيما لهم من الالاء تحبون ، فهم في ديابيج أفضالكم يرفلون ، وفي مدارج ظِلالكم يحفلونْ فكأنما حالهم مع صنعكم يُعنى بقول أبي تمام في المعنى :

(الوافر)

وَمَــا سَــافَــرتُ فِي الأفــاقِ إلا
وَمِنْ جَــدْوَاكَ رَاحِلَتِــي وَزَادِي
مُــقِــيمُ الظَّنِّ عِنْدكَ والأَمَــانِــي
وإنْ قَلِقَتْ رِكَــابِي فِي البِــلاد

وقد يعلم الله ما نحن فيه ، وما نبديه يسير بالنسبة لماتخفيه من التوق لمطالع شمسكم ، والشوق لمجامع قدسكم ، والتشوق لاشتياق بشركم ، والتشرف لاستياق نشركم ، ولمّا عز القدوم الآن بالقدم ، وتداعى ركنُ التجلد وانهدمْ ، وتسلينا بغدٍ أو بعْد غد ، وبسيكون وكأن قدْ ، وفي القلب ما فيه من ذلك ، وإن كانت النية هنا لكم تحمل بالنيابة عن القدم القلم ، فاستنار ليله في القراطيس حين أظلمْ ، فناب مسطاعه فيما لا يستوفيه ، إلا أنه يشفي بعض الغليل فيه ، فبعثت بالمسطور للثم تلكم اليمين وإنه بما سنح الفكر لقمين .

(المتقارب)

بَعَــثْتُ مُنيــباً كِــتَــابي لكُــم
وقَــبْلَ الكِتَــابِ بعَــثْتُ الفُــؤادَا
فلَيْلِتِي جَــعَلْتُ بَيَــاضَ العُــيـونِ
صَــحِــيـفَــتَــهُ والسَّــوادَ المــدَادَا

وبما يتحتم على الكتابْ عندما يصل الأعتاب ، ويرتاح إلى مأتاكم ، وتفتحه

راحتكم أن يُنشد لذي الرمة إذا حياكم ، وواجهه جميل محياكم :

[الطويل]

فلمّـــا تأملتُ الطّلاقَــةَ وانْثَنــى
إليّ ببِــشْــرٍ آنَسَتْني مَـخـائلُــهْ
دنوتُ فــقــبّلتُ النّدى من يدِ امـرئٍ
جَـمـيل مُـحـيّـاهُ ، بِسـاط أناملُـهْ
صَـفَتْ مـثلمـا تصـفُـوا المدامُ خـلالُهُ
ورقّتْ كـمــا رقّ النّسـيمُ شـمـائِلُـهْ

فلنا بوجودكم الفخرُ كل ساعة ، لا عدمناه إلى قيام الساعة ، ومن الفخر حسبكم إن الثناء كسبُكم واحتصرنا ما في الضمائر لاطلاعكم على السرائر . فما قاله ابن أيوب في موزونه ، كأنما يخاطبكم بمضمونه :

[المتقارب]

كَـسَـبْتَ الثناءَ وكَـسْبُ الثنـاء
أفْــضَلُ مَكْسَـبَــةِ الكَاسِــبْ
يَقــينُكَ يجْلُو سُــتُــورَ الدُّجَــى
وظنُّك يُخــبِــرُ بالغــائِــبِ

وحاشا فضل سيدنا أعزه الله ، وأدام فخره وعلاه أن ينسانا في صالح الدعوات ، لا سيما بالآمال والغدوات ، أو يخرجنا من حمى الهمة المنيلة كل مرمّه ، وكذلكم سائر المتعلقات في جميع الأوقات ، متعنا الله بطول حياتكم ، ممتعين بحصول طياتكم ، ونصركم الله وأعزكم وأيدكم ، وأطال في جميع النواحي يدكم ، ولا زلتم كالروض في بهيج نضرته ، وأريج زهرته ، ووريف ظلائله ، وقطوف خضائله وكالعارض تطمع بَوَارِقُ شواهده ، وتفزع صواعق رواعده ، فيصير أمطاراً للمرحومين ، وإعصاراً وناراً على المحرومين ، ودمتم كالدهر في بقائه وهتمه ، والبحر في سخائه وطمته ، وكالشمس إضاءة وارتفاعا ، والليث جراءة ودفاعاً ، وحاطكم السلام من السلام ، وعلى خصوص

البنوة والسلام ، في أوائل المحرم الحرام عام 1346 ، كتبه ابنكم ماء العينين بن العتيق ، كان الله لهما آمين .

ولما وصله أعزه الله الكتاب ، كتب لي ما نصه في الجواب :

«الحمد لله وحده حمد من عبده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عين الرحمة ، القائل إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة ، اللهم احفظ بحفظك الذي لا يضام ، واكنف بكنفك الذي لا يُرام ، واحرس بعينك التي لا تنام ، إبننا العامل العلامة الدراكة الفهامة ، النحرير ، العامل الواصل الكامل ، ابن أختنا ، قرة العينين ، ثمرة الجنبين ، السيد ماء العينين ابن ابن عمتنا ، وابن عمنا العالم العامل المحقق الأفيق ، السيد العتيق ـ روَّح الله روحه في أعلى فريق ـ هذا وبعد السلام فض الإخلاص ختامه ، ونصب القبول في ساحته خيامَه على سيادتكم ، ورحمة الله على مجادتكم ، ورفع أدعية مرجوّة القبول ، تُحقق لحسن طويتكم ما هو المأمول ، قد وصل كتابكم الذي مثله في البلاغة يعز المنبئ عن كل معنى بلفظ معجز ، تشبيهاته مصيبة ، واختراعاته عجيبة ، جعلتم بعضه مسلسلا ، وبعضه مرسلا ، فالحقتم الشكل بنظاره ، وأعلقتم الأول بآخره ، يشتد حتى تقول الصخر الأعلس ، ويلين حتى تقول الماء أو أسلس ، سواحر ألفاظ كفواتر الألحاظ ، معتقات معان ، كأنها فك عانْ ، كلام سديد ، قريب بعيدْ كالشمس تقرب ضياء ، وتبعد رفعة وعلاء ، يسيل في الأذهان سيل السلسبيل ، ليس إلى بلاغته من سبيلْ ، لا متناعه مع اتساعه ، وتعسيره في تيسيره ، ما أبرع عبارته وأبدع استعارته ، يدعو إلى حفظه حسن معناه ولفظه ، تطابقت أنحاؤه ، وتوافقت أجزاؤه ، يصبو إليه السمع والطرف ويجري فيه ماء الملاحة والظرف ، كأنما تنفُّس الأسحار بنسيمه وتصدع الأصداف عن نظيمه ، ونفث هاروت في وشي بروده ، وحبات القلوب من نظم عقوده :

[البسيط]

مـــعنىً بَديعٌ وألْفـــاظٌ منمْـــقـــةٌ
رقـــبـــقَـــةٌ وصَنيعٌ كُلُّهُ عَـــجَـــبُ

غيره لله دره

[البسيط]

سِحرٌ منَ اللّفظ لَوْ دَارتْ سُلافَتُهُ
علَى الزّمانِ تَمشّى مِشْيَةَ الثّمِلِ

هو السحر الحلال والماء الزلال ، وقد أنشدنا في استجادة ما أنشدتم ، واستحسان ما أوردتم ، قول أبي تمام لمدلول النظام :

[البسيط]

تَغايرَ الشّعرُ فيهِ إذْ سَهِرتُ لهُ
حتّى ظَنَنْتُ قوَافيهِ ستَقْتتلُ

ألا وكيف لا ، وهو من ذكى كالبرق أو أسرع لمعا ، وكالسيف أو أحدّ قطعاً :

[البسيط]

مناقبُ شَمَختْ في كُلّ مَكرمةٍ
كأنّمَا هي في أنفِ العُلى شَمَمُ

فأقررت عيني بوروده وشفيت نفسي بوفوده ، لكن الضمير لا يحيط بمكنونه ، والخطاب لا يسع ما في مضمونه ، ليتميز بإعرابه ما في فصوله وأبوابه ، إلا المشافهة في الكلام لا نيابة الطروس والأقلام ، إذاً قد رجونا من سمو قدركم وبهو بدركم ، وعلوّ جدكم ، وسمُو وُدكم وإنجاز ما وعدتمونا به من الاجتماع ، الذي هو ألذ من وصل الحبيب بعد الامتناع ، ومن تمايس القدود الرشاق ، واحمرار الخدود تحت سواد الأحداق ، أحلى من النعيم الحاضر ، وأشهى من الشباب الناضر . فالإنجاز سنة الكرام التي مضى عليها عملُهم وطريقةُ الأعلام التي نيط بها أملهم ، وسيادتكم بكل فضيلة أحق ، ولكل جميلة أسبق ، فأنتم نجوم الظلام ، وبدور التمام .

[الطويل]

فلِلنّجْمِ منْ بعْدِ الرُّجوعِ استِقامةٌ
وللبَدرِ منْ بعْدِ المغيبِ طُلوعُ

فأقدموا على بركة الله في حفظ الله ، وأمان الله ، برعاية الله .

[الخفيف]

لوْ علِمنَا مَـجـيـئكُمْ لَفَـرشْـنا
مُـهجَ القَلبِ أو سَـوادَ العُـيـونِ

غيره :

[الطويل]

وقـيل لَه أهلاً وسـهْـلا ومـرحـبـاً
فـهـذا مَـبـيتٌ صـالحٌ ومَـقـيـلُ

فنسأل الله جمع الشمل والملاقاة ، بعد الشتات ، في أطيب الأوقات .

[الطويل]

ليـال قَـضَـينَاهَا بطيبِ حَـديثكُمْ
فَـمَـا كـان أحْـلاهَا ، ومـا كـان أغْـلاهَا

أبقى الله شمس ذهنكم وقادة ، وأزمة البديع تحت مقاصدكم منقادة ، ول العلوم الوهبية لكم دثاراً ، والعلوم الكسبية لكم شعاراً ، ومتعنا الله بدوام إشراقكم ، وعطر بالثناء جميل أخلاقكم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ونسأله حسن البدايات والنهايات ، والسلام عليكم ، من السلام إلى دار السلام ، في أواخر المحرم الحرام عام 1346 ، عبيد ربه امربيه رب ، أنا له الله بشكره ما يحب .

نرجوه تعالى أن يحقق له رجاءه ، ويديم عزه وسناءه وارتقاءه ، ويجازيه عنا ببلوغ الآمال ، وقرة العينين في النفس والانجال ، وسائر المتعلقات في المسرات ودوام العافيات .

وكذلك صنوُه الأستاذ الشيخ محمد الإمام المذكور ، فقد كان بيني وبينه ـ أطال الله بقاءه ـ من الخصوصية الصافية ، والمودة الخالصة ، والمحبة الوافية ما لا يخطر على بال ، ولا يعبَّر عنه مقال ، حتى كأنا بحمد الله ، ذاتاً واحدة ، تقاربت الجسوم ، أو كانت متباعدة ، فلسنا ـ بحمد الله ـ إلا كما قيل :

[الرمل]

أنـــا مَـــنْ أهْــوى ومَـــنْ أهــوَى أنــــا
نحْنُ رُوحـــــان حَلَلْنَا بَدنَــــــا[1]
فـــــإذا أبْصَـــــرتَني أبْصَـــرْتَه
وإذا أبْصَـــــــــرتَهُ قُـــلـتَ أنَــــا

فقد جعلني ـ دام عزه ـ كنز سره المكنون ، وحديقة أنسه المصون ، فمبلغي عنده في الاجتباء والاصطفاء والتقرب لم يبلغ قريباً منه حبيب من حبيب ، وما ذاك إلا من كرمه وتواضعه وأفضاله ، ومحاسن أخلاقه وإجماله ، وتحليه بالأوصاف المحمدية ، ورسوخه في المقامات الأحدية ، وتأسيه بالأخلاق القرآنية ، وثبوته في مجمع الطرق الربانية ، ودائما ـ أدام الله لنا بقاءه ورفعته وعزه وارتقاءه ـ يخاطبني بما هو أهل له من الإحسان والإكبار ، وإظهار الاتحاد في الإعلان والإضمار ، في محاسن النثر ، وبدائع الأشعار ، فمن ذلك هذه الأبيات أنشدنيها من ارتجاله ـ حفظه الله ـ وقد اجتمعنا بعدما كنا مفترقين ، وهي[2] :

[البسيط]

مــاذَا أقُــولُ ولوْ أطْنَبْتُ فــيــمَــا بـــي
شــوْقــاً لكُم كــانَ كــالإيجــاز إطْنَابـــي

(1) ينسب هذان البيتان لرابعة العدوية .

(2) أنظر هذه المساجلة في مجموع يحجب ، و 2 ، وكذا مجموع اسلم ، و 184 .

فـــالقَلبُ بعْـــد كُمُ مـــا أنفَكَّ ذا وصَــب
كـأنّمـا البـيْنُ للأوصــابِ أوصَى بـــي[3]
ســرَى اشــتــيــاقُكُمُ في القلبِ يتْـبَـعُــهُ
عُـسْرٌفــاً بِعُـــرْفٍ وأغْـصــاباً بأغْــصـــابِ
أهكـذَا كُـلُّ خـلٍّ فـي الحـــــــبَّــــــةِ أمْ
شـيءٌ خُــصِّــصـتُ به من بيْنِ أحْـبــابي
نعَمْ لقــدْ فُـقْتُ إخـوانَ الصّـفــاء كَـمَــا
قــدْ فــقْــتُمُ الغــيْــرَ في علـــمٍ وأدابِ
لـذَاكَ صـــــــرْتُ بـكُمْ بـلا مُـنازعــــــةٍ
أوْلَى وصِـــرتُمْ عنِ الأحـــبَــابِ أوْلَى بـــي

فأجبته دام حفظه وعلاه بهذه الأبيات ، ملتزما فيها لزوم ما لا يلزم :

[البسيط]

يا منْ بمرْعـــاهُ إمْـــراعي وإخـــصَــابــي
والحبُّ والودُّ منه المحضُ خُـــصَّـــابـــي[4]
ومنْ ولهْتُ به شــــوْقــاً فـــجَــرَّعَنـــي
مَـا منْ جَـواهُ أقـاسي غُـصَّـةَ الصّـابــي[5]
إنّي لأصْـــبُـــوا إلى سلْـســـالِ وصْلكُــمُ
كـمـا إلى العينِ يصْبُـو المولَعُ الصّـابــي[6]

---

(3) وصب : وجع دائم .

(4) إمراعي : إصابتي الكلأ .

(5) الصابي : الذي صبأ

(6) الصابي : العاشق .

لولا فـــراقُكُمُ مَـــا اغْـــتــادني وصَـــبٌ
ولَـمْ يكُنْ غَـيـــرُكُمْ ترْياقَ أوْصـــابِـــي[7]

مـــــا زلْـتُ ذا نـصَـب من داء بـيـنكُـــمُ
وبيْنكُمُ بُرْءُ أدْوائي وأنــــصـــابـــي[8]

لوْ أنصفَ الدَّهْر أوْدَى بالبـــعـــادِ فَـــلا
تُفْـصــونَ عني وعنْكُمْ ليس يُقـصَى بـــي

وكان الأستاذ الشيخ محمد الإمام مرة مسافراً، فكتب إليَّ بهذه لأبيات :

[الطويل]

سـلامٌ كَـعـرْف الرّوضِ صـافـحـهُ النَّدى
يُزَفُّ إلى بَحْـــر النَّدَى والمـــكَـارمِ

من امـــتَـــزجَتْ رُوحي بسلْـــسَـالِ وُدِّهِ
وإن شـئْتَ سلْ سيولَ الدمـوعِ السَّواجـم

فـمُـوجـبُـه أنّي عَلى العــهْـد لـمْ أزَلْ
ولا تعْـتـــريني فـيـــه لوْمــةُ لائِـــــم

فأجبته غفر الله لي بقولي بعدما قدم من سفره :

[الطويل]

ألا مَـــرحَـــبـــاً أهلاً وســـهـــلاً بـــقَـــادم
أقَـاسي الهَـوى منْ حُـبّـه المـُـتـقَـــادمِ

---

(7) أوصابي : أوجاعي ، جاء هذا البيت برواية أخرى وهي :

- إن كان يعتادني من بينكم وصب   فطالما كنتم ترياق أوصابي

مجموع بحجب ، و . 2 .

(8) أنصابي : عنائي .

إمـــامُ الهُـــدى ، بدرُ الدّيانة مُـــرتقي
سنامَ المزَايا باُســتنام الـــعـــزائـــمِ
لـكَ المـنـزلُ الأحـظى مَـن الـقـلبِ إنْ تَـبنْ
وإنْ تدنُ لا تنفكُّ فـــيــــه مُـــــــلازم
أغصُ بريقي كُلّمـــا غـــبْت مـــثلمَـا
تغصُ البُـرَى في زَند ريًا المعـاصـــمِ[9]
فـأصْبـو إلى خَـمـر التّـداني بغُـصّـتـــي
صُبُـو مِن استـبـاهُ خَـمـرُ المَبـاســـم
فـــأغْـــدو به نَشْــوانَ أهــتــزُّ دَائمـــا
كَـمَـا اهتـزَّ أعطافُ الحِسـان النّواعـــمِ
على أن إيناسي على القـــرْبِ والنَّــوى
بكَ الدّهْر مـا غنّتْ شَـوادي الحَمـائِـــمِ

وكتب لي حفظه وكلأه الله مرة كتاباً يستقدمني فيه لحضرته العلية ، وأودعه هذه الأبيات :

[الطويل]

لئن غَـــاب يَا عَـــيْنيُّ مـــاؤُكُـــمَـــا إذاً
فَـــمَـــاهُو عن عَـــيْنِ الضّـــمـــيـــر بغَـــائـــب
لهُ صـــورةٌ في القلب لمْ يقـــضـــهـــا النّوى
ولمْ تَتـــخـطّفـْــهـــا أكفُّ النّوائـــبُ
إذا ســـــــاءني مـنْـهُ نُـزوحُ ديـــــاره
وضَـــاقتْ عليّ في نَواهُ مَـــذَاـــــبُ

(9) البري : الخلخال .

ـ ريا المعاصم : ممتلئة المعاصم

عَطَفْتُ على شــخــصــهُ غــيــرُ نــازح
مَــحلَّتُــهُ بيْنَ الحَــشَــا والتَّــرائــبِ

فكتب له أطال الله بقاءه ، في جوابه هذه الأبيات :

[الطويل]

أَسْــودُ فُــروع فــوق بيض تَرائــب
أم اسْتَنَّ فوقَ الطرْس مزبرُ كـاتــب[10]
أتاني عَلى شَــحْط المزارِ خِطابُــه
فلمْ أرَ ذاتاً غيــر ذات مُــخــاطــب
فتىً عنْ سؤالي حاجبُ العَين والحجَا
وهَل هُو إلا نصْبَ عيْني وحَــاجــب
فكيفَ إمــامَ الصَّفِّ عنْك تَربُّصــي
بمَغْنىً ومــغْنَاطيسُ شــوْقكَ جَــاذب

وقال الشيخ محمد الإمام دام بقاؤه أيضاً مخاطبا جامع الرحلة ما العينين ابن العتيق في مقدم قدمه على الحضرة الشريفة صانها الله بعدما طالت غيبته عنها ، جزاه الله عنا بطول العمر في العافية[11] .

[البسيط]

بُشْــراكَ بالسَّــعــد غَنَّى الطَّائرُ الغَــرِدُ
وأنجَــزَتْكَ ليــالي الوصْل مــا تَعِــدُ

---

(10) استنَّ : جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة .

ـ الطرس : الصحيفة .

ـ المزبر : القلم .

(11) أنظر هذه القصيدة في : مجموع يحجب ، و 36 .

بدْر المُنى ساطعاً هذاوُهُ وذه
شمسُ التهاني بأفْقِ السَّعْد تتَّقدُ
بمقدم منْ حبيبٍ شدَّ ما انتزحتْ
به يدُ البُعْد تبَّتْ للبِعادِ يدُ
فأصبحتْ ثمراتُ البشْر يانعةً
تخَالُ قنْوانَها باللُّطْف تنْعقدُ(12)
أما ترَى حَلباتِ المجْد مُنذُ أتَى
في كلِّ غاياتِهَا تجْري وتطردُ
لمَّا تنشَّقتُ من عُرْفِ الوِصال شذى
سرَتْ حُميَّا الشِّفا في كُلِّمَا أجدُ
يا مرْحبَا بكَ منْ علْقٍ لجانبنَا
تَهدي الرّكابَ بهِ عيْرانَةٌ أجدُ(13)
فالجَابَ مذ جابَت البيْداءَ حنْدسُهَا
وانْحَلَّ مذ حلَّ في ساحاتنا العُقَدُ(14)
رغْدُ المعَاشِ لمنْ نأتْ أحبَّتُهُ
ضنْكٌ و ضنْكٌ لديْهمْ عيشَةٌ رغَدُ(15)
ما إنْ يُزاحمُ وسْط القلْبِ منزلهُ
أنّى تُغالَبُ عن أشْبالهَا الأسُدُ
كمْ فكَّ عوْصاءَ ما انفكَّتْ مُغَلَّقةً
وعزَّ مصدر من لبابهَا يردُ

---

(12) القنوان : م . القنو : هو العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب

(13) الركاب : الإبل : العيرانة : الناقة الصلبة

- ناقة أج : قوية

(14) الحندس : الليل الشديد الظلمة

(15) الضنك : من ضنك : إذا ضعف رأيه .

مُـحـسَّـدٌ منْ أناس دونَ منصبـه
لازال فـوْقَ الذي من أجْله حَسَدُوا
قـد زانَ صَـدْرَ النديِّ اليـومَ مـشْـهدُه
مـا زان جيـدَ الفتاة السِّمطُ والغيـدُ[16]
لِمَـاءَ تفْـتُـرُ عن أغـرٌ ذي شنـَب
كـأنّهُ أقـحُـوانُ الرّملِ أوْ بَـرَدُ[17]
أصْـمَتْ فُـؤادَكَ عن قـوس مُـوتَّـرة
مـا إنْ لمنْ قـتَلتْ عـقْلٌ ولا قَـوَدُ[18]
ومنْ تأوُّد غـصْنٍ في غـلائلهـا
لوْلا الغَـضارةُ لا يُلفَى بـه أوَدُ[19]
هذا ونسْـألُ مـولانا رِعـايـاتكُـمْ
وأنْ يُبَلِّغَ للجـمـيعِ مـا قَـصَـدُوا

فلما أنشدنا منشئها ـ أطال الله حياته ـ بحضرة الأستاذ سيدنا الشيخ مربيه ربه ، قال في استحسانها هذين البيتين ارتجالا ، وهما :

[البسيط]

يا مَن يحـاولُ شـعـراً رائقـاً سلِسـاً
من نسْجِ يَلمـعَـة أثوابُـهُ جـدَدُ
أنشِـدْ عَلى ثِقـة لما تحـاولُـه
بُشـراكَ بالسَّـعْـد غَنَّى الطائرُ الغَـرِدُ

---

(16) السمط : الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظما فيه .

ـ الغيد : النعومة .

(17) قود : قصاص

(18) الشنب : من شنب شنبا : كان أبيض الأسنان فهو حسنها .

(19) أوَد : انحناء .

وقال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق ـ غفر الله له ـ في جوابها[20] :

[البسيط]

يا خـيـرَ من منهُ مُـدتْ للثناء يـدُ
فلمْ يكُنْ منه أخـرَى بالثنَا أحَـدُ
مَنْ غـادرتْ منْ عُلى أجـدادُهُ جُددا
بيضاً ، فجدّتْ به من بعدها الجُـددَ،[21]
ولا تزلُ له عنْ نَهـجـهَـا قـدَمٌ
إذا تشـعّـبت الطرائقُ الـقـددُ،[22]
وأخَتِ السُّؤْدَدَ الطّبْـعيُّ مُـهْـجَـتـهُ
طِفْـلا فـشُـدُّ به للسؤْدَد العـضُـدُ
من لا يَني في مـجـاز المَجْـدِ يرْصـدُهُ
حـقـيـقـةٌ حين لمْ يُوجَـدْ لهُ رصـدُ
لمْ يخكه في صَـمـيم المُكرمـات فـتـىً
وهلْ يُقـاسُ بصـافي المـسْجـد الزّبَـدُ؟
القـدْوةُ العُـمْـدةُ المُرسي مُطنّبـةَ الـ
ـعَلْيـاء ، فـهْـوَ لهـا الأوتادُ والعـمَـدُ،[23]
لا غـرْوَ أن جُـدْت يا أهلَ الثناء بـه
فليس من غيـر كـسْـب المنفق الصـفَـدُ،[24]

---

(20) أنظر مجموع يحجب ، و36 .

(21) جُدد : ج ، جُدة ، طريقة .

(22) القدد : من القدة ، وهي الفرقة والطريقة من الناس إذا كان هوى كل واحد على حدة ، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : «وأنا منّا الصالحون ومنادون ذلك طرائق قدداً» سورة الجن ، الآية 11 .

(23) مطنبة : مشدودة بالأطناب ، أي الحبال .

(24) الصفد : العطاء .

أحْبِبْ ببِشْرٍ وترْحيبٍ يُريه لنا
مِنْ فضْلكم في مُحيّا فكْرِهِ الخَلَدُ،[25]
نحنُ الأُلَى عن نُورِ مَشْهَدِكُمْ
وبَدْرِ مشْهَدِكم صبْرٌ ولا جَلَدُ
ما للمعيشةِ تنغيصٌ كبُعدِكُمُ
أنّى يُطيقُ النَّوَى عن رُوحِه الجَسَدُ
قد كابدتْ كبدي من بيْنكمْ كبدًا
وكيْفَ تصْبرُ عن أفلاذِها الكَبِدُ؟[26]
ما افْترَّ ثغْرُ اللّيالي عن بَوارِقِكمْ
واصْطادَ للوَصلِ عُصفورَ النوى صَرُدُ[27]
فالكلُّ منّا بِحمْدِ الله مُبْتَهِجٌ
وقد تهيّا لنا من أمْرِنَا رشَدُ،[28]
لا زال ذلكُمُ المغْنى البهيجُ لنا
رَوْضَ اجتماعٍ إلى أفْيائه نفَدُ،[29]
وكعْبَةُ حجِّهَا يَطبي الوُفودَ كما
يَطْبي لكَعْبَتِهِ حُجّاجَهُ البلدُ
ودُمتَ وارثَ طَهَ يا خليفَتَه
في الكوْنِ صلّى عليه الواحدُ الصَّمدُ

---

(25) الخلد السكون .

(26) بينكم : فراقكم .

(27) صَرد : من الصرد ، وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير .

(28) في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى : «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا» سورة الجن الآية 10 .

(29) لا زال ذلكم المغنى البهيج لنا : لا زال مغناكم الميمون عوض لنا ، في مجموع بحجب .

وقال الشيخ محمد الإمام أيضًا يخاطبني ، وقد ارتجلنا أشعاراً في محاضرة أدبية يطول جلبها :

[الطويل]

أمن خاضَ في بحرِ العلم لجَتهُ الوسْطَى
فشطَّ بها والغيْرُ ما جاوز الشّطا
لعمْرك لم يلبغ مديحَك مُفْلِقٌ
ولوْ شطَّ في أمداحه فيك ما شطّا
لأن المعاني في عُلاك تزاحمت
فأطّتْ سماءُ الفكر من حمْلها أطّا[30]
وإنّ بنات الفكر عزَّ اقتناصُها
على غيْر كفء يفهمُ القصْد والشرطا
وإني فتحت الباب من ذاك ناحياً
لماء عيون المجْد في الأخْذ والإعطا
فأعْطيت قوسَ الشعر باريَها الذي
لدى ذهنه حطّتْ رحَالتَهَا حطّا

فأجبته :

أواسطَة العقْد الإلاهي ما تُعطى
عزيز مداهُ من مراتبكَ الوُسطى
وما رامَ في مجدٍ يُساميك مُرْتَق
برفْعَته إلا تدحرج وانحطّا
أ إذْ لم تُقسْ في الشعر أعطيت قوسه
وأيُّ مُجيد منْك أجْدرُ بالمُعْطى
فذهنك في الآداب جوّلتَ طَرفَهُ
ولمّا تجاوزْ في مناهجها القَطا

(30) أطت : صوتت ، عجزت عن الحمل .

تنبي الشُّم عن دَرْك الإمـــام ولو خــدتْ
بفـيح عُـلاهُ نُجْبُ همًا تهم خـبْطــا[31]
فـمن يغـتـرف من بحـر أمـداحـه يُصِـبْ
ومن يعتـرف بالعـجـز عنه فـمـا أخْطـا[32]

وأمثال هذه المخاطبات بحمد الله كثير ، وإنما أتينا بطرف منها يسير ، دلالة على ما ذكرنا من أمر الشيخين ، جزاهما الله بطول العمر وقرة العينين ، ونحمده تعالى على نعمة مرافقتهما إلى الحرمين ، رزقنا الله بجاههما ، وجاه جدهما ﷺ سعادة الدارين ، وكفاية الهمَّين ، والحفظ من شر الثقلين ، آمين .

ذكر مسائل فقهية

مسائل فقهية ألقاها بعض وفدنا الحاج أيامَنا بكناري بعد مسير الشيخ مربيه ربه عنا ، وذلك أنا كنا ذات يوم في بعض مجالسنا ، فاستفتانا بعض الجلساء عن ثلاث مسائل اقتضى الحال البحث عن حكمها .

المسألة الأولى: هل يحل أكل ذبائح النصارى أم لا؟ والجواب عن ذلك

الأولى ، هل يحل أكل ذبائح النصارى لنا أم لا ؟ الثانية ، هل يباح لنا نكاح نسائهم أم لا؟ الثالثة ، هل تجوز لنا رقيا مرضاهم أم لا؟ فسارع بعض الحاضرين إلى الجواب بما لا مقنع فيه ، فالتفت السائل إلى جامع الرحلة ما العينين بن العتيق ـ غفر الله له ـ واستفتاني ، خصوصاً عن المسائل الثلاث ، فقلت له : لولا الوعيد الوارد فيمن سئل عن علم يعلمه فكتمه لما تكلمت في هذه المسائل بأدنى كلمة لأنها من

(31) خدت : أسرعت .

(32) أنظر هذه المساجلة في : مجموع يحجب ، و ، 190 .

الأحكام الشهيرة ، المشحونة بها الكتب الفقهية ، لكن حيث عنيتني بالخطاب لم يسعني ترك الجواب ، والله الموفق للصواب ، فأقول : أما المسألة الأولى وهي هل يحل لنا أكل ذبائح النصارى ، أم لا؟ فالجواب فيها ، أنه يحل لنا أكل ذبائحهم ، لقوله تعالى ، «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم»(33) ، قال البغوي في تفسيره ما نصه :«يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث محمد ﷺ ، حلال لكم ، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ ، فلا تحل ذبيحته ، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله ، كالنصراني يذبح باسم المسيح ، فاختلفوا فيه ، قال ابن عمر لا يحل ، وهو قول ربيعة ، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل ، وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول ، سئل الشعبي ، وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح ، قالا : يحل ، فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم ، وهو يعلم ما يقولون ، وقال الحسن : إذا ذبح اليهودي او النصراني ، فذكر اسم غير الله ، وأنت تسمع ، فلا تأكله ، فإذا غاب عنك فكل ، فقد أحل الله لك»(34) . وقال الخازن في تفسيره ما نصه : «يعني ، وذبائح أهل الكتاب حل ، وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي ﷺ ، فأما من دخل ف دينهم بعد مبعث النبي ﷺ ، وهم متنصروا العرب من بني تغلب ، فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن أبي طالب ، قال : لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر ، وبه قال ابن مسعود ، ومذهب الشافعي أن من دخل في دين أهل الكتاب ، بعد نزول القرآن ، فإنه لا تحل ذبيحته ، وسئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب ، فقال : لا بأس به . ثم قرأ : ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، وهذا قول الحسن وعطاء وابن أبي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد ، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ، وإحدى الروايتين عن أحمد ، والرواية الأخرى ، مثل هذا مذهب الشافعي ، وأجْمَعُوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الأصنام ، ومن لا كتاب لهم ،

---

(33) سورة المائدة ، الآية 5 .

(34) تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل ص 14-15-ج2 دار الفكر 1399هـ 1979م .

وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب، ذبائحهم خاصة.»[35]. وقال ابن حيان في تفسيره «البحر»[36] ما نصه: «طعامهم هنا هي الذبائح كذا قال معظم أهل التفسير، قالوا لأن ما كان من نوع البر والخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه إلى ذكاة، لا يختلف في حلها باختلاف حال أحد، لأنها لا تحرم بوجه سواء كان المباشر لها كتابيا أو مجوسيا، أم غير ذلك، وأنها لا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة، ولأن ما قبل هذا في بيان الصيد والذبائح. فحَملُ هذه الآية على الذبائح أولى إلى أن قال: «وإذا حملنا الطعام على ما قاله الجمهور من الذبائح، فقد اختلفوا فيما هو حرام عليهم، أيحل لنا أو يحرم؟ فذهب الجمهور إلى أن تذكية الذمي مؤثرة في كل الذبيحة، ما حرم عليهم منها، وما حل فيجوز لنا أكله كالشحوم المحضة. وهذا هو الظاهر لقوله: وطعام الذين أوتوا الكتاب»[37] وهذا المحرم عليهم ليس من طعامهم، وهذا الخلاف موجود في مذهب مالك» إلى أن قال أيضاً: «وذهب الجمهور، ابن عباس والحسن وعكرمة وابن المسيب والشعبي وعطاء وابن شهاب والحكم وقتادة وحماد ومالك وأبو حنيفة وأصحابه أن لا فرق بين بني إسرائيل والنصارى، ومن تهود أو تنصر من العرب أو العجم في حل أكل ذبيحتهم»[38].

وحاصل فقه المسألة في مشهور مذهب الإمام مالك هو ما لخصه الإمام ابن جزي في قوانينه، فقال ما نصه: «فأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رجالهم ونسائهم، فتجوز ذبائحهم على الجملة اتفاقاً، واختلف منها في فروع، وهي إن كان الكتابي عربيا، جازت ذبيحته عند الجمهور، خلافا للشافعي في أحد قوليه، وإن

---

(35) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ج 2 ص 14 دار الفكر 1979.

(36) يقصد كتاب «البحر المحيط» أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى بالقاهرة سنة 754 هـ مكتبة مطابع النصر الحديثة، المملكة العربية السعودية، أنظر ترجمته في، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6 ص 31.

(37) سورة المائدة، الآية 5.

(38) البحر المحيط. ابن حيان، ج 3 ص 431، ط 1 مطبعة السعادة 1328.

كان مرتداً ، لم تؤكل ذبيحته عند الجمهور ، خلافاً لأبي إسحاق ، وإن ذبح نائبا عن مسلم ، فقولان في المذهب ، ولا خلاف في الجواز إن ذبح لنفسه ، إلا إن ذبح لعيدهم أو كنائسهم ، فهو مكروه ، وأجازه أشهب ، وحرمه الشافعي ، وإذا كانت الذبيحة محرمة عليهم ، فأربعة أقوال : المنع لابن القاسم ، والإباحة لابن عبد الحكم ، والكراهة لأشهب ، والتفرقة بين أن يكون مما علمنا تحريمه عليهم كذى الظّفر ، فلا يجوز ، أو مما انفردوا بتحريمه كالطريفة فيجوز ، وفي شحوم ما ذبحوه ، المنع والجواز وفاقاً لهما ، والكراهة ، وإذا غاب الكتابي على الذبيحة ، فإن علمنا أنهم يذكون أكلنا ، وإن علمنا أنهم يستحلون الميتة كنصارى الأندلس ، أو شككنا في ذلك ، لم نأكل ما غابوا عليه»[39] . وهذا هو الذي تمشى عليه خليل في مختصره المبين لما به الفتوى ، فقال في باب الذكاة : «قطعُ مميز يناكحُ»[40] ، قال الدردير : «أي تنكح أنثاه ولو عبر به كان أولى ، فدخل الكتابي ذكراً أو أنثى ، ولو أمه» . وقال الخرشي : «ودخل في قوله يناكح ، أي يحل لنا وطء نسائه في الجملة ، المسلم والكتابي معاهدا أو حربيا ، حراً أو عبدا ، ذكرا أو أنثى ، ولا فرق بين الكتابي الآن ومن تقدم على المشهور . . . إلى أن قال خليل في وصف الكتابي : وإن سامريا أو مجوسيا تنصر وذبح لنفسه مستحله ، وإن أكل الميتة إن لم يغب»[41] إلخ . فتحصل مما تقدم أن لا خلاف في إباحة أكل ذبائح النصارى على الجملة ، وإن كانت الحرمة ربما تعرض فيها لأسباب خارجة مع الاختلاف في ذلك بين العلماء ، كما قررنا ، والله الموفق .

تنبيه في حكم صيد الكتابي

تنبيه . صيد الكتابي البري محرم الأكل في المذهب المالكي ، قال خليل : «وجرح

---

(39) قوانين الأحكام الشرعية ، ومسائل الفروع الفقهية ، محمد بن أحمد بن جزي ، ص 200 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1979 .

(40) مختصر خليل ، ص 90 تصحيح وتعليق الشيخ أحمد نصر ، ط 1981 ، المكتبة المالكية .

(41) شرح الدردير على مختصر خليل ، ج 1 ، ص 226 ، د ، ت .

مسلم مميز وحشيا» إلخ ، قال شارحه الخرشي : «واحترز بالمسفح من غيره كتابيا أو مجوسيا» ، قال محشيه العدوي : «واشتراط الإسلام» في قوله تعالى :«تناله أيديكم ورماحكم»[42] ،لأن الخطاب للمسلمين ، وهو مبني على الإضافة تفيد الحصر . هـ» . وقال ابن حيان في تفسيره «البحر» عند قوله تعالى : «وما علمتم من الجوارح مكلبين»[43] ، ما نصه : «وظاهر قوله : ما علمتم أنه خطاب للمومنين . فلو كان المعلم يهوديا أو نصرانيا ، فكره الصيد به الحسن أو مجوسيا ، فكره الصيد به جابر بن عبد الله والحسن وعطاء ومجاهد والنخعي والثوري وإسحاق . وأجاز أكل صيد كلابهم مالك وأبو حنيفة والشافعي إذا كان الصائد مسلما . قالوا : وذلك مثل شفرته والجمهور على جواز ما صاد الكتابي . وقال مالك لا يجوز فرق بين صيده وذبيحته .»[44] ، وقال ابن جزي في قوانينه «يجوز صيد المسلم اتفاقاً ولا يجوز صيد المجوسي ، وفي صيد الكتابي ، ثلاثة أقوال : الجواز : والمنع والكراهة»[45] . وأما صيد البحر ، فحلال مطلقا ، ولو بصيد كافر ، إذ لا يزيد على كونه ميتة ، وميتته حلال .

المسألة الثانية، هل يباح نكاح نساء النصارى أم لا؟ والجواب على ذلك

وأما المسألة الثانية وهي هل يباح لنا نكاح نسائهم؟ فالجواب عنها ، أنه يباح لنا نكاح نسائهم على الجملة ، لقوله تعالى عاطفا على الحلال : «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم»[46] ، قال الخازن في تفسيره ما نصه : يعني ، وأحل لكم المحصنان من أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، قال ابن عباس : يعني الحرائر من أهل الكتاب . وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك ، يريد العفائف من أهل الكتاب .

---

(42) سورة المائدة ، الآية 94 .

(43) سورة المائدة الآية 4 .

(44) البحر المحيط ج 3 ، ص 429 .

(45) قواين الأحكام الشرعية ، ص 116 .

(46) سورة المائدة الآية 5 .

فعلى قول ابن عباس ، لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية ، وهو مذهب الشافعي . قال : لأنه اجتمعع في حقها نوعان من النقصان : الكفر والرق . وعلى قول الحسن ومن رافقه ، يجوز التزويج بالأمة الكتابية ، وهو مذهب أبي حنيفة ، لعموم هذه الآية ، واختلف العلماء في حكم هذه المسألة ، فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى . روي أن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة[47] على نسائه ، وهي نصرانية ، وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية . وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ، ويحتج بوله تعالى : «ولا تنكحو المشركات حتى يؤمنّ» ، وكان يقول : لا أعلم شرطاً أعظم من قولها إن ربها عيسى . وأجاب الجمهور عن قوله : «ولا تنكحوا المشركات حتى يومن»[48] بأنه عام ، خص بهذه الآية ، فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب ، وحرم من سواهن من أهل الشرك . وقال سعيد بن المسيب والحسن : يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب ، لعموم قوله تعالى : «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم»[49] . وأجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب . قال ابن عباس : من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا ، وقرأ» قاتلوا الذين لا يومنون بالله» إلى قوله : «حتى يُعطوا الجزية على يد وهم صاغرون»[50] ، والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب»[51] .

وقال ابن حيان في تفسيره البحر ، ما ملخصه : والظاهر جواز نكاح الحربية الكتابية لاندارجها في عموم المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . وخص ابن عباس هذا العموم بالذمية ، فأجاز نكاح الذمية دون الحربية ، ولم يفرق غيره من الصحابة بين الحربيات والذميات ، ولا خلاف بين السلف وفقهاء الأمصار في إباحة

---

(47) الفرافصةً : هو صهر عثمان بن عفان ، السيرة النبوية ، ج 1 ص 77 .

(48) سورة البقرة الآية 221 .

(49) سورة المائدة الآية 5 .

(50) سورة التوبة الآية 29 .

(51) تفسير الخازن ص 15-16 .

نكاح الحرائر الكتابيات ، واتفق على ذلك الصحابة إلا ما روى عن ابن عمر»[52] .
ومشهور المذهب المالكي في المسألة ، هو ما جلبه خليل في مختصره حيث قال : «والكافرة إلا الحرة الكتابية بكره ، وتاكد بدار الحرب ، إلخ» . قال شارحه الخرشي ما ملخصه : وحرم نكاح الكافرة إلا إذا كانت حرة كتابية ، فإنه يجوز نكاحها مع الكراهة على قول مالك . وقال ابن القاسم : يجوز بلا كراهة ، لقوله تعالى : «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» ، أي الحرائر . وإنما كره مالك ذلك في بلد الإسلام لتغذيها بالخمر وهو يلابسها ، وربما تموت وهي حامل ، فتدفن في مقابر الكفار ، وتأكدت الكراهة في تزويجها بدار الحرب لأنه لا يامن تربية ولده على دينها ، ونحو ذلك . وفي الدسوقي ما نصه : «والحاصل أن غير الكتابيات من الكفار لا يجوز وطؤهن لا بنكاح ولا بملك ، والكتابيات يجوز وطء حرائرهن بالنكاح وإمائهن بالملك فقط لا بالنكاح ، ولو كان سيدها مسلما ، فكل من جاز ولاء حرائرهم بالنكاح من غير المسلمين جاز ولاء إمائهم بالملك فقط ، وكل من منع ولاء حرائرهم بالنكاح ، منع ولاء إمائهم ولو بالملل»[53] .

فتبين مما قررنا أن نكاح الحرة الكتابية ، ذمية كانت أو حربية مباحٌ ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

المسألة الثالثة، هل تجوز رقيا مرضاهم؟
والجواب عن ذلك والكلام في حكم الحرز

وأما المسألة الثالثة ، وهي هل تجوز لنا رقيا مرضاهم أم لا؟ فالجواب عنها ، أن الرقيا من حيث هي بكتاب الله وأسمائه ونحو ذلك مما يفهم معناه ، لا خلاف في جوازها ، وقد ورد ما يقتضي عموم الجواز للمسلم والكافر ، قال الخازن في تفسيره عند المعوذتين ما نصه : «وأما الرقى والتعاويذ ، فقد انعقد الإجماع على جواز ذلك ، إذا كان بأيات من القرآن ، أو إذا كانت وردت في الحديث . ويدل على صحته الأحاديث الواردة في

---

(52) البحر المحيط ج 11 ص 163-165 .

(53) شرح مختصر خليل للخرشي ، ج 3 ص 188 ط ، 3 المطبعة الأميرية بولاق .

ذلك، منها حديث أبي سعيد الخدري، أن جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم. قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك. ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس، قالت: يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفسترقي لهم؟ قال: نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر، لسبقت العين، أخرجه الترمذي. وقال: حديث صحيح، وعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ، كان يتعوذ، ويقول: أعوذ بالله من الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما وترك ما سواهما». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. فهذه الأحاديث تدل على جواز الرقية، وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي، لجواز أن يكون فيه كفر. والله أعلم»[54].

وقال ابن حيان في تفسيره البحر، عند قوله: «وتُنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين»[55]، ما نصه: «وقال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين. وهذا معناه، قبل أن ينزل به شيء من العين، أما بعد نزول البلاء، فيجوز رجاء الفرج والبرء من المرض كالرقى المباحة التي وردت السنة بها من العين وغيرها،. وقال ابن المسيب: يجوز تعليق العوذة في قصبة أو رقعة من كتاب الله، ويضعه عند الجماع، وعند الغائط، ورخص الباقر في العوذة تُعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى باسا بالشيء من القرآن يعلقه الإنسان»[56].

وقال ابن جزي في آخر قوانينه الفقهية ما نصه: «المسألة الثامنة في الرقى والدعاء للمريض، ورد في الحديث الصحيح، رقية اللديغ بأم القرآن، وأنه برء. وقال ﷺ، من عاد مريضاً، لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله الكريم رب

---

(54) تفسير الخازن، ج 4 ص 324.

(55) سورة الإسراء، الآية 82.

(56) البحر المحيط، ج 6 ص 74. مطبعة السعادة، مصر 1328هـ.

العرش العظيم أن يشفيك ، عافاه الله من ذلك المرض . وكان ﷺ إذا عاد مريضاً ، قال : اذهب الباس رب الناس ، واشف ، فأنت الشافي ، شفاء لا يغادر سقما . وأخبر ﷺ ، أن جبريل عليه السلام ، رقاه بهذه الرقية : بسم الله أرقيك ، والله يشفيك من كل داء فيك ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وكان ﷺ يعوذ الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان رجيم وهامة ، ومن شر كل عين لامة . ويقول هكذا كان أبي إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام ، وروينا حديثاً مسلسلا في قراءة آخر سورة الحشر مع وضع اليد على الراس ، أنها شفاء من كل داء ، إلا السام ، والسام هو الموت ، وقد جربناه مراراً عديدة ، فوجدناه حقاً»(57) .

وقال ابن جزي أيضاً في قوانينه قبل هذا بيسير ما نصه : «المسألة الخامسة . . يجوز تعليق التمائم ، وهي العوذة التي تعلق على المريض والصبيان ، وفيها القرآن وذكر الله تعالى إذا خرز عليها جلد ، ولا خير في ربطها بالخيوط . هكذا نقل القرافي ، ويجوز تعليقها على المريض والصحيح ، خوفا من المرض والعين عند الجمهور وقال قوم : لا يعلقها الصحيح ، وأما الحروز التي تكتب بخواتم وكتابة غير عربية ، فلا تجوز لمريض ولا لصحيح ، لأن ذلك الذي فيها يحتم أن يكون كفراً أو سحراً»(58)

مطلب بعض ما يُرقى به وفيه الكلام على الاكتواء والحقنة وزيادة كلام على التمائم والحروز ونحوها

وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني في رسالته مانصه : «ولا باس بالاكتواء والرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب ، ولا بأس بالمعاذة تعلق ، وفيها

(57) قوانين الأحكام الشرعية ، ص 486 ، 487 .

(58) نفسه .

القرآن»[59] . قال شارحه الشيخ أحمد النفراوي[60] المالكي ما نصه : «ولا بأس بالاكتواء ، أي يجوز على قول الأكثر بناء على المشهور من أن الأفضل استعمال الأخذ في الأسباب ، لأنه لا ينافي التوكل كما قدمنا بسطه . ومن المتفق على عدم جواز التداوي به ، الاكتحال بالعذرة للرمد . وظواهر نصوص الأئمة جواز كشف العورة للتداوي . وقد وقع الخلاف في الحقنة . وسئل مالك في مختصر ابن عبد الحكم عنها ، فقال لا باس بها ، لأنها ضربٌ من الدواء ، وفيها منفعة للناس ، وقد أباح النبي ﷺ التداوي ، وأذن فيه ، فقال : ما أنزل الله داء إلا وله دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، فتداووا عباد الله . وتُحمل النقول المخالفة لهذا على حالة الاختيار والجواز على حالة الاضطرار ، فيتفق النقلان ، ثم شرع في بيان ما يرقى به ، فقال : ولا باس بالرقى ، جمع رقية بكتاب الله ، ولو بآية منه .قال تعالى : «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين» . ويرقى بالفاتحة ، وآخر ما يرقى به منها وإياك نستعين ، ومما يرقى به كثيراً آيات الشفاء الست . وقد قال بعض الشيوخ ممن عرف بالبركة ، من كتب ، الله لطيف بعباده ست عشرة مرة في إناء نظيف وقرأ عليها آيات الشفاء ، ومحاها بماء النيل ، وسقاه لمن به مرض مثقل فإن قدر له الحياة شفاه الله بأسرع وقت ، وإن قدر له الموت سكن ألمه ، وهون عليه الموت ، وقد جرب مرات كثيرة فصح، وآيات الشفاء ست : الأولى : «ويشف صدور قوم مومنين»[61] . الثانية : «وشفاء لما في الصـــدر»[62] الثالثة : «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء

---

(59) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 370 خ 2 مطبعة مصطفى محمد المكتبة التجارية ، 1355 هـ .

(60) أحمد النفراوي : هو أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي . ولد ببلدة نفرة ونشأ بها ، ثم حضر إلى القاهرة ، فتفقه على اللقاني ، ثم لازم عبد الله الزرقاني ومحمد الخرشي ، توفي سنة 1125هـ . من تآليفه : الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني ، وهو كتاب في الفقه المالكي طبع بمصر سنة 1331هـ . في ثلاثة أجزاء ، وهو المقصود هنا .

(61) سورة التوبة الأين 14 .

(62) سورة يونس آية 57 .

للناس»[63] . الرابعة : «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين»[64] الخامسة : وإذا مرضت فهو يشفين»[65] السادسة : «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء»[66] . . ولا بأس أيضاً بالرقية بالكلام الطيب من غير القرآن ، حيث كان عربيا ومفهوم المعنى ، كالمشتمل على ذكر الله ورسوله ، أو بعض الصالحين ، ولعل هذا هو المراد بالطيب لا الحلال ، لعدم مناسبة المقام . وأما ما لا يفهم معناه ، فلا تجوز الرقية به ، لأن الإمام لما سئل عن الأسماء العجمية ، قال : وما يدريك أنها كفر ، ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به ، ولو جرب وصح ، وكان الإمام ابن عرفة يقول : إن تكرر النفع به تجوز الرقية به ، ولا شك أن كل ما تحقق النفع به لا يكون كفرا ، ومن ذلك ما يعمل لحل المربوط ، ولتسكين عقل المصروع وإخراج الجان أو إزالة النزيف ، ولو حديداً كخاتم سليمان يكتب عليه بعض أسماء ، وتحمل كراهة مالك على ما لم يتحقق النفع به . ويجوز أخذ العوض على الرقية ، كما في قضية الرهط المشهورة في باب الجعل ، حين لدغ كبيرهم ورقاه بعض أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا بأس بالمعاذاة بالذال المعجمة وهو التميمة المعروفة عند العامة بالحرز ، تعلق في عنق الشخص أو ذراعه ، وفيها بعض أسماء ، وشيء من القرآن ، وربما تعلق على بعض الحيوانات ، ويجوز حملها ولو كان الحامل لها حائضا أو جنباً ، ولو كثر ما فيها من القرآن ، حيث كانت مستورة . وأما بغير ساتر ، فلا يجوز ، إلا مع قلة ما فيها من القرآن ، كالآية ونحوها ، ولا فرق في جميع ذلك بين المسلم والكافر ، حيث كانت بساتر يقيها من وصول الأذى . قال خليل : «وحرز بساتر وإن لحائض»[67] . قال شراحه : ولو كافراً أو بهيمةً . ولا ينبغي تعليقها من غير ساتر إلا مع قلة ما فيها من

(63) سووورة النحل ، آية 69 .

(64) سورة الإسراء ، الآية 82 .

(65) سورة الشعراء ، آية 80 .

(66) سورة فصلت ، آية 44 .

(67) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ج2 ، ص 370-371 .

القرآن كما قدمنا ، وكان الحامل لها مسلماً» .[68]

ذكر حديث الرهط عن أصحابه ﷺ مع رئيس الحي الملدوغ وما دل عليه من الحكم

وما أشار إليه من قصة الرهط الذين لدغ كبيرهم ورقاه بعض أصحابه ﷺ مستدلا به على جواز أخذ العوض على الرقية صحيح ، كما أن تلك القضية تدل أيضاً على جواز نفس الرقية للكافر ، لإقراره ﷺ عليها ، وهي شهيرة في كتب الحديث والفقه ، ورواها البخاري في صحيحه ، فقال في بعض رواياته ما نصه عن أبي سفيان : «إن رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، انطلقوا في سفرة سافروها ، حتى نزلوا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا بكم ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرهط ، إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم : نعم ، والله إني لأرقي ولكن والله ، قد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق ، فجعل يتفل عليه ويقرأ ، الحمد لله رب العالمين ، حتى لكأنما نُشط من عقال ، فانطلق يمشي ، ما له قلبة ، قال : فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : أقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ، أصبتم ، أقسموا ، واضربوا لي معكم بسهم»[69] .

وفي رواية عن خارجة بن الصلت ، عن عمه ، قال : أقبلنا من عند رسول الله ﷺ ، فأتينا على حي من أحياء العرب ، فقالوا : إنكم جئتم من عند هذا الحبر ، وهذا صريح في كفر هذا الحي ، وكفى بذا دليلا على جواز رقية الكافر ، وكفى من

---

(68) نفس المصدر ج2 ، ص 370-371 .

(69) صحيح البخاري ، ج 3 ص 121 ، باب الإجارة . طبعة دار إحياء التراث العربي . د . ت .

الدليل أيضاً على صحة النفراوي المتقدم في التميمة ، ولا فرق في جميع ذلك بين المسلم والكافر إلخ .

قضية عمر ﷺ مع قيصر ملك الروم

قضية سيدنا عمر بن الخطاب الشهيرة مع قيصر ملك الروم ، وقد أوردها شيخنا الشيخ ماء العينين في كتابه المسمى «إفادة الأمير والرعية والوزير»[70] بما نصه : «وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن بي صداعاً لا يسكن ، فابعث لي دواء ، إن كان عندك ، فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة ، فبعث عمر ﷺ له قلنسوة ، فكان إذاوضعها على رأسه ، سكن صداعه ، فتعجب منه ، ففتش في القلنسوة ، فإذا فيها كاغد مكتوب عليه : بسم الله الرحمان الرحيم لا سوى ذلك ، فقال عند ذلك قيصر : ما أكرم هذا الدين ، شفاني الله تعالى بأية واحدة منه»[71] .

مطلب جواز الرقيا لليهود وقضية الوالد العتيق مع علماء فاس في مقتضى ذلك

وقد دفعت قضية من قبيل هذه المسألة لوالدنا المرحوم بالله العتيق بن محمد فاضل - ﷺ - مع بعض علماء فاس ، استطردها العلامة مريد شيخنا الشيخ ماء العينين الواصل ، الكامل ، الشيخ أحمد بن الشمس في كتابه «النفحة الأحمدية» فقال فيه ما نصه : «استطراد وإيراد لبعض المراد ، مطلب جواز الرقى لليهود . قال ابن

(70) إفادة الأمير والرعية والوزير بأسرار فاتحة الكتاب المنير : كتاب في الأسرار ، للشيخ ماء العينين ، يتكون من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، كان الفراغ من تأليفه سنة 1308هـ . توجد منه نسختان خطيتان الأولى في 26 ورقة ضمن مجموع يوجد بالخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم 1656 والثانية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1597 .

(71) إفادة الأمير والرعية والوزير ، 17 ، مخطوط ، د 1597 .

عم شيخنا ـ أدام الله عزه وحياته في العافية ـ وابن أخته العلامة المشارك الورع ، دفين فاس الجديد ، سيدي محمد العتيق ـ رحمه الله ـ مقرظٌ بعض حواشي الفقيه سيدي المهدي الوزاني[72] ، لما أنكر بعض علماء المغرب ـ وكان قاضيا على بعض الفقراء معه رقى يهودية ، وهدده القاضي بالحبس ، وقال : إنه فعل منكراً ، واختفى المريد عنه أياما ، وظنوا أنه هرب ، وألف تأليفاً ، ووجده يخطب يوم الجمعة ، ودفعه له ، ووجد الحال سيدي محمد العتيق متخليا عن مكانهم ، وأخبر بالقضية هذه القصيدة وأرسلها للقاضي ، ولما رآها سلم ، ورجع ، ومطلع القصيدة :

[الطويل]

أيا علمــــاءَ الدين من كــــان مُنكــرا
فــــلا يُنكرن إلا الذي كـــــان مُنكــــرا
فـــمـــا وجْـــه إنكار لفـــعل مـــوافـــق
لمـــا فـــعل الفـــاروق يا عُلمـــا القـُـرا
وقـــد كـــان خـــيْـــر الخلقِ صلى إلهُـنا
عليــــه الصـــحب من قـــبلُ قـــرَّرا
فـتـهـديد كمْ بالحـبس شـخـصـاً مُـقلَّـداً
أولائكُمُ الأقـــمـــار ظلمٌ بلا امْـــتـــرا .

إلى أن قال :

ألا فــاحكمـــوا بالحق في الناس كلِّهـــا
ولا تتــركــوا في الدين شيــئــاً مغـيـرا

---

(72) من علماء المغرب المبرزين في الفقهيات والنوازل الوقتية وأحكام المعاملات ، ولد سنة 1266 هـ ، وتلقى العلم على يد مجموعة من العلماء الذين أجازوه واعترفوا له بالفضل ، منهم الشيخ ماء العينين ، توفي سنة 1342هـ . ألف عدة مؤلفات منها : المعيار الجديد في عشرة أجزاء ، والنوازل في أربعة أجزاء ، وتأليف في الرد على محمد عبده في مسألة منع التوسل إلى الله بالأولياء والأنبياء وموافقته في إباحة ذبيحة الكتابي ، وغيرها .

وخلُّوا أناســـــاً لا تبـــيع لدينهـــــا
ولا تبـتـــغي فــيـــه الجـدالَ ولا المــرَا
وحــــســبُـهمُ زجـراً عن الفُــحش والخنا
مــخــافــتُــهم من كـــان أقـــوى وأقــدرا

وقد وقعت له في سفر ، قبل سفره الذي توفي فيه .وأجابه أحد الفقهاء الذين مع القاضي نيابة عنه ، وهو الفقيه الأديب السيد محمد بن آجّ ، بهمزة مفتوحة ممدودة وجيم مفتوحة مشددة ، التمسماني ـ رحم الله الجميع ، سالت عنهم ، وقيل لي إنهم صاروا إلى رحمة الله ، «بعد الحمد لله ، والصلاة عليه ، ﷺ ، وعلى آله ، وعلى السيادة التي يقصر دونها كل متطاول ويخضع لعُلو منصبها العالم والجاهل ، المعنية بقول الصادق الذي بين كتفيه شامة ، المنزل عليه لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة» سلام الذُّ عند النفوس من النسيم ، مختومٌ ختامه مسكٌ ، ومزاجه من تسنيم ، وبعد فقد وافتنا خريدةٌ تُزف زفيف الأقحوانة في نداها ، قد اعتدل غزل طعمتها وسداها :

[البسيط]

إذا تأملْتَــــهـــــا لَمْ تدْر منْ لطــف
راحـــاً بلا قَـــدح شـــربْتَ أم قَـــدَحـــا

أنبأت عن لطافة راقمها بأضوإ شهاب ، وأطفأت نارَ الجهْلِ ، وقدْ كانت في توقُّدٍ والتهاب .

[الوافر]

فَـــقُلْ مـــا شـــئت فـــيـــهـــا من مـــديـــح
تجـــــدها فـــوق مـــــا نطق المديــــحُ

لو استطعمتها لكانت قوتا أو تجسدت لكانت للعيان ياقوتاً .

[الوافر]

كـتـابٌ فـي سـرائره سُـرور
مُنَاجـيـه من الأحـزان نـاجِ
كـراحٍ في زُجـاجٍ بـل كَـرُوحٍ
سَرتْ في جـسْمٍ مُـعـتـدلِ المِزَاج

ثم إن الحق ما ذكرتم وبنيتم ، وفصلتُم وأجْملتُم ، وإن أبى الأبى ، لأنه فِعْلُ نبي وصحابي .

[الطويل]

وهلْ تركَ الإنسـانُ في الدين غـايةً
إذا قـال قلّدْتُ النبي مـحـمـدا

والعذر لفقيهنا ، فلعله لم يطلع على المسألة تفصيلا ، مع شغل باله بالعلة القائمة فيه ، وغضوا الطرف واصفحوا .

[الطويل]

فـسـامحْ ولا تـسْـتـوفِ حـقَّك كلَّـه
وابْق فلم يسـتـوْفِ قطُّ كـريـمُ

وعلى المحبة الصافية الودُّ في القرب والبُعْد . والسلام ، وعلى المحبة والإكرام هـ . من خط الناسخ ، قوبل على خط صاحب الجواب ، جزاهم الله خيراً ، لرجوعهم للحق ، قال :

[الخفيف]

ليس من أخطأ الصـواب بمُخْـطٍ
إن يؤب لا ولا عليـه مـلامَـةْ
إنما المخـطـئُ المُـسـيءُ مـن إذا مـا
وضحَ الحقُّ لجَّ يحـمـي كـلامَـهْ

حـــــسناتُ الرُّجــــوع تُذهبُ عنْـــــه
ســــيـــئـــات الخطا وتنفي الملامَـــــه[73]

انتهى من النفحة الأحمدية بلفظه .

تنبيه في جواز رقية الكتابي للمسلم إذا كانت بكتاب الله ونحوه

تنبيه ، وكذلك تجوز رقية الكتابي المسلم إذا كانت بكتاب الله ونحوه من ذكر الله مما هو مفهوم . ففي صحيح موطأ مالك ، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ، ويهودية ترقيها ، فقال أبو بكر : أرقيها بكتاب الله ، قال شارحه محمد الزرقاني ما نصه : «عقب كتاب الله القرآن إن رجى إسلامها أوالتوراة ، إن كانت معربة بالعربي أو أمن تغييرهم لها ، فتجوز الرقية به وبأسماء الله وصفاته ، واللسان العربي ، وبما يعرف معناه من غيره بشرط اعتقاد أن الرقية لا تؤثر بنفسها ، بل بتقدير الله . قال عياض : اختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم ، وبالجواز قال الشافعي ، قال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية ، فقال : لا باس أن ترقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله ، قلت : أيرقي أهلُ الكتاب المسلم؟ قال : نعم إذا رقوا بكتاب الله .

فتحصل مما تقرر جواز الرقية مطلقاً إذا كانت بكتاب الله وأسمائه ونحو ذلك مما هو معروف ، فحاصل جواب المسائل الثلاث بالجملة الجواز ، والله الهادي إلى الصواب ، وإليه الرجوع والمآب .

ولما سمع السائل الجواب ، قنع به واطمأن له ، ودعا بخير ، نرجوه تعالى أن يرزقنا العلم والعمل به والإخلاص ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أعمالنا ، وأن يقابلنا بفضله ويجعلنا من ضنائن خلقه آمين .

(73) النفحة الأحمدية : الشيخ أحمد بن الشمس ج 2 ، ص 53-54 . المطبعة الجمالية ، مصر 1330 .

مطلب مدة إقامتنا بكناري بعد الشيخ مربيه ربه وركوبنا منها ونزولنا بطرفاية

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أمر الرحلة ، وذلك أنا بعدما أقمنا ثلاثة أيام بكناري ، بعد ذهاب الأستاذ الشيخ مربيه ربه ، ركبنا يوم الأحد السابع والعشرين من المحرم الطيارة ، ولبثنا فيها نحو ساعة ورُبع ، فنزلنا صبيحة ذلك اليوم بمدينة الطرفاية عند من هناك من الأهليين ، وأقام لنا أهل المدينة وقت نزولنا حفلة هائلة وأبهة شاملة ، وأظهروا من الأفراح والمسرات ما لا مزيد عليه ، ووجدناهم متهيئين على ترتيب عجيب وزيٍّ حسن غريب ، على حسب مراتبهم ، وتفاوتهم في مناصبهم . وعندما استقرت الطيارة ، أقبلوا علينا من ل جهة مسلمين ومهنئين . وأول من لقينا سيادة الشيخ الطالب اخيار[74] بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، وكان قدم قبل مقدمنا على الطرفاية من جهة أهله في بلاد مُرتَانْ لزيارة إخوته وأهاليه والسلام عليهم . ولقينا معه سيادة أخيه الشيخ محمد الأغظف ، فسلمنا على الشيخين ، والتمسنا منهما صالح الأدعية ، فدعوا لنا بخير ، وهنأنا بحج بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام وبرجوعنا ـ لله الحمد ـ سالمين ظافرين ، ثم سلمنا على سائر الأقارب والإخوان والأحباء وجميع أهل المدينة ، ثم سرنا صحبة الشيخين المذكورين إلى دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه ، وما زالت تدور بنا الصفوفْ ، وتُضرب بجوانبنا الدفوف ، والناسُ محدقة بنا في زحام ، رافعين للتباشير فوق الرؤوس والدور الرايات والأعلام ، حتى دخلنا دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه مع أخويه المذكورين ومعنا رؤساء أهل البلد ، فتلقى لنا بما لا يوصف من الإجمال والإكرامْ والإكبار والإعظام ، وبذل ملاذ الشراب والطعام كما هو المألوف من كرمه في سائر الأيام .

---

(74) الطالب اخْيَارْ : ولد سنة 1291هـ 1874م بالجنوب المغربي ، بعد بلوغه مرتبة الشيوخ بعثه والده الشيخ ماء العينين إلى بلاد القبلة لنشر الفاضلية ، وظل بها إلى أن توفي في مدينة اندر من بلاد السنغال سنة 1362 هـ 1943م له تآليف كثيرة ، وأشعار مختلفة ما زالت كلها مخطوطة ، أنظر ترجمته في : الأبحر المعينية ، ج 1 و 134 ، سحر البيان ، و 125 .

مطلب ذكر الأيات المشاهدة في الحرم
المذكورة في قوله تعالى «فيه أيات بينات»

فلما اطمأن بنا المجلس التفت علينا ـ وقد الحج ـ الأستاذ الشيخ محمد الأغظف بن شيخنا الشيخ ماء العينين ، وقال : حدثونا ببعض الأعاجيب التي شاهدتم في رحلتكم هذه إلى الحرمين ، فقال له جامع الرحلة ما العينين بن العتيق : أما أعاجيب الاختراعات العصرية ، فهي مشاهدة في كل بلد ، وكأن أمرها صار بديهيا عند الناس ، فلا نطيل بذكرها ، لكن من أعجب ما رأينا الآيات البينات التي ذكرها الله تالى في قوله : «إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات»(75) إلخ فقد كنا نومن بها قبل مشاهدتها ، وقد شاهدنا بحمد الله منه كثيراً .

[الوافر]

ولكن للعيان لطيف معنى
لذا سألَ المشاهدةَ الخليلُ

فمن تلك الآيات أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء ، بل ينحرف عنها إذا وصل إليها على كثرته يميناً وشمالا ، ومنها أن الوحوش لا يوذي بعضها في الحرم ، حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ، ومنها أن الطير إذا مرض منه شيء استشفى بالكعبة ، ومنها تأثير قدميْ إبراهيم عليه السلام في الحجر الذي كان يرفع عليه قواعد البيت ، فكلما علا الجدار ارتفع الحجر به في الهواء ، وذلك الأثر باق إلى اليوم . وقد نقلت ذلك كافة العرب في الجاهلية على تطاول القرون ومرور الأعصار ، كما قال في ذلك أبو طالب :

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعِل

ومنها أن المسجد الحرام يسع المئين من الألوف ، بل كل من رام دخوله يسعه مما

(75) سورة آل عمران ، آية 96 .

يضيق به متسع الفضاء ، وكذلك يسعه المطاف ، فتطوف الألوف العديدة في ساعة واحدة ولا ترى أحداً يثنيه عن الطواف ازدحام الناس فيه ، ثم تشرب من ماء زمزم كذلك ، وتسعى بين الصفا والمروة كذلك ، ومنها جباية الأرزاق إلى مكة ، وهي بواد غير ذي زرع ، وما من فاكهة ولا طعام ولا ثمرة إلا وهي مشحونة منها في كل وقت . ومنها أن ماء الحمل لا يدخل الحرم على كثرة الأمطار وغزارتها ، ومنها دلالة عموم المطر إياه من جميع جوانبه على خصب آفاق الأرض ، فإن كان المطر من جانب أخصب الأفق الذي يليه ، إلى غير ذلك مما لا يُحصى ، فاستحسن الشيخ ـ أدام الله حياته ـ جوابي له ، وتعجب مما ذكرت ، وقال الحمد لله الذي أنعم عليكم بمشاهدة ذلك عياناً ، تقبل منا ومنكم الأعمال ، وأصلح بنا ولكم الأحوال والمثال .

توديع جامع الرحلة لمن من الأهلين بالطرفاية وركوبه ونزوله عند أهله بحمد الله في الطنطان

ثم بتنا ليلة الإثنين ، وأقمنا يومها بالطرفاية في دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه مع من هناك من الأقرباء والأهلين ، فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم ، اجتمعنا ـ وفد الحجاج ـ عند الإمام الشيخ مربيه ربه مع أخويه المذكورين ومن هناك من الأهالي ، واشتركنا الدعاء ، وتوادعنا ليسير كل منا لموضعه ، ويبقى في الطرفاية مَن أهلُه بها ، فركب جامع الرحلة ما العينين بن العتيق تلك الصبيحة الطيارة ، ونزلنا وقت ارتفاع النهار بقرية الطنطان عند أهلنا هناك . وتلقى لنا سيادة الشيخ عَبْدَاتِ[76] بن شيخنا الشيخ ماء العينين ومَن هناك من الأحبة والقرابة وسائر أهل القرية ، مهنئين ، مستبشرين ، فرحين برجوعنا ـ بحمد الله ـ سالمين غانمين ، والحمد لله على ما أكرمنا به من تأدية مفروضية حج بيته المحرم ، وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعلى منته علينا برجوعنا لأهلينا بسلامة ، وعلى ما أظهر فينا لشيخنا ماء العينين من دوام الكرامة .

---

(76) سبقت ترجمته .

كرامة شيخنا الشيخ ماء العينين في كونه هو أول من حج من قبيلته ورجع إلى أهله سالما، وفي كون ذلك صار سببا الرجوع من حج منهم بعد ذلك إلى أهله بحمد الله

وذلك أن من كراماته ، أنه أول من حج من قبيلة آل الجيه المختار ، ورجع إلى أهله سالما ، وقد كانوا قبله كل ما سافر منهم إلى الحج يموت في سفره قبل رجوعه لأهله حتى صار ذلك كأنه أمر معتاد عندهم مجرب ، لاطمع لهم في إياب من سافر للحج إلى أهله ، لكثرة موتهم في طريقه ، حتى أكرم الله شيخنا الشيخ ماء العينين ، بأن حج عام 1274 ، ورجع - بحمد الله - سالما ، ففرحوا بذلك وعدوها كرامة له . وسبب ذلك - كما سمعته منه ، ﷺ - أنه كان يوماً جالسا بإزاء والده شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين ، وهو صبي ، ووالده ﷺ يقرئ بعض الحاضرين أحكام الحج ، قال شيخنا الشيخ ماء العينين ﷺ : فتعلق خاطري بالحج ولم أتكلم ، فاطلع والدي على ما خطر بقلبي مكاشفة ، فالتفت إليّ وقال : يا ماء أعيننا ، إن قبيلتك آل الجيه المختار مما جربوا ، أنه ما حج أحد منهم ، ورجع إلى أهلك سالماً ، قال شيخنا الشيخ ماء العينين ﷺ : ومن ذلك الوقت ، لم أزل معلق البال بالحج حتى منّ الله علي به ، ورجعْتُ إلى أبي وأهلي - لله الحمد - بسلامة .

قال جامع الرحلة ، مريده وحفيده ما العينين بن العيتق : ومن كراماته أيضاً أنه حيث أكرمه الله بالحج والرجوع عن صار ذلك سببا لدوام انخرام تلك العادة . فقد حج بعد ذلك أبناء عمه وأولاده ، ورجعنا بحمد الله سالمين ، وصارت القبيلة تقول : ما هذا بأول بركة شيخنا الشيخ ماء العينين علينا ومزاياه لنا ، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات وتتنزل البركات .

ذكر طرف منخبر قبيلتنا آل الجيه المختار حسبما أورده الشيخ محمد الإمام في كتابه المسمى «الجوهر المنتخب»، والكلام على موضوع كتابه المذكور

ولا بأس بذكر طرف من خبر قبيلتنا المذكورة آل الجيه المختار ، حسبما ذكره العلامة الأستاذ الشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين في كتابه

المسمى «الجوهر المنتخب في تنقيح أخبار من في المغرب من العرب»[77] ، وهو تأليف لا نظير له في منواله ، وشبيه له في عزيز مناله ، لما جمع بالروايات الصحيحة ، واستقصى من خبر العرب الذين في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ، وكيفية دخولهم بلاد المغرب ، ولما ضم إلى ذلك من خبر بني معقل وبني حسان من عرب الصحراء من أرض المغرب والسوس الأقصى وبلاد الشناجطة وتلك الأصقاع ، وتحقيق نسبهم ، وبيان شعوبهم وقبائلهم ، وكيفية توصلهم إلى المغرب من جزيرة العرب على التدريج . فقد أجاد في الموضوع ـ أطال الله حياته ـ وأفاد ، وأتى بما يشفي الغليل من فوائد الاستطراد . قال ـ أدام الله بقاءه ـ بعدما أشبع الكلام في مقتضى كتابه المذكور ونثر فيه من البدائع ما يزري بالدر المنثور ، ما نصه : «هذا ولتعلم أن موضوع كلامنا ، هو معرفة أصول تلك القبائل العربية من حيث العموم ، وصحة نسبهم ، وكيفية إتيانهم للبلاد المغربية . وأما أسماء قبائلهم الآن فقد تغير أكثرها للأسباب التي قدّمنا أنها ينشأ عنها تغيير الأسماء ، لكن كل قبيلة أدرى بمن ترفع إليه نسبها من الأصول المتقدمةَ التي صحّ إتيانها للبلاد ، فيسأل عن كل قبيلة علماؤها ، والناس مصدقون في أنسابهم ، وسأذكر لك نموذجاً من ذلك فيما يخص بنا آل الجيه المختار بصفتنا إدريسيين»

مطلب كلام المؤرخ ابن خلدون والسجلماسي على أجدادنا الإدريسيين وسبب انتقالهم من وطنهم

قال ابن خلدون في تاريخه المسمى «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، حيث تكلم على الأدارسة : ليس في المغرب ، فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم ، بيت رسول الله ﷺ ، من بلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس من آل الحسن ، فكبراؤهم من أهل هذا العهد بفاس ، بنو عمران ، ولد يحيى الجوطي بن

(77) «الجوهر المنتخب في تنقيح أخبار من بالمغرب من العرب» كتاب في التاريخ والأنساب ، لا يزال مخطوطا ، توجد نسخته الأصلية بخزانة ابن مؤلفه الشيخ محمد المصطفى .

محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن إدريس ، وفي ناحية الجنوب وبدوه والسودان أولاد يحيى الأكبر الذي يقال له بلسان البربر جلجم ، وأولاد محمد هم المشهورون ببلاد سيس في أتوات» ، انتهى كلام ابن خلدون[78] .

قال السيد محمد بن أحمد الجلجمي نسباً ، السجلماسي وطناً بعدما ساق كلام ابن خلدون : «رأيت في نسخة الآباء أنه ثبت عندنا أن أبناء العربية أخوال مولانا اسماعيل خرج معهم ابن عمنا يقال له باللسان البربري الجيه المختار ، وباللسان العربي الطالب المختار في أيام فتنته مع السلطان بودميعة السملالي الحسني في القرن العاشر بعد أن فسدت عصبية آبائه في بلاد السودان ، بسبب فتنة بعض ثوار العجم المفسدين ، فطلع إلى الصحاري ، وبقي هناك مع العرب ، ولم يزل أبناء عمه بعده في الشهبة وما يليها من بلاد السودان إلى الان » . هـ كلام السجلماسي .

قال جامعه ـ عفا الله عنه تعالى ـ : أما أن الجيه المختار هو الأب الخامس لوالدنا شيخنا الشيخ ماء العينين ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، فإنه ابن شيخنا الشيخ محمد فاضل ابن الشيخ محمد الأمين ، الملقب مامين بن الطالب أخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار المذكور ، وبقية النسب إلى مولاي إدريس فإلى الحسن سبط رسول الله ﷺ مشهورة نظماً ونثراً .

قصيدة العلمي في سلسلة نسبنا من شيخنا ماء العينين إلى رسول الله صلى عليه وسلم

وقد تعدد طبعها بالمطبعة المصرية والفاسية في نظم الشريف مولاي أحمد بن عبد المولى العلمي ، المطبوع في أول صحيفة من نسختي تأليف شيخنا الشيخ ماء

(78) مقدمة تاريخ ابن خلدون ص 35 ، ضبط ومراجعة ذ خليل شحادة وسهيل زكار ، الطبعة 1 ، 1401 هـ ـ 1981 ـ دار الفكر .

العينين ، رحمه الله ، «نعت البدايات»[79] بالمطبعة المصرية والفاسية ، حيث يقول :

يقـــول أحـــمـــد بن عـــبـــد المولـــى
العلمي أحـــسنُ قـــول يُتْلـــــى
بعـــد الثناء والصـــلاة والســـلام
على النبي المصطفى خـــيـــر الأنـــام
سلسلة الشـــيخ المربى الكامـــل
منْ ذكـــرُهُ يُجـــمل المـــحـــافـل
مـــحـــمـــد المصطفى مـــا العـــينيـــن
ابن لقطب جـــامع الـــكونيـــن
مـــحـــمـــد الفـــاضل ابن مـــامـــينْ
ذي الفـــضل والشـــرف والمجـــد المكين[80]
ابن الوجـــيـــه الطالب الأخـــيـــار
ابن مـــحـــمـــد أبي الأنـــــوار
ابن الوجـــيـــه الطالب المخـــتـــار
من كـــان باسم الجـــيـــه ذا اشـــتـــهار[81]
ابن غـــزير العلم والفـــضل الحـــبـــيب
ابن علي بن مـــحـــمـــد النـــجـــيـــب[82]
سليلُ يحـــــيى الأول بن عـــالِ
ابن لشـــمـــس الدين ذي الكـــمـــال

---

(79) ورد هذا النظم في الصحيفة الثانية من كتاب« نعت البدايات وتوصيف النهايات» مطبعة دار الفكر ، بدون تاريخ أنظر أيضاً ، قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين للشيخ مربيه ربه . ورقة 267 ، مخطوطة خاصة .

(80) ورد الشطر الثاني لهذا البيت في «نعت البدايات» بالرواية التالية : ابن لأخيار بن الجيه ذي لين .

(81) ورد هذا البيت في «نعت البدايات» بالرواية التالية :

يدعى بمختار هو ابن للحبيب   ابن علي بن محمد النجيب .

(82) الشطر الأول لهذا البيت غير وارد في «نعت البدايات»

ابن ليحيى بالكبير القلقمي
يُدعى إلى الأرضى محمد نمي[83]
ابن لعثمان بن أبي بكر نُسبْ
لذ التقى يحيى فعي لما حُسبْ
ابن لذي المعالي عبد الرحمان
ابن أران الزكي ابن آتلانْ
ابن أجملانَ بن الوفى إبراهيم
ابن لمسعودِ أخي المكارم
ابن لعيسى بن الجليل عثمانْ
ابن لاسماعيل بحْر الاحسانْ
فعبدُ وهابِ ويوسُفُ عمَرْ
يحيى وعبد الله أحمدُ الأغَرْ.[84]
سليلُ يحيى نجْلِ قاسِم السُّرِ
سليل إدريس النقي الأزهر
من فتح الله به مفرينا
وأسس المبنى على التقى لنا
أبوه إدريس الجليل الأكبرُ
جلت مآثر له لا تُحْصرُ
وجدُّه ذو الفضل عبد الله
الكامل المجد بلا تناه
يكفيك من وصفه ما شاع وذاعْ
من حلمه وعلمه بلا نزاعْ

---

(83) الأرضى : الأب ، في «نعت البدايات» .

(84) ورد في «نعت البدايات» بيت سقط من الرحلة المعينية بعد هذا البيت وهو :

ابن لعبد الله من بالأكبر   يدعى ابن إدريس التقي الأزهر

أكـــــرمْ بـه ابْنُ الحــــسَن المثنـــــى
من لا يفي بوصــفــه من اثْنـــــــى[85]
إذ هــو ابــنُ لــعــظــيـم الجــــــــاه
الحــسن الــســبط حــبـيــــــب الله
ابن عليٍّ المجـــتـــبى ســـبط الرســول
وأمـــه فــاطمــة الزهرا الــبــتـــــول[86]
لــلــه نـرغـب بـكــل مــن ذكــــــــر
أن يفــتح التــيــســيــر في كلِّ عَــســرْ
بجــــاه من صلى عليـــه ذو الجـــلال
مـــحـــمـــد نبــينا بدر الكمـــــــــال

وإن أحـبـبـت بسْط الكلام على هذا النسب الشـريف ومناقب أهله ، فـانظر في «الضياء المستبين في مناقب شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامينْ»[87] ، للعلامة الشيخ محمد فاضل بن الحبيب ، أو في «مجمع البحرين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين»[88] ، للعلامة الشيخ محمد العاقب بن مايابي الجكني ، أو غير ذلك من التآليف المتكلمة عن شؤونهم وأخبارهم .

---

(85) بوصفه : بحقه ، في «نعت البدايات» .

(86) سبط : صهر ، في «نعت البدايات» وهو الصواب»

(87) الضياء المستبين : كتاب في سيرة الشيخ محمد فاضل بن مامين ، والد الشيخ ماء العينين ، انتهى صاحبه من تأليفه في 24 جمادى الأولى عام 1318 ، توجد منه نسخة مخطوطة بخط السيد المختار بن الطالب المختار ، بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1067 في 177 ورقة .

(88) مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين ، كتاب في سيرة الشيخ ماء العينين وكراماته اعتمد عليه أغلب من كتبوا في السيرة المعينية ، وهو لا يزال مخطوطاً أنظر : الحياة الأدبية في الزاوية المعنينة ، ص 682 ـ منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه مطبعة بني يزناسن سلا 2003 .

قال الأستاذ الشيخ محمد الإمام بعدما تقدم، وقدفتح الله عليَّ بقصيدة أثناء الاشتغال بهذا التأليف في مدح هؤلاء السادات، ولا بأس أن آتى بها تبركاً بذكرهم، وهي[89]:

[الطويل]

ألا حَيْهَلْ بالقومِ مربعُهُم خصبُ
لِمَن أمَّهمْ والبيْت منفسحٌ رحبُ،[90]
إذا نزلوا مَحْلاً تَرَوَّضَ جَدْبُه
وتدْنُو إلى الجاني الفواكهُ والأبُ
وتهْتزُّ أكنافُ البسيطَةِ تحتهُمْ
فيثْرُ الثّرى نبْتاً ويختلطُ العشْبُ،[91]
أولئك آلُ الجيه أكْرمُ معْشرِ
من آل رسول الله يمَّمَه ركْبُ
ألمْ يكُ ماءُ العينِ منهُمْ ومنْهُمُ
أبُوهُ أبو الأقطابِ سادتُنا النُّجْبُ
هُمَا قمَرا أُفْقِ السِّيادة والعُلا
وأمَّا بَنوهُمْ فالأهلَّةُ والشُّهْبُ
وذَرني من قومٍ مرابِعُهُمْ جدْبُ
وليس لهُمْ وادٍ مريعٌ ولا شِعْبُ
إذا أقبَلُوا لا يطْمَحُ الطَّرفُ نحوَهُم
وإن ذُكِرُوا لايشْرئبُّ لهُمْ قلْبُ،[92]

(89) أنظر هذه القصيدة في كتاب ، صاحب الجاش الربيط ، ص 76 .

(90) حيهل : وتكتب أيضاً حي هَلْ بفلان : ادعه .

(91) أثرى الثرى النبت : نداه وبلله بعد اليبس .

(92) اشرأب للشيء : مد عنقه لينظر إليه .

وإن فــقــدُوا لم تبْق في القَــوم ثلْمَــةٌ
فسيَّانِ من حاليْهم البُعد والقـــرْب[93]
بِعَكسِ بدورٍ تشـــرقُ الأرض إنْ بدَوا
وإنْ ذُكــروا فــالمسكُ والمَنْدَل الرَّطْب[94]
وإن ظعنوا لا يُبـــرمُ الأمْـــرُ دونَهُـــمْ
عليْــهم يُدارُ السِّلمُ أو تُعْـقَـدُ الحــربُ
يقــومنَ بالعبْءِ الثّــقــيلِ عنِ الــورى
ولـم يـكُ مـنـهُـمْ لا رياءٌ ولا عُـــجْـــبُ
فلمْ يمْرَحُـــوا والنّاسُ تنسل إثرَهُـــم
ولم يخْضَعُوا والنّاس في حرْبهمْ إلْبُ[95]
لهُمْ جُــدَدٌ بيضٌ بكلِّ ثنـــيَّـــةٍ
من الجدد لم ينْحَتْ حجَارتَها صُلْبُ[96]
تســامتْ على من قــد يرومُ صـعُـودَها
عُلوّاً فلم يفْــرغْ أعــاليــهَــا نــدْبُ
أصــارُوا طريقَ القــومِ مـيـثَــاءَ لا حـباً
فـلايخـتـشي سارٍ ضـلالاً ولا يـــكْبُو[97]
أقــرُّوا عــمــودَ الدِّين في مُــســتـقَــرِّهِ
فــمــا زعـزعـتْـهُ عـواصـفـهـا النّـكْبُ
عـــتـــادُهُمْ أيْدٍ طوالٌ إلى العُـــلا
وصـــارِمُ عـــزمٍ لا يُفَلُّ له غـــرْبُ

---

(93) الثلمة : الخلل .

(94) المندل : العود الطيب الرائحة .

(95) الألب : القوم تجمعهم عداوة واحد .

(96) الجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(97) أرض ميثاء : لينة سهلة من غير رمل

ـ اللاحب : الطريق الواضح .

أياديَ أيْد لا تُقَصِّرُ عن ندىً
وأسياف مجد في المكارم لا تنْبُو
منازلُهم فوقَ البقاعِ مُشيدَةٌ
ونيرانُهُم فوقَ المحجّة لا تخْبُو
متى يُمُّوا للشرق يزْدَدْ شروقُهُ
وإن يَمُّوا للغَرب فالمشرقُ الغَرْبُ
مطاياهُم للمجْد نُجْب عزائمٌ
تزيد نشاطاً كُلماً حَسَرَ الرّكْبُ
فلَم يثْنِها عن موردِ العزِّ مهمهٌ
ولم تثنِهَا الحزْانُ كلاً ولا السُّهْبُ[98]
فما برحَتْ تَقَفُوا طرائقَ للعُلا
قد اندرستْ قدماً فمسْلكُها صعبُ
إلى أن أنا أخُوهَا بمجتمع العُلا
ولم ينتقصْ منها سَنامٌ ولا صلبُ[99]
فلوْ كان بعْد المجد للمرْءِ غايةٌ
لما قنعوا حتى تُناخَ بها النُّجْبُ
يلُمُّ اخْتلالَ المُسنتينَ نَوالُهمْ
متى ما ألَمتْ بالورى الحُجج الشُّهْبُ[100]
كأنّ عطاياهُم تباعاً وكثرةً
غنائمُ في طُرْقِ المكارمِ أو نهْبُ

(98) الحزان أو الحزن : الجبال

ـ السهب : الفلاة .

(99) الصلب : عظم الظهر .

(100) المسنتين : ج المسنة ، المسكين المنقطع لا شيء له .

هُمُ الخِصْبُ للبُلدانِ إن أخلفَ الحيَا
ولا يخْلُفُ البلدَانَ عن خصْبِهمْ خصْبُ
وقد صيَّرَوا نفْلَ المكارمِ واجِباً
عليهمْ فلا استحْبابَ فيها ولا ندْبُ
وقد سلبُوا بالفضلِ إيجابَ ندْهِمْ
ألا هكذا الإيجابُ فلْيَكُ والسَّلْبُ(101)
أدارُوا على الأعراض سداً عن الخَنا
فلم يستطعْ للسَّدِّ ظهْرٌ ولا نقْبُ
يذُبُّونَ عنْ مجْدٍ قديمٍ تُراثُهُ
وعن مثل ذاك العلْقِ يُستحْسنُ الذَّبُّ
وقد علمَ الأقوامُ أن طريقَهُم
هيَ الحقُّ لا زيْغٌ هناكَ ولا شغْبُ
وقد علمَ الأقوامُ أن ليس غَيْرهُم
يُرَجَّى لدفعِ الخطْبِ إن فَدحَ الخطْبُ
فما ابتَدعوا في جانب الشَّرعِ بدْعَةً
تُؤوِّلُها كتْبٌ وتنْكرُها كتْبُ
وما عدلُوا عن واضحِ الحقِّ جانباً
فمنهَجُهم لَحْبٌ ومشرَبُهُم عذْبٌ
بهمْ ينْجَلي ليْلُ الرَّيْونِ عن الحجَا
وتُرفعُ عنْهُ بعدَ إسْدالِها الحُجْبُ(102)
فيعْتاضُ بعدَ القَبْضِ بسْطاً ويحْتسي
رحيقَ شهُودٍ ليس يشْبهُهُ شرْبُ

---

(101) ندهم : بللهم ، في صاحب الجأش الربيط .

(102) الريون : ج ، رين ، الطبع والدنس ، الصدأ .

فتسري حُمَيّا الذوقِ فيهمْ وتنتَشي
قلوبهم حتى كأنهمُ شَرْبُ

فتُنْفَى رعُونات النُّفُوس بقربِهمْ
ويحصُلُ قُربٌ لا يُكيِّفُهُ قُربُ

وما زالتِ الأقطابُ منهُمْ ولم تَدُرْ
لمجد رحىً إلا ومنهم لها قُطبُ

متى جئتَهُم لقوْكَ أهْلاً ومرحَباً
ويلْقاكَ في مغْناهُمُ الأهْلُ والرَّحبُ

بيوتُهُم لابن السَّبيل مُشاعَةٌ
فلا يُزجَرُ المولى ولا ينْبَحُ الكَلبُ

وقد سالَموا أعراضَهُمْ غير أنهمْ
لأموالهم في كلِّ مكْرمةٍ حرْبُ

إذا خِصلةٌ عزَّتْ وعزَّ اغتناؤُها
فهي لهم من دون طالبِهَا وهْبُ

يَعُدُّونَها عاراً إذا رُدَّ مجْدُهُم
لديْهم وذنْباً ليس يُشبِهُه ذَنْبُ

ولم ينْزعوا عن جذْم عِرضِهمُ اللّحا
فطابَ من الزَّرْع الخلاصَةُ واللُّبُّ

يُسامِيهمُ بعضٌ من القوم ضِلَّةً
فيا عجباً هل يستوي الأنفُ والعجْبُ(103)

فهلاً يساميهم مكاناً ورِفْعةً
وفي علم ما جاءَتْ به الرُّسْلُ والكُتْبُ؟

---

(103) العجب : مؤخر كل شيء ، وفي البيت إشارة إلى قول الحطيئة في مدح بني أنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم   ومَنْ يُسوِّي بأنف النّاقة الذنبا

وهلاّ يُسـاميـهمْ إذا اغـبرّتِ البـرَى
وضنّتْ عن البـادي بمعرُوفـها السُّحْـبُ؟
وهلاّ يُسـاميـهمْ بكُل فـضيلـة
لها طرقٌ عنها رجـالُ الورى نُكْـبُ؟
لقَـدْ حَـمَلوا مـا لَو تحـمّلَ بعْـضَـهُ
ذُرى الهَضْبِ من رضْوى لمادَتْ بها الهضبُ
وشـادُوا لكُلّ العـرب عـزّاً بأمـة
يعـزُّ عليـهـا أن تعـزّ بهـا الـعُـربُ
لهم راحَـةٌ في ضـمنْهـا راحَـةُ الورَى
وسيْفُ حجىً في كل مشكلة عضْـبُ، [104]
وقـد نـزَل المُـرتـادُ منـهُم بسـادة
مـواهبُـهم سـهْلٌ وغـاياتُهمْ صـعْـبُ
ثقـالٌ لدَى النّادي خِـفَـافٌ إلى النّـدى
مـتى ثوّبَ الدّاعي لمكرُمَـةٍ هَبُّـوا
مـجـالسُـهُم وقْف على الحلْم والحـجَى
فـلا تُسمَعُ العوْراءُ فيـهَا ولا السُّـبُّ
أسـاتذَةٌ في مـجلسِ العلْم والهُـدى
وإمـا ترافـقْـهُمْ هُم الأهْلُ والصَّحْـبُ
إذا مـا جَـوادٌ رامَ إدْراكَ شـأوهـمْ
ثنتـهُ الرّعانُ الشُّمْ والأمعُزُ الصُّلْـبُ، [105]
قـد اكـتـسـبوُا بالفـضل كُلّ مـزيّـة
فكسـبُـهمُ فـضْلٌ وفـضلُـهمُ وهْـبُ

---

(104) عضب : قاطع .

(105) الرعان : ج رعن ، الجبل الطويل

ـ الأمعز : ج . معزاء ، المكان الصلب الكثير الحجارة .

فـــمـــا منهُمْ وليٌّ إلا مـــقـــرَّبٌ
مُـــربٌ لأدواء النُّهى كُلِّهَا طَـــبُّ[106]
أولئك آبائي وذلكَ نهْـــجُـــهُـــمْ
ولسْتُ إلى نَهْجٍ سوى نهْجِهِمْ أصْبُـــوا
فـــلا زلتُم للدهر إنســـانَ عـــيْنِـــه
بكُم يرفأُ الشأيُ ويلتئمُ الشعْـــبُ[107]
ولا زلتُم حـــرزَ البـــلاد وأهْلِهـــا
ولا زال يقْـــفُـــوا إثر أســـلافـــه العـــقْـــبُ

مطلب ذكر محل سكن جدنا الجيه بعد تنقلاته وموضع وفاته في بلاد تكَانت ﷺ

ثم إن الجيه المختار بعد طلوعه إلى الغرب المذكور في كلام السجلماسي، لم يزل ينتقل في أحيائهم وقبائلهم حتى وصل تكَانت[108]، ونال في تلك البلا د شهرة عظيمة وأتباعاً كثيرة، ولم يزل هنالك حتى توفي رضي الله تعالى عنه في موضع يُقال له أركيز[109]، وضريحه في تلك البلاد مشهور يقْصد بالزيارة والدعاء.

ذكر سبب توطن آل الجيه بعده بلاد الحوض وانتقالهم إليه

ثم انتقل أولاده لبلاد الحوض[110] في دولة أبناء امبارك المغافرة المشهورين في

(106) النهي : العقل.

(107) يرفأ : يلحم

- الشأي : الخرم والفتق.

(108) تكانت : إحدى ولايات موريتانيا، بها مدينتان كبيرتان، تيجكجة، وهي لادا وعلى، والرشيد، وهي لقبلة كنتة، أنظر بشأنها - الوسيط ص 445 - حياة موريتانيا «الجغرافيا» ص 2219.

(109) أركيز : أرض بعد تكانت، واقعة بينها وبين أوكار، الوسيط ص 453.

(110) الحوض : أرض مشهورة بعد أوكار، وبها قبر الشيخ محمد فاضل والد الشيخ ماء العينين، الوسيط ص 457.

تلك البلاد ، باستدعاء منهم لذلك رغبة في بركتهم ، فنالوا في بلاد الحوض وجاهة كبيرة وقدرا عظيماً ، وصار لهم الحوض وطناً من ذلك التاريخ إلى الآن ، ولم يخرج أحد منهم عنه في علمنا ، ولم ينتجعوا بلاداً سواه إلى زمن جدنا الأدنى ، شيخنا الشيخ محمد فاضل ، فأظهر الله تعالى على يديه من الفضل ما هو مشهور .

مطلب سبب توطن شيخنا الشيخ ماء العينين بلاد الساحل وأخيه الشيخ سعد بوه القبلة

فصدر بعض أساتذة أبنائه الأفاضل وقربائه الأماثل إلى البلاد لنفع العباد ، فصدر والدنا الشيخ ماء العينين لبلاد الساحل والمغرب ، وصدر شيخنا الشيخ سعد بوه إلى البلاد المعروفة بالقبلة وما والاها من بلاد السودان ، وممن انتقل من قبيلتنا من الحوض في ذلك التاريخ ، ابن عمنا الأستاذ الشيخ محمد فاضل بن محمد ، يجمعنا معه الجد الأكبر الجامع للقبيلة الجيه المختار ، فإنه انتقل إلى البلاد المعروفة بأدرار واستوطنها ، ففتح الله عليه من فضله ، وسوّى بهم من خلقه ما هو مشاهد بالعيان ، فصارت هذه البلاد المذكورة من حينئذ بمثابة الوطن لنا ولمن أتى من القبيلة والإخوان ، والحمد لله تعالى على ما أولانا من فضله في كل زمان .

هذا وإنما ذكرتُ لك هذه الفذلكة لتكون لك نموذجا على أمرين أحدهما أن كل أحد أدرى بما يختص بأسلافه وعشيرته ، ويعلم من أخبارهم وشؤونهم ما لا يعلم الغير ، والأمر الثاني ، ليتبين لك كيفية تبديل الأسماء على التدريج ، فقد ترى جدنا الجيه المختار يُعرف بالجلجمي ، ثم صار أصلا لقبيلة آل الطالب المختار ، فصارت القبيلة لا تعرف إلا به ، ولا تحتاج إلى سواه إلى زمن جدنا شيخنا محمد فاضل ، فقد أعطاه الله من الشهرة ما استغنى به عن التعريف بالقبيلة ، وصار كل من انضم إليه من الأتباع والمتعلقات والجيران يعرف به وينسب إليه ، وكذلك هذه البلاد التي نحن فيها ، لا يحتاج أحد من أتباع شيخنا الشيخ ماء العينين ـ أحرى من نسبته ـ أن يرفع نسبه إلى أحد سواه ، بل يكفيه من التعريف أن يقول أنا من آل الشيخ ماء العينين .

قضية من سئل عن شيخنا الشيخ ماء العينين من أي القبائل، وكيف كان جوابه

وقد تذكرت قضية في ذلك المعنى ، وهي أنه كان بعض العلماء جالسا ، فسأله أحد الحاضرين ، فقال له : يا سيدي ، الشيخ ماء العينين من أي القبائل؟ فأجابه ذلك العالم : يابني أما علمت أن المعرف لا يعرف . ثانيا ، مثل الشيخ ماء العينين إنما يعرف به الغير ، فإن الشيء لا يعرف إلا بما هو أشهر منه في زمانه» . انتهى كلام الأستاذ الشيخ محمد الإمام ، ولا أحسن منه في المقام ، والشيخ ماء العين لا أشهر منه ولا أشفى منه للغليل في المرام ، مع الإيجاز المعتاد والاستيفاء بالمراد . ولقد أجاد ـ أطال الله بقاءه ـ في تلك القصيدة البارعة الرائعة ، الفائقة ، الرائقة بما لم يُسبق إلى مثاله ولم يُلحق في مجاله ، لافُضّ فوه ولا سُرّ من يجحده .

قصيدة لجامع الرحلة ماء العينين بن العتيق في سلسلة نسبنا الشريف بدءاً من الشيخ مربيه ربه إلى رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

قال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق ـ وفقه الله لأقوم طريق ـ ولنختم هذه الرحلة المباركة بقصيدة من مشهور الرجز ، نظمتها في هذا النسب الشريف ، مفتتحاً بالأستاذ الشيخ مربيه ربه ، دام عزُّه ، وإن كان تقدم نظم مولاي أحمد العلمي له ، مفتتحاً فيه بأبيه شيخنا الشيخ ماء العينين استزادة في بركات أهله ، واستجلابا لعنايتهم والدخول في حمايتهم ، لأن عند ذكر الصالحين تتنزل البركات وتدرُّ الرحمات . والقصيدة هي قولي ، غفر الله لي قولي وعملي :

ويقول ما العينين وهو ابن العتيقْ
وفّقه الله لأقوم طريقْ
حمداً لمن أكرم أبناء النبي
بالشرف الخلقي والمكتسب
صلى عليه الله ما تَم الشرفْ
لمن من أهل بيته اقتفى السلفْ

وبعـد فـالقـصـد بذا النظـام
سلسلة العـلامـة الإمـام
وارث جـدّه الرسـول المصطفى
والمتسمي بسـماه المصطفى
خـيـر كـريم ربه ربـاه
للمكرمـات وبهـا حـبـاهُ
إياه لم يُغن شـريف نسـبـهْ
لطه عن شـرف قَـفْـونيْـسـبـهُ
فـهـو ابن شـيـخنا سنى الكونيـن
غـوثِ الزمـان الشـيخ مـا العـينـين
سليل الأسـتـاذ سنام السـامـيـنْ
محـمـد الفـاضل نجل مـامـينْ
ابن أبينا الطالب أخْـيـار الـذي
به اجـتـمـعنا فـهـو أصْل الفـخـذ
أمـا العـتـيق أبنا فـالأب لـه
مـحـمـدا الفـاضـل وهو نجلـهُ
مـحـمـد الليل المحـرّرُ النبـيـلْ
ابن مـحـمـد بن أحـمـد سليـلْ
الطالب أخـيـار عـمـود النسـب
جـامـعنا المذكـور جـدُّ النخـبْ
ابن مـحـمـد أبي الأنـوار
ابن الإمـام الطالب المختـار
الجـامع القـبـيلة الحـسـيـب
الجـيـه نجل الطالب الحـبـيـب
ولد سـيـدي علي الولـي
ابن مـحـمـد بن يحـيى بن علـي

سليل شمس الدين نجل العلي
يحيى الشهير بالكبير القلقمي
ابن محمد بن عثمان الكمي
ابن أبي بكر بن يحيى المنتمي
لعابد الرحمان ، وهو ابن أرانْ
ولد أتلان سليل أجملان
ولد إبراهيم مُجرى المدد
سليل مسعود بن عيسى ولد
عثمان مَنْ أبوه اسماعيل
فعبد وهاب وذا سليل
ليوسف بن عُمر الأوّاه
ولد يحيى نجل عبد الله
سليل أحمد ين يحيى ولد
القاسم بن الأوحدي سيدي
إدريس نجل سيدي إدريس
الجامعين الفضل ولتقديس
وهو ابن عبد الله من يُلقب
بالكامل الصادق فيه اللقب
ابن الإمام الحسن المثنى
ماذا له من شرف تثنّى
ابن الرضى الحسن سبط المجتبى
خيْر الورى جداً وأما وأبا
فجده طوبى له النبي
وأبه ابن عمه علي
وأمه بضعته الزهراء
ذا الفخرُ ما وراء ه وراء

رب بجـــاه من لـه ذكـــــرت

من سـيـدي عن وصــفـه نصــرْت

إذ وصــفــهم ليــست تفي السطــور

به ولا تســعُــه الصّـــدور

بلّغ بـه الإمــــام نجلهم مُنــــاه

فـيمـا من الشـرف والمجـد اقـتـفــاه

ومُــدّ عــمــره وفــيْض مــدده

واجـعل جـمـيع الكون قـبـضـة يــده

في الـعــز والتــمكين في رتبـتـه

وقــرق العـينين في نــسـبــتــه

وارزق بـهم لـكـلـنـا الســعــادة

واخـتم لنا بكلمــة الشــهــادة

واعطنا في العــز أقــصى كل سـول

بجـاه جـدهم نبـينا الرســـول

أكـمـل له منك الصـــلاة والســـلام

وكــمـلن بجـــاهه لنا المــــرام

تمت القصيدة وبتمامها انتهت الرحلة المباركة ، بحمد الله وحسن عونه وفضله ، متم صفر الخير عام 1358 ، عرفنا الله خيره وخير ما بعده ، ووقانا ضيرهما على يدية جامعها عبيد ربه وأسير كسبه ما العينين بن العيتق ، وفقه الله وهداه لأقوم طريق ، بجاه نبينا وحبيبنا محمد سيد المرسلين ، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

ملحق

كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعت هذه الرحلة عدة مزايا هامة ، من بينها : أنها أول رحلة مدونة لحجاج مغاربة يمثلون جميع أقاليم المملكة المغربية كما هي معروفة الآن ، من وادي الذهب جنوبا حتى أقصى التخوم الشمالية ، لتكون انطلاقة الجميع من مدينة تطوان سنة 1938 .

ثم إن الحجاج القادمين من الأقاليم المغربية الجنوبية ، كان بينهم علماء وشعراء وكتاب مرموقون نالوا تقدير وإعجاب أشقائهم من النخبة المثقفة والوطنية في مدينة تطوان أنذاك من أمثال المرحوم عبد الخالق الطريس والشيخ المكي الناصري وعبد الوهاب بن منصور ومحمد بنونة وغيرهم ، كما يتضح من المساجلات والمناظرات الشعرية والأدبية والعلمية المدونة بدقة في هذه الرحلة أثناء إقامة الوفد بتطوان ، فضلا عن حرص المؤلف على توثيق ذلك من خلال ما نشرته بعض الصحف المغربية أنذاك عن تلك اللقاءات العلمية والأدبية ، وذكر أسماء وقبائل أعضاء الوفد القادمين من الأقاليم المغربية ومن إقليم سوس .

ولما كان لوفد الحجاج المغاربة عدة محطات توقف في كل من ليبيا ومصر قبل أن يحط الرحال في البقاع المقدسة ، فقد حرص المؤلف على تسجيل ملاحظاته عن أوضاع ليبيا وأهلها كما رآهم ، وتدوين معلومات عن تاريخ البلاد والسلالات والدول التي تعاقبت على حكمها ، مختتما كلامه قائلا بمرارة : «وهي الآن تحت حكم إيطاليا والله المستعان» ، مدونا ما دار بين أعضاء الوفد المغربي وبين الأدباء والأعيان والشخصيات الليبية التي قابلوها بتلك البلاد .

كما أثبت معلومات هامة عن قناة السويس وحفرها لدى مرور الوفد بالديار المصرية ، دون أن يغفل ما دار بينهم و بين مستقبليهم المصريين .

ولم يكن المؤلف ، وقد حل بالبقاع المقدسة ، أقل دقة في تدوين معلومات هامة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لأهل الحجاز في تلك الفترة ، مع ذكر الأماكن التي نزلت بها بعض سور القرآن الكريم ، وذرع الكعبة الشريفة وتسجيل مقاساتها وعدد أبواب المسجد الحرام ومختلف الروايات في ذلك إلى جانب مقاسات بئر زمزم ، والقباب التي كانت مقامة على قبور بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، بالإضافة إلى معلومات عن واقع بعض الأقطار العربية الأخرى .

وقد أبى العلامة ماء العينين بن العتيق إلا أن يوشح بعض فصول رحلته العلمية الدينية والاستكشافية بإدراج مسائل فقهية وأحكام شرعية وفتاوى وقصائد في أغراض شعرية متنوعة عرضت له أثناء هذه الرحلة ، مما يبين مدى اتساع دائرته المعرفية ودقة ملاحظته وحرصه على الاستفادة والإفادة .

وسيتضح للقارئ الكريم ، وهو يتصفح هذا الكتاب ، مدى أهمية العامل الزمني بالنسبة للعلامة ابن العتيق ، فهو لا يكاد يذكر مغادرة أو وصولا أو لقاء أو واقعة دون ذكر الساعة أو الليلة والشهر والسنة التي حصل فيها ذلك ، وهي سمة لازمته في جميع مؤلفاته التي عثرت عليها والتي ما تزال كلها مخطوطة تنتظر الطبع .

ظلت «الرحلة المعينية» هذه ، أو رحلة العلامة ما العينين بن العتيق إلى الديار المقدسة أزيد من ستين سنة ، مخطوطة حبيسة الصناديق والرفوف ، إلى جانب العديد من المخطوطات النفيسة والنادرة التي تزخر بها الخزانات الخاصة في أقاليم المغرب الجنوبية ، ولحسن الحظ لم تمتد إليها يد الإتلاف التي امتدت إلى غيرها أثناء قصف مدينة السمارة من طرف قوات الاستعمار الفرنسي ، أو أثناء عمليات النهب في عهد الاستعمارين الإسباني والفرنسي ، كما أنها صمدت في وجه الكوارث الطبيعية من فيضانات وأودية وسيول جارفة وحرائق التهمت أعدادا هائلة من المخطوطات والكتب ، وتكرر ذلك مرارا في وادي الساقية الحمراء وخاصة في بلدة تافودارت .

ومن حسن الطالع كذلك أنه تم استنساخ هذه الرحلة عدة مرات ، نسختان منها بخط المؤلف ، مما ساعد على بقائها كل هذه السنوات ، حتى قيض الله لها الأستاذ الفاضل الدكتور محمد الظريف ليجمع المتوفر من نسخها ويقارنها ويقابلها ويمنحها ما

تستحق من تحقيق وتمحيص وشرح ، وقد وفقه الله في ذلك فعرف بأعلامها ، وشرح غوامضها ، وأجاد في تيسير فهم ما تضمنته من استشهادات وما احتوته من استطرادات حتى يجنب القارئ كل سوء فهم أو التباس .

ولست في حاجة إلى التعريف بالدكتور محمد الظريف ، لأن أعماله المتميزة وبحوثه النيرة ودراساته المتخصصة في ثقافة أقاليم المغرب الجنوبية وأدبها والتأريخ لها خير تعريف به ، إذ قلما تميزت أعمال في هذا المجال بالدقة والشمولية التي توفرت دائما لأعمال الأستاذ محمد الظريف وذلك لاتساع دائرة مداركه ومعرفته الدقيقة بعلماء الجهة وأدبائها وشعرائها وقبائلها ووجهائها قديما وحديثا .

وإذ يتشرف مشروع ارتياد الآفاق بنشر هذا العمل الجليل الذي يسلط الضوء على محطة هامة في مسار التاريخ المغربي الطويل و المتجذر سلاليا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا ، فإنه بذلك إنما يمارس حقه المشروع في الحفاظ على هذا المسار الطبيعي والمطقي ، والتمسك بالتوجه السليم الذي تركه الأجداد للأحفاد ، ولكونه يعتبر هذا العمل القيم مساهمة محمودة في إثراء الخزانة المغربية والعربية على السواء ، والله ولي التوفيق .

الرباط في 30 مارس 2004

ماء العينين مربيه ربه

عضو المجلس الملكي الاستشاري الخاص

بالأقاليم الصحراوية

كشاف حضاري وفهارس

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث النبوية
* فهرس الأعلام البشرية
* فهرس القبائل والبلدان
* فهرس القوافي
* فهرس المصادروالمراجع
* فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

سيد الأيام يوم الجمعة
شر الطعام الوليمة تأكله الأغنياء وتشتهيه الفقراء
صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك
الصلاة في مسجد قباء كعمرة
ضغطات القبر أشد من أربعين ضربة بالسيف
طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه
ظللت الملائكة بأجنحتها على طالب العلم رضى بما صنع
عليكم بالأثمد فإنه ينبث الشعر ويقوي البصر
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما
غلقوا أبوابكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا مغلقا
فقراؤكم مضغتكم يوم القيامة
قل الحق ولو في نفسك
كل مسكر حرام
لا تمدحوني بخصي الشعر
لا يلذغ المومن من جحر مرتين
لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد
لو أن الملائكة صافحت أحداً لصافحت الغازي في سبيل الله والبار بوالديه والطائف
بيت الله الحرام
ما حج ولكن دجّ
ما من قوم مطروا إلا و قد رحموا
من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني
من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه
من زار قبري حلت له شفاعتي

من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه ومن تأخر
من صلى في مسجدي أربعين صلاة كتب له براءة من النار
من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين . . .
من طاف بالكعبة يوم المطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة
من غشنا فليس منا
من قال إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا . . .
نعم الادام الخل واللحم
هدية الله السائل حين يقف عند أبواب دياركم
وضوء على وضوء نور على نور
يدخل الجنة من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله

فهرس الأعلام البشرية

فهرس القبائل والبلدان

فهرس القوافي

المصادر والمراجع

* الأبحر المعينية في الأمداح المعينية ، تأليف الشيخ محمد الغيث النعمة ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد مفدي ، مرقون كلية الآداب فاس . 250 ، 257 حواشي : 39 ، 257 ، 258
* الأبحر المعينية في الأمداح المعينية تأليف الشيخ محمد الغيث النعمة ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد المداح المختار ، مرقون ، كلية الآداب الرباط . 250 ، 257 حواشي : 256 ، 257
* الأدب العربي في المغرب الأقصى ، محمد بن العباس القباج ، مابع فضالة ، المحمدية 1979 (مصور عن طبعة 1929)
* الأدباء المغربة المعاصرون ، دراسة ببليوغرافية إحصائية ، عبد السلام التازي ، منشورات الجامعة الدار البيضاء نونبر 1983 . حواشي : 81
* الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق طه محمد الزيني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، طبعة 1 . حواشي : 125
* الأعلام ، خير الدين الزركلي ط/ 2-6-7 ، دار العلم للملايين بيروت حواشي : 55 ، 136 ، 137 ، 153 ، 154 ، 155
* الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، العباس بن إبراهيم السملالي ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1977 . حواشي : 77
* أعلام ليبيا ، طاهر أحمد الزواوي ، ط 1 عيسى البابي الحلبي ، 1961 . حواشي : 118

* أعلام النبوة ، أبو الحسن بن محمد الماردي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1986 . 187 ، 188
* أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ ، يوسف إسماعيل النبهاني ، دار الكتب العلمية لبنان ط ، 1996 . حواشي : 105
* باقة شعر من أقاليم الجنوب ، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ، مارس 1985 . حواشي : 84 ، 261 ، 262
* البحر المحيط ، ابن حيان ، مطبعة السعادة 1328 . حواشي : 300 ، 302 ، 304 ، 305
* بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية ، ماء العينين بن العتيق مخطوط .
* البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المستمد من مذهب المالكية ، ماء العينين بن العتيق ، مخطوط . 119
* بلاد شنقيط المنارة والرباط ، الخليل النحوي ، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1987 . حواشي : 132 ، 136
* البلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان ، ابن الملقن تحقيق محيي الدين لحبيب ، دار البشائر للطباعة 1414هـ . 1994 . حواشي : 71
* التأليف ونهضته في المغرب في القرن العشرين ، عبد الله الجراري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ص 1 1985 . حواشي : 89 ، 98
* ثقافة الصحراء ، الدكتور عباس الجراري ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1978 . حواشي : 51
* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط1410 حواشي : 70 ، 71 ، 78

1هـ 1990 .
* جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية ، حواشي : 51
أعمال الملتقى الثقافي للشيخ مربيه ربه 1996 ،
مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1997 .
* الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء حواشي : 132
المغربية ، محمد الظريف منشورات كلية الآداب
المحمدية 2002 .
* حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب حواشي : 254
الدين الحلبي ، دار الرشيد للنشر ، 1980 .
* حفريات صحراوية ، عبد الوهاب بن منصور ، حواشي : 81
المطبعة الملكية 1975 .
* الحياة الأدبية في الزاوية المعينية ، محمد حواشي : 323
الظريف ، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه ،
سلا 2003 .
* حياة موريتانيا (الجغرافيا) المختار ولد حامد ، حواشي : 102 ، 188 ، 234 ، 330
منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط
معاجم و موسوعات 1994 .
* ديوان ماء العينين بن العتيق ، مخطوط خاص
* رياض الجنة عبد الحفيظ الفاسي ، ط 1350هـ حواشي : 132 ، 258
1931 .
* الساقية الحمراء ووادي الذهب ، محمد الغربي ، حواشي : 73 ، 74 ، 75
دار الكتاب ، الدار البيضاء .
* سحر البيان في شمائل الشيخ ماء العينين حواشي : 58 ، 68 ، 84 ، 135 ، 177 ،
الحسان ، ماء العينين بن العتيق ، مخطوط 251 ، 315
* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من 258 ، حواشي : 258 ، 259
العلماء والصلحاء بفاس محمد بن جعفر

الكتاني ، المطبعة الحجرية 1316هـ .
* سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، 1385 هـ1975م . حواشي : 71
* سنن الترمذي ، مراجعة عثمان سعيد ، دار الفكر ، ط ، 1 . حواشي : 188
* السيرة النبوية ، ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .د .ت . حواشي : 126 ، 186 ، 303
* شرح الدردير على مختصر خليل ، د .ت . حواشي : 301
* شرح مختصر خليل للخرشي . ط 3 المطبعة الأميرية ، بولاق . حواشي : 304
* الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ، إبراهيم السولامي ، مطبعة النجاح الجديدة (د .ت) . حواشي : 82 ، 92 ، 95 ، 264 ، 265
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، مكتبة الفارابي دمشق د .ت. حواشي : 187
* صاحب الجأش الربيط ، ماء العينين ماء العينين ، دار الفرقان ، الدار البيضاء ، 1985 . حواشي : 84 ، 226 ، 230 ، 232 ، 233 ، 324 ، 327
* الصحراء المغربية من خلال بلاد تكنة ، مصطفى ناعمي ، منشورات عكاظ ، الرباط 1988 . حواشي : 51
* صحيح البخاري ، مطبعة دار إحياء التراث العربي .د .ت . حواشي : 309
* طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، المطبعة الحسنية المصرية ط1 . /1324هـ . حواشي : 142 ، 300
* الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني ، أحمد النفراوي ، مصر 1331 . حواشي : 307 ، 308

* مذكرات من التراث المغربي ، إشراف العربي حواشي : 81 ، 98
الصقلي ، طبع Altomia- S.A. Madrid .
* مسرح الأفكار بسيرة النبي المختار ، ماء العينين
بن العتيق ، مخطوط
* مطالع الأنوار في مديح المختار ماء العينين بن 41 ، 211
العتيق ، مخطوط ،
* معالم التنزيل ، البغوي ، دار الفكر ، 1979 . حواشي : 132 ، 258
* معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش حواشي : 132 ، 258
المطرب ، عبد الحفيظ الفاسي ، المطبعة الوطنية
1350هـ/1931م ، الرباط .
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد
فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر 1987 .
* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، أ .ي حواشي : 70 ، 71 ، 190
ونسنك . و .ي . ب .منسنج ، مطبعة بريل
ليدن ، ط ، 1 1410 هـ 1990م .
* المعسول ، محمد المختار السوسي ، مطبعة فضالة/
. 1960
* معلمة المغرب ، مطابع سلا حواشي : 73 ، 74 ، 76 ، 85 102 ، 252
* مقدمة تاريخ ابن خلدون ، ضبط ومراجعة ، ذ . حواشي : 320.
خليل شحادة وسهيل زكار ، ط 1 ، 1981 ،
1401 ، دار الفكر .
* من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ، حواشي : 124
عبد الله الجراري ، مطبعة الأمنية ، الرباط 1971 .
* من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين ، حواشي : 82
عبد الله الجراري ، تحقيق سعيد الفاضلي ،
مرقون ، كلية الآداب الرباط ، 1991/1992 .

* الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، حواشي : 114 ، 132
عبد العزيز بن عبد الله .
* النفحة الأحمدية ، الشيخ أحمد بن الشمس ، 310 ، 314 ، حواشي : 132 ، 135 ، 314
المطبعة الجمالية ، مصر 1330 هـ
* الوسيطفي تراجم أدباء شنجيط ، أحمد بن حواشي : 102 ، 138
الأمين الشنجيطي ، ط ، 4 مطبعة المدني ،1989
القاهرة .
* وفاء وولاء ، منتخبات شعرية من أقاليم المغرب حواشي : 84
الجنوبية منشورات وزارة الشؤون الثقافية مارس
. 1998
* وفاء الوفا بأخبار المصطفى ، نور الدين السمهودي 37 ، حواشي : 37
مطبعة الآداب والمؤيد 1326 .
* وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ابن خلكان تحقيق
إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
* Le Dossier du Sahara occidental,Attilo Gaudio,Edition latines, Paris, 1978. حواشي : 68 ، 101

المحتويات

النصف الأول

النصف الثاني

صدر في سلسلة ارتياد الآفاق

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار 1182-1185	محمد بن جبير الأندلسي	علي أحمد كنعان
الذهب والعاصفة .. رحلة الياس الموصلي إلى أميركا، أول رحلة شرقية إلى «العالم الجديد» 1668-1683	إلياس الموصلي	نوري الجرّاح
رحلتان إلى سوريا 1908-1920	الشيخ محمد رشيد رضا «صاحب المنار»	زهير أحمد ظاظا
رحلة الحبشة .. من الأستانة إلى أديس أبابا 1896	صادق باشا المؤيد العظم	نوري الجرّاح
الديوان النفيس في إيوان باريس أو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»	رفاعة رافع الطهطاوي	علي أحمد كنعان
رحلة إلى أعالي النيل الأبيض 1839-1840	البكباشي سليم قبطان	نوري الجرّاح
رحلة إلى أوروبا 1912	جرجي زيدان	قاسم وهب
الرحلة الشامية 1910	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف 1929	شكيب ارسلان	أيمن حجازي
رحلة باريس 1867	فرنسيس فتح الله المرّاش	قاسم وهب
الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902	الحسن بن محمد الغسّال	د . عبدالرحيم موذن
رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691	محمد الغسّاني الأندلسي	نوري الجرّاح
خطرة الطيف .. رحلات في المغرب والأندلس 1347-1362	لسان الدين بن الخطيب	د . أحمد مختار العبادي
رحلة ابن خلدون 1352-1401	تحقيق محمد بن تاويت الطنجي	نوري الجرّاح
رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة 921	أحمد بن فضلان	شاكر لعيبي

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
رحلة الغرناطي . . تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبة وآسيا	أبو حامد محمد الغرناطي	قاسم وهب
رحلة إلى الهند 1899-1900	مار أثناسيوس أغناطيوس نوري	نوري الجرّاح
رحلة أفوقاي الأندلسي . . مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613	أحمد بن قاسم الحجري «أفوقاي»	د . محمد رزوق
رحلة المقدسي . . أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم 985-990	محمد بن أحمد المقدسي	شاكر لعيبي
سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
النزهة الشهية في الرحلة السليمية 1855	سليم بسترس	قاسم وهب
رحلة الشتاء والصيف 1629	الشيخ محمد عبدالله الحسيني	سامر الشنواني
الرحلة الأوروبية 1919	محمد بن الحسن الحجري الثعالبي	د . سعيد الفاضلي
رحلة المكناسي . . إحراز المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785	محمد بن عبدالوهاب المكناسي	د . محمد بوكبوط
الواسطة في معرفة أحوال مالطة . . كشف المخبأ عن فنون أوروبا 1834-1857	احمد فارس الشدياق	قاسم وهب
الرحلة الأمريكية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الرحلة اليابانية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
رحلة شيخ الأزهر إلى أوروبة . . مذكرات مسافر 1909-1914	الشيخ مصطفى عبدالرازق	أشرف أبو اليزيد
خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932	محمد الخضر حسين وآخرون	د . محمد صالح الجابري
رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال 1743-1748	ابن حمادوش	د . أبو القاسم سعد الله
رحلة محمد الكبير . . باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري	احمد التلمساني	د . محمد عبدالكريم

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
بيروت - برلين - بيروت . . مشاهدات في أوروبا وألمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية	كامل مروة	كريم مروة
رحلة إلى صحراء ليبيا	محمد حسنين باشا	علي كنعان
اسبوع في بارس 1922	محمد بن عبدالسلام السائح	د . سليمان القرشي
البرنس في باريس - رحلة إلى فرنسا وسويسرا 1913	محمد المقداد الورتتاني	د . سعيد الفاضلي
سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير 1915	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
اتحاف الأخيار بغرائب الأخبار 1876	ادريس الجعيدي السلوي	د . عزّ المغرب معنينو
المطالع البدرية في المنازل الرومية (904-984هـ)	بدر الدين بن محمد العامري الغزّي الدمشق	المهدي عبد الرواضية
الرحلة المعينية 1938	ماء العينين بن العتيق	د . محمد الظريف